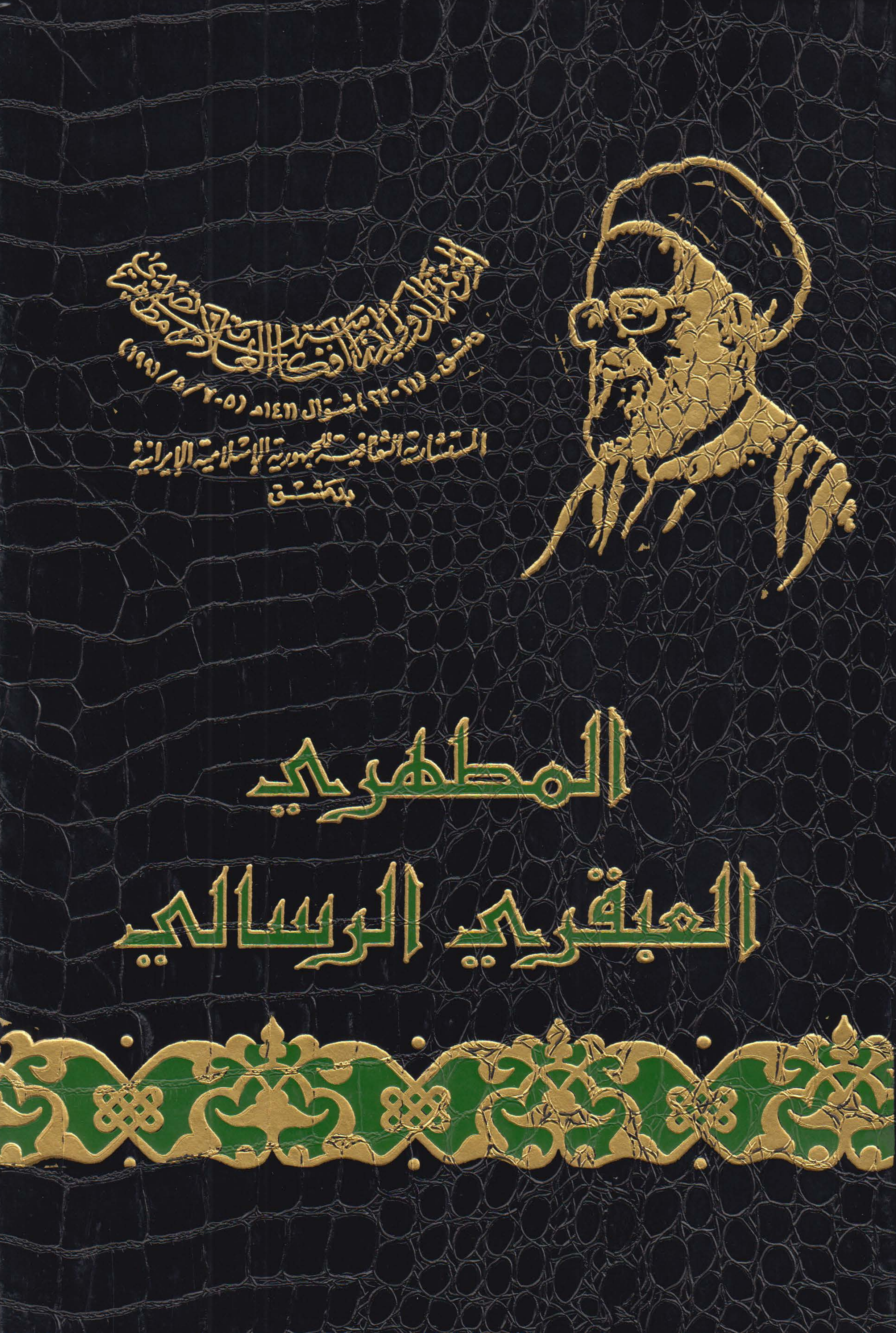


المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية
بدمشق
المطهري
العبقري الرسالي

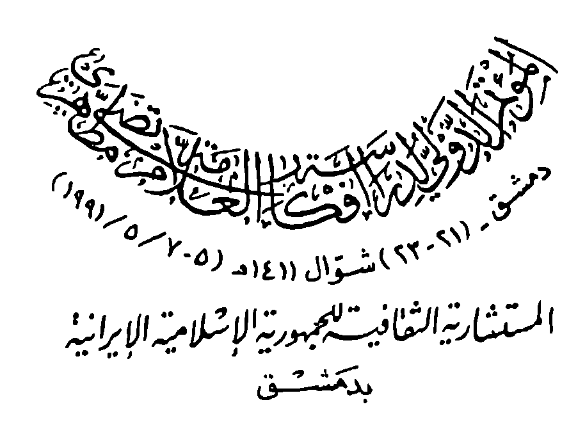


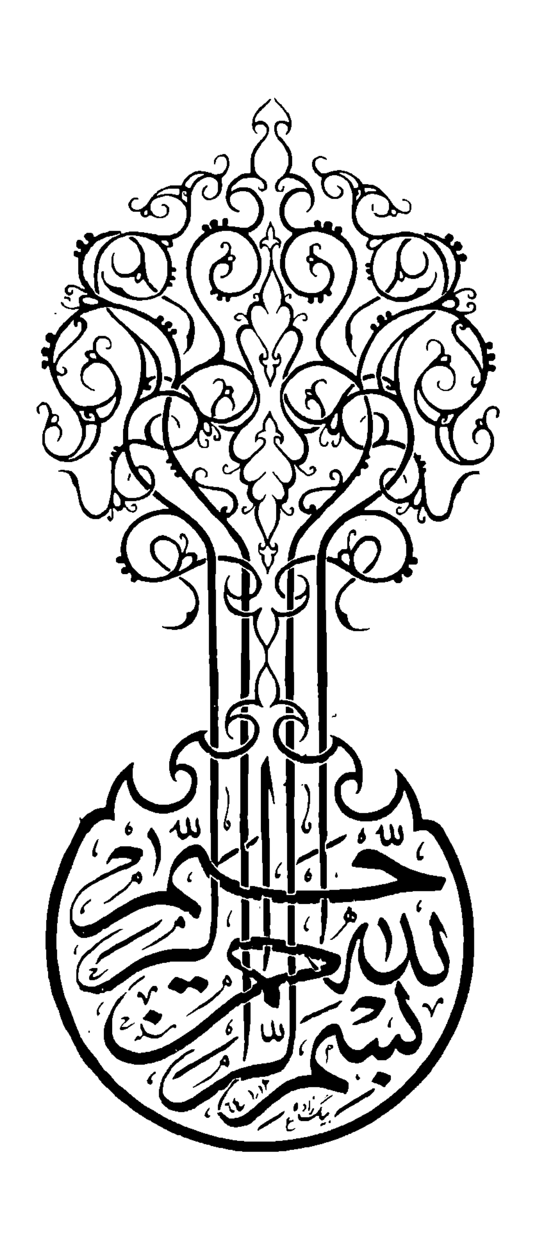
مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

# المطهري
# العبقري الرسالي

# المطهري العبقري الرسالي

## دراسة لأفكاره من خلال المؤتمر الدولي الذي عقد في دمشق







بسم الله الرحمن الرحيم

تكـريـماً لشهيـد العلم والفكـر العلامة الفيلسوف آية الله الأستاذ الشيخ مرتضى المطهري، وتـزامنـاً مع ذكـرى استشهـاده الثـانيـة عشرة، عقدت المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيـرانيـة بدمشق المؤتمـر الـدولي لدراسـة أفكار العلامة المطهري في الفترة من ٢١ إلى ٢٣ شوال ١٤١١هـ / ٥ إلى ٧ آيار ١٩٩١م. وذلك في قاعتي مكتبة الأسد والمركز الثقافي العربي.

وقـد كان المؤتمـر منـاسبـة التقت فيهـا أفكـار الباحثين لدراسة افكار المطهري وتلاقحت في مختلف المجالات العلمية والفكرية التي كان لهذا العالم الربّاني باع طويل فيها.

وتثميناً لجهود الباحثين وتخليداً لذكرى الشهيد المطهري ارتأت المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق أن تطبـع أعـمال المؤتمـر وبحـوثـه في كتـاب، فخرج بهذا الشكل الذي تضعه بين أيدي القـراء «وقـد تم ترتيب المقـالات فيه حسب تسلسلها في برنامج المؤتمر» ولتأخذ الغاية المرجوّة من عقد المؤتمر بعداً أوسع سائلين من المولى جلّ وعلا أن يوفقنا للمزيد في خدمة العلم والعلماء.

محمد شـريعتي
المستشار الثقافي للجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق

# بيان الإمام الخميني(قدس سره)
# في اليوم التالي لشهادة الأستاذ المطهري



## إنا لله وإنا إليه راجعون

إنني أعـزي وأهنىء الإسـلام والأوليـاء الكـرام والأمـة الإسلامية وخاصة الشعب الإيراني المنـاضـل بمصـابه المؤسف بالشهيد الجليل والمفكّر الفيلسوف والفقيه الكبير المرحوم الحاج الشيخ مرتض المطهـري قدس سره. أمـا العـزاء فباستشهاد ذلك الرجل الفذّ الذي قضى حياته الكريمة الغـاليـة في سبيـل تحقيق الأهـداف الإسلامية المقدسة والكفاح المتواصل ضد كل الأفكار الملتوية المنحـرفـة. ذلـك الرجل الذي عزّ له مثيل في معرفة الدين الإسلامي والمعارف الإسلامية المختلفة وتفسـير القـرآن الكـريم. أمـا أنـا فقد فقدتُ ولداً عزيزاً وقد فُجعت بوفاته فكان من الأشخاص الذين أعدّهم ثمرة حياتي.

وقد ثلم في الإسلام باستشهاد هذا الولد البار والمفكّر الخالد ثلمة لا يسدّها شيء.

وأمـا التهنئـة فلأننـا نحظى بوجـود أمثال هؤلاء الرجال الذين يضحّون بأنفسهم ويشعّون بالنـور في حيـاتهم وبعـد وفـاتهم. إنني أهنىء الإسـلام العظيم مربّي الأجيـال، وأهنىء الأمـة الإسـلاميـة بتربيـة رجـال يفيضـون بالحيـاة على القلوب الميّتـة وبالنور على الظلمات. وإني وإن خسـرتُ إبنـاً عزيـزاً كان كبضعـة مني. ولكني أفتخر؛ على أنه كان في الإسلام وسيكون مثل هذا الابن المجاهد.

لقـد غاب عنـا المُطهـري الـذي قلّ له مثيـل في طهـارة الـروح وصـلابة الإيمان وقوة البيان والتحق بالرفيق الأعلى ولكن الأعداء لن يستطيعوا أن يقضوا على شخصيته الإسلامية والعلمية

والفلسفية. وأن المغتالين لن يتمكنوا من اغتيال الشخصية الإسلامية لرجال الإسلام. وليعلموا أن فقدان الشخصيات الكبار لن يزيد شعبنا ـ إن شاء الله العزيز ـ إلا تصميماً وعزماً في استمرار الكفاح ضد الفساد والاستبداد والاستعمار. إن شعبنا قد اهتدى إلى سبيله ولن يألوا جهداً في قطع الجذور النتنة للنظام البائد وأعوانه الخبثاء. إن الإسلام العزيز نما وترعرع بالتضحيات وتقديم الأبطال. ولقد جرت سنّة الإسلام منذ نزول الوحي على الشهادة والشهامة. ومن أهم ما يدعو إليه الإسلام هو القتال في سبيل الله والمستضعفين ﴿وما لكم لا تُقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان. .﴾.

وهؤلاء الذين تيقنوا الهزيمة والفناء يحاولون الإنتقام بهذا العمل اللا إنساني أو إرعاب المجاهدين في سبيل الإسلام. ولقد خابت ظنونهم. فمن كل شعرة لكل شهيد ومن كل قطرة دم تروي الأرض سينبعث مجاهد قوي العزيمة. فلا سبيل لكم للعودة إلى نهب ثروات الشعب إلا أن تغتالوا جميع أبناء هذه الأمة ولن ينفعكم اغتيال الفرد مهما كان عظيماً. ولن يتراجع الشعب الثائر عن إعادة مجد الإسلام متوكلاً على الله تعالى، بهذه المحاولات اليائسة فنحن مستعدون للتضحية والاستشهاد في سبيل الله.

إنني أعلن يوم الخميس ١٣/ ارديبهشت ١٣٥٨ هـ. ش الموافق ليوم ٦/ جمادى الثاني/ ١٣٩٩. يوم حداد عام على رجل فذّ مُناضل مُجاهد في سبيل الإسلام والشعب. وسأقيم شخصياً مجلس التأبين في المدرسة الفيضية يومي الخميس والجمعة. وأسأل الله تعالى لابن الإسلام العزيز الرحمة والغفران وللدين الإسلامي الكرامة والمجد. والسلام على شهداء الحق والحرية.

روح الله الموسوي الخميني

# نبـذة مـن حيـاة الأسـتاذ المطـهـري

﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (آل عمران ١٦٩)

كانت شمس الجمهـوريـة الإسـلامية في أفق إيران أوائل بزوغها حيث انبسط في سماء الثورة شفق أحمر من دم شهيد الإسلام الخالد .....

واليـوم يمـرّ على ذلك السحر الدامي أكثر من اثنتي عشـرة سنـة ولم يتـوقف فوران ذلـك الـدم الطـاهـر لمعلم العقيدة الإسلامية في عروق التربية العقائدية للثورة.

وهنـا نذكـر نُبـذة من حيـاة الأستاذ الشهيد : مرتضى المطهري تخليداً لذكراه :

**ولادتُه ونشأته :**

ولد الأستاذ الشهيد في ١٣ بهمن ١٢٩٨ هجرية شمسية الموافق لـ ١٣ جمادى الأولى ١٣٣٨ هجرية قمرية في قرية فريمان من قرى محافظة خراسان. ووالده هو المرحوم الشيخ محمد حسين المطهري . كان رجلاً ورعاً تقياً وانموذجاً في التقيد بالسنن الإسلامية . لقد تربى الأستاذ في حجر هذا الوالد المتقي وكان يمتاز منذ طفولته عن الآخرين. فكان محباً للطهارة والتقوى، مجتنباً الأعمال المشينة توّاقاً إلى العلم والمعرفة ذكياً نافذ

البصيرة. وابتدأ الأستاذ دراسته في مدرسة فريمان (مدرسة فريمان من المدارس القديمة التي كانت تدرس فيها القراءة والكتابة والسور القصار من القرآن الكريم ومقدمات في الأدب العربي).

ومنذ ذلك اليوم كلما ارتقى الأستاذ في مدارج العلم والتقوى إزداد حبه وتعلقه بالمسائل الإسلامية. وتوازن هذه العوامل أدى إلى هذا الإنتاج الخصب والآثار الجليلة التي قدمها الأستاذ الشهيد طيلة حياته.

## دراسة الأستاذ في الحوزة العلمية في مشهد:

كان الأستاذ يتلهف شوقاً إلى دراسة العلوم الدينية وهو في دور الصبا. ولذلك هاجر إلى مشهد المقدسة في سنة ١٣١١ هجرية شمسية وعمره اثنتا عشرة سنة ودرس هناك مقدمات العلوم الدينية من المنطق والفلسفة والحقوق في الإسلام والأدب العربية. وفي هذه المرحلة من حياته تجيش في نفسه فكرة تسيطر على كيانه وجميع أفكاره وأعماله وحركاته وهي فكرة إثبات وجود الباري جل وعلا التي هي أهم وأدق موضوع مثير حامت حوله الأفكار وحارت منذ فجر التاريخ. يقول الأستاذ في بعض ملاحظاته:

(أتذكر أني في بداية دراستي للعلوم الدينية حيث كنتُ أدرس العلوم العربية في مشهد حيث كانوا أعظم الفلاسفة والعرفاء والمتكلمين ـ وإن لم أكن بعد قد التقيت بأفكارهم ـ أكثر علماً في نظري من غيرهم من العلماء والمخترعين والمكتشفين. ولم يكن ذلك إلا بسبب أني كنتُ أجدهم أبطال هذه المعركة. وأتذكر تماماً أني في تلك الأعوام حيث كان عمري بين الثالثة عشر والخامسة عشر أجول بين علماء الحوزة العلمية في مشهد وفضلائها ومدرّسيها فكان الرجل الذي يبرز في عيني أعظم من الآخرين وكنت أحب الجلوس في محضره والنظر إلى وجهه والتأمل في شمائله وحركاته وأتمنى أن يأتي اليوم الذي أحضر مجلس بحثه هو المرحوم الميرزا مهدي الشهيدي الرضوي مدرس الفلسفة الإلهية في تلك الحوزة).

وقال الأستاذ في موضوع آخر حول هذه العاصفة الفكرية في نفسه:

(أتذكر فيما يمكنني أن أتذكره من حالاتي النفسية أني في الثالثة عشر من عمري أحسستُ بهذا الشعور في نفسي وحصل لديّ شعور مرهف بالنسبة إلى المسائل الإلهية وأخذت تتوارد على ذهني الأسئلة المتتالية على مستوى تفكيري آنذاك. وفي السنين الأولى لهجرتي إلى «قم» حيث لم أكن قد انتهيت من دراسة العلوم العربية كنت غارقاً في خضم هذه الأفكار بحيث كنت شديد الحب للعزلة والإنفراد فلم أكن أتحمل وجود شريك لي في حجرة المدرسة فاستبدلت الغرفة الممتازة في الطبقة الفوقانية بحجرة صغيرة محقرة بغية الإنفراد واللجوء إلى أفكاري الخاصة. وكنت لا أرغب في ساعة الفراغ أن أفكر في موضوع آخر وفي الواقع إني كنت أرى التفكير في أي موضوع قبل الانتهاء من حل مسائل هذا الموضوع تضييعاً للوقت. وإنما كنت أدرس المقدمات من الأدب العربي والفقه والأصول والمنطق لأنها شيئاً فشيئاً لدراسة أفكار الفلاسفة الكبار حول هذا الموضوع).

## دراسة الأستاذ في الحوزة العلمية في قم:

هاجر الأستاذ المطهري إلى قم الحوزة العلمية في سنة ١٣١٦ هجرية شمسية، الموافق لعام ١٣٥٨ هـ. ق وعمره آنذاك سبعة عشر عاماً وهو يحمل في قلبه شوقاً عظيماً إلى كسب المعارف الإسلامية.

كانت الحوزة العلمية العريقة في القدم تواجه صعوبات ومشاق من جرّاء الضغط والظلم من قبل السلطات الرضا خانية[1] بل كانت مشرفة على الانهيار والانحلال، وكانت المصائب تتوارد في تلك الظروف العصيبة على العلماء ورجال الدين وكان الأستاذ يرى بعينه هذه الفجائع ولكنها لم تحل بينه وبين ما عزم عليه من الهجرة إلى قم. وهكذا ازداد حبه للعلم وتلهفه إليه حتى وفّق أخيراً للهجرة إلى الحوزة العلمية الكبرى.

وابتدأ هناك بالحضور في مجالس بحث الفقه والأصول لثلاثة من علماء الدين الكبار: (آية الله الصدر. آية الله السيد محمد المحقق وآية الله السيد محمد حجت).

وفيما بين سنة ١٣١٩ الموافق لعام ١٣٦١ هـ. ق وسنة ١٣٣١ هجرية شمسية، الموافق لعام ١٣٧٣ هـ. ق. حضر مجلس بحث الإمام الخميني في يومي الخميس والجمعة حول مواضيع الفلسفة والعرفان. وهنا عثر ـ كما يقول ـ بضالته المنشودة في شخصية عظيمة.

قال الأستاذ وهو يشرح مدى شوقه لمباحث الفلسفة الإلهية:

(أما درس الأخلاق الذي كنتُ أحضره لدى الشخصية المحبوبة عندي يومي الخميس والجمعة فكان في الواقع درساً في المعارف الإلهية ومنهجاً للسير والسلوك العرفاني لا الأخلاق بمفهومه الجامد العلمي، فكنت أتمتع به غاية التمتع ولستُ مبالغاً إذا قلت أن هذا الدرس كان يطربني بحيث لم يزل تأثيره العميق في روحي إلى يومي الاثنين والثلاثاء من الأسبوع التالي.

وكان لهذا الدرس والدروس التالية التي تلقيتها من ذلك الأستاذ الإلهي طيلة اثني عشر عاماً الأثر العظيم في صياغة شطر كبير من شخصيتي الفكرية والنفسية. وإني لأجد نفسي دائماً مديناً له بذلك. حقاً إنه كان صنيعة الروح القدسية الإلهية)[2].

وكان الأستاذ المطهري يستفيد إلى جانب دراسته للفلسفة والعرفان خلال ثمانية أعوام من سنة ١٣٢٣ الموافق لعام ١٣٦٩ هـ. ق إلى سنة ١٣٣١ هجرية شمسية الموافق لعام ١٣٧٣ هـ. ق. من محضر بحث آية الله البروجردي رحمه الله. وكان زميله في الحجرة الفقيه الكبير آية الله المنتظري. فقد استحكمت بينهما أواصر الود والصداقة منذ بدء تعارفهما واستمرت تتزايد بسبب الأسفار واللقاءات والمكاتبات حتى حالت بينهما شهادة الأستاذ.

وقد التقى الأستاذ المطهري في صيف عام ١٣٢٠ هجرية شمسية الموافق لعام ١٣٦٢ هـ. ق بالمرحوم الحاج ميرزا علي الشيرازي الأصفهاني وتعرّف عليه في أصفهان بواسطة زميله الجليل آية الله المنتظري،

وكان هذا اللقاء والمعارفة سبباً لتعرف الأستاذ على معارف نهج البلاغة الأمر الذي كان لديه ثميناً غالياً جداً.

كان الأستاذ المطهري شديد الحب والولاء لأمير المؤمنين علي عليه السلام ولكتاب نهج البلاغة وكان ينبه دائماً على أنه متعدد الجوانب ويحذر الشباب من النظر إليه من جانب واحد. وقد ألّف في هذا الموضوع كتاب (سيري در نهج البلاغة) أي (مرور على كتاب نهج البلاغة) وهو شطر يسير مما كان يود أن يقدمه من عمل في هذا المجال ولم يوفقه القدر لإكماله. فالواقع أن سنة ١٣٢٠ (١٣٦٢ هـ. ق) تُشكل منعطفاً تاريخياً هاماً في حياة الأستاذ الشهيد.

وكان الأستاذ إلى جانب حضوره مجالس بحث الإمام الخميني وآية الله البروجردي والعلامة المرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي مشتغلاً بالتدريس وكان يُعدّ من المدرسين المشاهير في الحوزة. فكانت له مجالس بحث (المطول) في الأدب العربي و(شرح المطالع) في المنطق و(شرح التجريد) في علم الكلام و(الرسائل) و(الكفاية) في علم الأصول و(المكاسب) في الفقه و(شرح المنظومة) في الفلسفة.

وقد تعرّف الأستاذ المطهري من سنة ١٣٢٥ الموافق لعام ١٣٦٧ هـ. ق على المدارس الفلسفية المادية عن طريق كتاب الدكتور آراني وبعض الكتب الأخرى التي أصدرها الحزب الشيوعي (توده). وحيث كان شديد الميل إلى الأبحاث الفلسفية وقد تبين تضلّعه في هذا المضمار اهتم بمطالعة تلك الكتب بدقة وإمعان. وكان لهذه المطالعات نتائج ثمينة حيث استمر الأستاذ إلى النهاية في التحقيق عن الكتب الفلسفية سواء منها كتب الفلسفة الإلهية وكتب الفلسفة المادية، واستطاع بذلك أن يبين فوارق الفلسفتين ويقارن بين التفسير الإلهي للكون والتفسير المادي له ويقوم بتشييد أركان التفسير الإسلامي للكون وحمايته من هجوم التيارات الفكرية الإلحادية.

واشترك الأستاذ في سنة ١٣٢٩ الموافق لعام ١٣٧١ هـ. ق في محضر بحث المرحوم العلامة الطباطبائي وقرأ لديه فلسفة ابن سينا. وعقد أستاذه له مجلس درس خاص للتحقيق عن الفلسفة المادية فكانت أبحاثه حجر الأساس لتأليف كتاب (أصول فلسفة وروش رئاليسم) الذي كان له الدور المصيري في هذه السنوات العشرين في تفنيد أسس الفلسفة المادية. ويُعد هذا الكتاب من أعمق وأدق آثار الأستاذ المطهري.

والجدير بالذكر أن مرحلة دراسة الأستاذ في حوزة قم كانت تفتح عليه أفقاً جديداً في مراحل حياته له أهميته الخاصة وهو التعرف على مشكلات المجتمع الإسلامي والنشاطات السياسية والاجتماعية. فمثل الأستاذ المطهري الذي لا يترك مسألة إلا ويفكر فيها ويحاول حل مشكلاتها ومن جانب آخر حبه العميق للإسلام والمجتمع الإسلامي ولذلك كان يهتم جداً بكل موضوع يرتبط بمصير الإسلام والمسلمين ـ لا شك أنه كان يفكر في المشاكل السياسية والاجتماعية. ومن جهة أخرى كان الأستاذ قد تربّى في حوزة درس الإمام الخميني الذي كان يدعو تلاميذه دائماً إلى الجهد في إصلاح شؤون المجتمع الإسلامي والمحاولة

لتطبيق الإسلام وأحكامه المقدسة في المجتمع فلا شك أن ذلك كان عاملاً قوياً يبعث الأستاذ على التفكير في مشاكل المجتمع الإسلامي ومحاولة حلّها.

وفي سنين (٢٧، ٢٨، ٢٩) أي في سنين (١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١ هـ.ق) حيث اجتاحت جميع أرجاء إيران موجة النضال من أجل الحرية تشكلت في قم أيضاً حركات ومنظمات منها حركة (فدائيان إسلام) التي كانت تمارس الكفاح المسلح وكان للأستاذ المطهري دور في هذه النشاطات فكان مرتبطاً بجميع تلك الجمعيات التي كانت تدعو إلى حركة ثورية لإصلاح المجتمع بما فيها منظمة (فدائيان إسلام) وكان الأستاذ بصورة سرية يشاركهم في الفكر ويرشدهم إلى مصالحهم.

كان لا يترك فرصة تُسنح له إلا وينتهزها للهداية والإرشاد والتثقيف الاجتماعي والثوري، كما كان يفعله أثناء الدرس وبعد الفراغ منه وفي لقاءاته وزياراته وفي أيام العطلة الدراسية وفي اللحظات اليسيرة التي كان الطلاب ينتظرون مجيء المدرّس وفي خطبه في مدرسة الفيضية وفي صحن السيدة معصومة (سلام الله عليها) ونحو ذلك، وإذا تجمّع طلاب العلوم الدينية في أي حلقة تجمعهم، فلو كان بينهم المطهري لوجدته غالباً هو المتحدث، فكان حديثه البديع ومنطقه القوي يجذب نحوه الشباب من الطلبة.

## هجرته إلى طهران:

هاجر الأستاذ المطهري في سنة ١٣٣١ هـ.ش الموافق لعام ١٣٧٣ هـ.ق. من قم إلى طهران. وفي تلك السنة تزوج كريمة أحد مشاهير العلماء في خراسان. ومنذ بدء هجرته إلى طهران أي في نفس السنة عقد حوزة تدريس في مدرسة (مروي) واشتغل بتدريس الكتب الفلسفية المختلفة كشرح المنظومة والشفاء لابن سينا (ودانشنامة علائي). وفي سنة ١٣٣٢ الموافق لعام ١٣٧٤ هـ.ق.نشر أول مقالة له في مجلة (حكمت) التي كانت تصدر في قم، وفي سنة ١٣٣٤ هـ.ش، الموافق لعام ١٣٧٦ هـ.ق. أصدر أول جزء من كتاب (أصول فلسفة وروش رئاليسم) الذي كان أصله للأستاذ المرحوم العلامة الطباطبائي وتوضيحه وتعاليقه القيمة المفصّلة للأستاذ المطهري. وفي هذه السنة بالذات أي سنة ١٣٣٤ الموافق لعام ١٣٧٦ هـ.ق. أرسلت إليه جامعة طهران دعوة ليقوم بالتدريس في كلية الإلهيات والمعارف الاسلامية. فأجاب الدعوة وقام بتدريس الفلسفة الإسلامية وغيرها من العلوم الإسلامية واستمر في تدريسه وأبحاثه وتحقيقاته هناك إلى سنة ١٣٥٦ هـ.ش، الموافق لعام ١٣٩٨ هـ.ق.

وفي خلال هذه المدة ٢٢ عاماً قام إلى جانب التدريس والتثقيف في الجامعة وخارجها بالبحث بشوق وافر حول المواضيع المختلفة في الثقافة الإسلامية وأخذ يؤلف ويحقق في المباحث المختلفة الفقهية والأدبية والفلسفية والاجتماعية والعرفانية والتاريخية وكان دائماً يبذل قصارى جهده في تنشئة الشباب من طلاب الجامعة وطلبة العلوم الدينية وسائر طبقات المجتمع، أضف إلى ذلك خطبه العديدة حول المواضيع المختلفة الإسلامية في الجمعيات الإسلامية الجامعية والمجامع العلمية.

وقـد نشـر خلال هذه المـدة عدة كتب منهـا كتاب (آشنائى با علوم إسلامى) الذي يشتمل على ستة مبـاحث في المنطق والفلسفـة والكـلام والعـرفـان والفقـه وأصول الفقه. ومنها تصحيح وتعليق على كتاب (العقيل) نشاطات الأستاذ في سنة ١٣٤٢، الموافق لعام ١٣٨٤ هـ.ق. وما بعدها:

توسّع النشاط السياسي للأستاذ المطهري في الحركة الثورية الإسلامية التي قادها الإمام الخميني في ١٥ خرداد سنـة ١٣٤٢ هـ. ش. وكـان لعلماء الـدين في هذه الحـركة دور خاص ولذلك ألقت السلطات القبض على عدة من علماء الـدين والخطبـاء المشـاهير في طهران وأودعتهم السجون. ومن هؤلاء الأستاذ المطهري الذي ألقي القبض عليه بسبب نشاطه القوي، في منتصف ليلة ١٥ خرداد ١٣٤٢ هـ. ش. وبقي في السجن ثلاثة وأربعين يوماً. وأطلق سراحه بعد الضغط المتواصل من الجماهير وهجرة علماء البلاد إلى طهران.

وفي هذه المدّة حيث حالت السلطات بين الجماهير وبين إمامهم كانت المسؤولية الكبرى ملقاة على عواتق شخصيـات كالأستـاذ المطهـري. وبعـد إبعـاد الإمام الخميني في آبان ١٣٤٣ هـ. ش، الموافق لعام ١٣٨٥ هـ.ق. تشكلت(جمعية علماء الدين المناضلين) أو(جامعة روحانيت مبارز) وكان الأستاذ الشهيد من أعضائها النشطين. وكان أيضاً ممثلاً للإمام في الحوزة العلمية في طهران وترددت بينهما المراسلات.

ويعد الأستاذ ـ في الواقع ـ من مؤسسي فكرة(جمعية علماء الدين المناضلين)ومنظميها ولذلك نشر آراءه حول تنظيم الحوزة الدينية ضمن مقال في كتاب (مرجعيت وروحانيت).

وبذل الأستاذ غاية جهده خلال السنين السوداء (٤٣ ـ ٥٦) أي (١٣٨٥ ـ ١٣٩٨ هـ.ق) لتوضيح الايـديـولـوجيـة الإسلامية الأصيلة ضمن خطبه العديدة في الكليات والمجامع الإسلامية والمساجد وضمن المقالات والكلمات التي كان ينشرها.

وقـد أوكـل الإمـام إليه مسؤولية قيادة الجمعيات المؤتلفة الإسلامية وهدايتها فأدى الأستاذ المطهري دوره في هذا المجـال أيضـاً. وتحمـل أعبـاء المسؤولية بعد أن ثقلت بسبب إبعاد الإمام إلى تركيا في أعقاب مسألـة الكـابيتـالسيـون (الحصـانـة الأمريكية) وفي شهر رمضان من ذلك العام حيث اغتيل منصور رئيس الـوزراء آنـذاك على يـد محمد بخارائي وألقي القبض على زعماء الجمعيات المؤتلفة انكشفت روابط الأستاذ معهم وأصبحت جميع أعماله تحت المراقبة الشديدة من قبل السـافاك. ولكن المطهري البطل استمر في نشاطه للحفاظ على أصالة الحركة الإسلامية وتوسيع دائرتها فأدى دوره كعالم دين ملتزم شاعر بالمسؤولية.

وفي سنـة ١٣٥٧ حيث ازداد لهيب الثـورة: اشتـد نشـاط الأستاذ في مجال السياسة فكان أحد أركان جمعيـة علماء الـدين في طهـران والـرابط بينهم وبين الإمام الخميني. ولم يصدر بيان سياسي عن جمعية علماء الدين، ولم يتخذ قرار هام من قبلهم حول المسيرات والمظاهرات ونحوها إلا بعد موافقة الأستاذ عليه. وبعد أن هاجر الإمام إلى باريس سافر الأستاذ والتقى بالإمام وتحدث معه حول مختلف مسائل الثورة وتلقّى منه آراءه القيّمـة ونظـراتـه الصـائبـة. وهنا أوكل الإمام إليه بمسؤولية تشكيل مجلس قيادة الثورة وقام الأستاذ

المطهري بهذا الواجب خير قيام حتى رجع الإمام إلى طهران. وكان وبعد انتصار الثورة إلى جانب الإمام يتعاون معه في شتى المجالات.

حتى وصل إلى أمنيته المنشودة في ليلة ١١ اردیبهشت ١٣٥٨ الموافق ليوم ٤/جمادى الثاني/ ١٣٩٩ هـ. ق حوالي الساعة العاشرة والنصف فكأنه ترنّم بقول علي عليه السلام: (فزتُ وربِ الكعبة).

## ملاحظات حول طريقة التفكير وخصائص النشاط العلمي لدى الأستاذ الشهيد:

تمتاز طريقة التفكير والنشاط العلمي لدى الأستاذ المطهري بخصائص لا توجد إلا في رجال أمثاله، وهذه الخصائص بعضها فطرية وبعضها كان الأستاذ قد اكتسبها بالرياضة وتربية النفس تربية إسلامية. وفي هذا الفصل نحاول أن نذكر بعض هذه الخصائص:

١ - البحث والتحقيق والمطالعة القيمة والواسعة في المسائل الإجتماعية والعقائدية التي يهتم بها عامة الناس. وقد عرف عنه أصدقاؤه ومريدوه وقرّاء كتبه ومستمعو خطاباته أنه يهتم جداً بالمواضيع التي تليق بالبحث والتحقيق ويحتاج المجتمع إلى حل مشكلاتها. هذه المباحث كانت إجتماعية ودينية. فمنها موضوع حقوق المرأة الذي اهتم بإثارته في تلك الأيام ذووا الأغراض والأطماع السياسية وملأوا المجلات والصحف والإذاعة والتلفزيون بمقالاتهم التي ما أرادوا بها إلا تضليل الشباب وتحريف أفكارهم. فقام الأستاذ بمواجهة هذا التيار وكشف القناع عن الواقع في خطبه وفي كتابيه (حقوق زن در إسلام) أي حقوق المرأة في الإسلام و(الحجاب) ومنها موضوع القومية الإيرانية حيث كان يُثار في ذلك العصر عواطف القومية والشعوبية لفصل الفكر الإسلامي عن الدوافع الوطنية بغية تضعيف الروح الدينية في الشعب الإيراني. فنهض الأستاذ وألّف كتاب (خدمات متقابل إسلام وإيران) وأوضح فيه أن الإيمان والعقيدة الإسلامية لا تُعارض حب الوطن كما كان أجدادنا الإيرانيون يسدون أجلّ الخدمات للدين الإسلامي عن طرق مختلفة منها نشر المعارف والعلوم الإسلامية.

قال الأستاذ في ذلك الكتاب:

(إنّ المسائل المشتركة بين الإسلام وإيران تعد من مفاخرهما معاً. أما الإسلام فلأنه هو الدين القوي الذي جذب نحوه بسبب محتواه القيّم شعباً ذكياً متحضراً مثقفاً، وأما إيران فلأنه الشعب الذي فاق سائر الشعوب في تجنب العصبية والخضوع للحق، والتضحية في سبيله بماله من روح باحثة عن الحقيقة محبة للثقافة).

وكذلك بحث في كتاب (علل كرايش به ماديكرى) أي أسباب اعتناق المذهب المادي حول موضوع الإلحاد والمادية تحت عنوان (ما ترياليسم در إيران) المادية في إيران نظراً إلى الحوادث الجارية في ذلك العصر.

٢ - إستعداده لاستماع وقراءة كل النظريات والآراء الفلسفية والاجتماعية والدينية. وهذه الصفة

ضرورية لكل باحث منصف ملتزم حيث لا بد له من التزام جانب الحياد في البحث والتنقيب عن الأفكار والعقائد والمدارس المختلف ثم النقد والرد على الآراء الباطلة المضلّة والإجابة الصحيحة عليها. وكان هذا هو طريقة الأستاذ كما يلاحظ ذلك من جميع آثاره.

٣ ـ أمانة النقل عند بيان الآراء المخالفة. كان الأستاذ مشتغلاً بالتحقيق عن المدارس المختلفة ولذلك كان يواجه دائماً آراءهم وأفكارهم وكان لا بد له من نقل نظرياتهم والذي يُلفت الانتباه في جميع كتبه وآثاره هو أمانته في نقل وبيان تلك العقائد المخالفة.

٤ ـ كان الأستاذ المطهري من المتحمّسين لحرية الفكر والعقيدة. وكان يدرك بوضوح أن صيانة كيان الإسلام كعقيدة لا تكمن إلا بقوة العلم ومنح الحرية للأفكار المعارضة ومواجهتها بصراحة.

وقد ألقى الأستاذ كلمة في بهمن ٥٧ (١٣٩٩ هـ. ق) أي بعد انتصار الثورة في كلية الإلهيات حول موضوع الحرية وشريطه المسجل موجود، قال فيها:

(كل مدرسة تؤمن وتعتقد بأيديولوجيتها لا بد لها من حماية حرية الفكر والعقيدة وبالعكس فكل مدرسة لا تعتمد ولا تؤمن بأيديولوجيتها تمنع من حرية الرأي. إن مثل هذه المدارس تريد أن تحصر الناس في إطار خاص وتمنع من رشدهم الفكري...

... إنني أعلن أنه لا يوجد في نظام الجمهورية الإسلامية أي حصار للأفكار ولن يكون فيه شيء من تحديد الآراء. نعم كل الناس أحرار في عرض نتائج أفكارهم وآرائهم. ولكني أنبّه أن هذا لا يشمل المؤامرة والنفاق. فالمؤامرة ممنوعة ولكن عرض الأفكار الواقعية مسموح.

... إنني أعلن لجميع الأصدقاء غير المسلمين أن الفكر حر من وجهة النظر الإسلامية. فكل ما بدا لكم أن تفكروا فكروا. وكيف ما أردتم أن تعلنوا عن عقائدكم ـ بشرط أن تكون عقائدكم واقعاً ـ أعلنوا عنها، وكيفما أردتم أن تكتبوا اكتبوا. لن يمنعكم عن ذلك أحد...

... إن السبب في بقاء الإسلام هو هذه الحريات. فلو كان الأمر في بداية الإسلام بحيث لو أنكر أحد وجود الله تعالى حكم عليه بالضرب والقتل لم يبق من الإسلام شيء، فسرّ بقاء الإسلام هو مواجهته بكل شجاعة وصراحة للأفكار المختلفة.

وهكذا استطاع الإسلام أن يحفظ كيانه. وفي المستقبل أيضاً لن يستطيع الإسلام أن يستمر في حياته إلا مع المواجهة الصريحة لكل العقائد والأفكار المختلفة. وإني أحذّر الشباب المتحمس للدين الإسلامي أن لا يظنوا أن السبيل الوحيد لصيانة العقيدة الإسلامية هو منع الآخرين من إظهار عقائدهم. إن القوة الوحيدة التي تحرس كيان الإسلام هو العلم ومنح الحرية للأفكار المخالفة ومواجهتها بكل صراحة ووضوح).

٥ ـ كان الأستاذ يتمتع بقوة الإبداع في عرض المشكلات وحلها في المسائل الفلسفية والعلمية

والأستاذ الشهيد مرتضى المطهري الذي تلقَى العلوم الإسلامية من الفلسفة والفقه والأصول والكلام والحديث والتاريخ والمعارف الإلهية من منابعها العيون الصافية الزاخرة وحضر خلال السنين الطوال مجالس درس المشايخ والمدرسين الكبار في الحوزة العلمية ومن بينهم الإمام الخميني(رض) الذي لم يكن مدرّسه فحسب، بل كان إمامه ومقتداه (وقد تبين هذه الملاحظة عند رأينا إهتمام الإمام وعنايته التامة بالنسبة إلى هذا العالم الجليل وتأثره وأسفه العميق بعد استشهاده) أنه بسبب أتعابه ومساعيه المتواصلة أصبح بحراً عميقاً وخضماً محيطاً من العلم والمعرفة الإسلامية الواقعية فكان دائماً يكافح الأفكار المستوردة المنحرفة التي تظهر كل يوم في صورة جديدة ويقف أمامها كالجبل الراسخ معتمداً على الأسس القويمة للفكر الفلسفي والثقافة الإسلامية.

ولكي ندرك طريقة النضال عند الأستاذ في المجال الإيديولوجي ينبغي أولاً أن نعرف المسائل والمشاكل التي كان يواجهها الأستاذ طيلة حياته الكفاحية وقبل ذلك لا بد من دراسة الأوضاع الإجتماعية الوخيمة في ذلك العصر.

إذا تصفّحنا التاريخ وعدنا إلى ما قبل أربعين عاماً تقريباً نواجه في حوزة قم العلمية شخصية جديدة تتبلور شيئاً فشيئاً. الأستاذ المطهري في هذا العصر طالب شاب ألمعيّ يحضر مجالس بحث الأكابر والأعاظم كالإمام الخميني والفلاسفة الأجلاء كالعلامة الطباطبائي رحمهم الله. وأن ذكاءه المفرط وذهنه الوقّاد واهتمامه لمواصلة البحث وكسب المعارف الإسلامية يبعث الأمل بتبلور قابلية عظيمة وإرادة قويمة سيكون لها شأن عظيم وسهم كبير في صيانة الإسلام وترويج أحكامه بين جميع طبقات المجتمع ومكافحة الإنصياع للأفكار المستوردة من الشرق والغرب.

ونجد في ذلك الوقت أن الميل إلى الحضارة الغربية قد تعمّقت جذوره واجتاحت جميع أبعاد المجتمع. فنسي الناس أمثال الشيخ فضل الله النوري والسيد حسن المدرس وأصبح المجتمع يتباعد عن ثقافته الأصيلة ويتحول إلى مجتمع ممسوخ فاقد الهوية. وعندها حان موعد حصاد الإستعمار لما زرعه منذ أوائل الحكومة القاجارية، وأخذت آثار الدسائس والمكائد الطويلة الأمد التي أسسها الاستعمار تظهر تدريجياً وتبدّل الشعب الشجاع البطل وارث الحضارة العريقة، إلى شعبٍ نجيب مطيع كالبقرة الحلوب من جراء المسخ الثقافي والاستهانة بالقيّم الإنسانية. وفقدت الحوزة الدينيّة تكتّلها النسبي وتضامنها وأخذ الشعار الاستعماري القديم حول فصل الدين عن السياسة يستقر في المجتمع بسبب إنتشار دعايات السوء ضد علماء الدين وعدم تمكنهم من أداء دورهم في قضية الحركة الوطنية. وهكذا أقصي الإسلام عن ساحة النضال الإجتماعي حتى أن بعض علماء الدين أيضاً استسلموا لهذه الفكرة وظنّوا أن التدخل في الشؤون السياسية والإجتماعية لا يليق بهم ولا يصلحون له.

إن التسليم لها التحقير المفجع أدّى إلى انحصار الفكر الإسلامي والثقافة الدينية في إطار الأحكام

والـدينيـة والاجتـماعية والخلقية وكان يستعمل طريقة الاستدلال البرهاني ويحفظ الأصول العقلية في إثبات العقائد الأصولية والإسلامية وتبين هذه الملاحظة بوضوح من خلال آثاره القيّمة. وكان ذكاؤه القوي وذهنه الحـاد يسـاعـد في إدراك عويصـات المسـائـل حتى قال في حقـه أستاذه العلاّمة المرحوم السيد محمد حسين الطبـاطبـائي: (إني كلما كنت أبـينّ في الـدرس من مشكلات العلوم الإسلامية كنت واثقاً إذا كان المطهري حاضراً أن أتعابي وتحقيقاتي لن تذهب سدى) وهذا يدل على أن المطهري كان في غاية الذكاء والبراعة.

٦ ـ كان الأستـاذ معتمـداً في معتقـداتـه على أسـاس الإستدلال، ولربما يكون العالِم المحقق يبحث ويدرّس لمجرد إظهار علومه ومعارفه. ولكن العالم الملتزم المُشفق الذي يتألم من جهل الآخرين وضلالتهم لا يستطيع أن يكتفي بالتعليم على المنهج المدرسي. وكان الأستاذ المطهري يبحث من صميم إيمانه وعقيدته سواء في المجـال الفلسفي أو في المسـائـل الاجتـماعية والدينية. فكان يفتح عيناً ليراقب ناهبي الإيمان وعيناً أخرى يحرس بها الشباب حذراً من وقوعهم في مهاوي الهلكات.

٧ ـ ولكن هنا ملاحظة أساسية يجب الانتباه لها وهي أن الإنسان إذا لم يزكّ نفسه من الجانب الخلقي والمعنـوي ولم يكتسب مكـارم الأخـلاق ولم يباشر تربية نفسه ولم يتحرر من قيد عبودية الأهواء وملذات الدنيا لن تنفعـه جهـوده في طلب الحقيقـة أو قلّ نفعـه. وكـان الأستاذ المطهري أسوة يُقتدى به في التحرر والتزكية النفسية فكان حكيماً مجمعاً للفضائل حائزاً على العلم والتقوى. واثقاً بأن الإنسان لا يبلغ الكمال والحقيقة إلا بالمعرفة والطهارة. ومع أنه كان مشغول البال بالعرفان والمعنوية لم يفته في نفس الوقت أن يفكر بالمسائل الإجتـماعيـة والسيـاسيـة. وكـان يرى لزاماً على نفسـه أن يستجيب إذا طُلب منـه التـدريس في مختلف المـوضـوعـات والمسائل، بل كان لا يتوانى عن الإشتراك في بحث خاص إذا وجده نافعاً ومؤثراً. ومع ذلك فقد كان كاتباً مكثاراً وكان عازماً على ملىء الفراغ والإجابة على الشبهات.

كان متـواضعـاً للغـاية فمع تضلّعه وسعة إطلاعه في العرفان والمسائل الإجتماعية والسياسية لم يحاول إظهار معلوماته والكشف عنها وإنما كان يتبينّ أن له رأياً في تلك المسألة على سبيل الصدفة.

# مـرور على النشـاط الإيديولوجـي للأسـتاذ المطهـري

## [مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء]«حديث شريف»

**ينبغي أن ننظـر إلى التـاريـخ بمنظـار هذا الحـديث فنجـد دمـاء الشهداء تفور من جانب ومن جانب آخر تموج بحار الآراء والأفكار وهما يصنعـان التـاريـخ ويتلوان أنـاشيـد الحـماس والحـركـة تارة متـلاحـمـين متداخلين وأخرى منفصلين متجاورين.**

والمسائل العبادية الفردية التي أُلف فيها الرسائل العملية وحذف عنها مسائل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراءة. !

وأصبحت الجامعة أجنبية عن الدين واعتبر الدين في الجو الجامعي علامة الرجعية ومعاندته علامة الرقيّ والتقدم. ! وسيطرت الثقافة الغربية على المجتمع مما أدى إلى ظهور الحركات الإنحرافية فانتشرت المدارس الأجنبية كالماركسية والوجودية بل حتى الفرويدية اتباع الإنحلال الجنسي. ! وتولدت الحركات القومية والإلتقاطية وهكذا... !!

ووصل الفقر الثقافي غايته حتى أن كل نوع من التفكير يستورد من الغرب مهما كان مُضحكاً ومستهجناً وإن كان ساقطاً حتى في المجتمع الذي أصدره فإنه سيجد في هذا المستنقع الراكد أرضية مساعدة للنمو والبروز. !!

وأخذ النظام الحاكم بعد تحكيم مواضعه حوالي سنة ١٣٣٢ هـ. ش، الموافق لعام ١٣٧٤ هـ. ق، وبعد سيطرته الكاملة على الأوضاع أخذ ينفّذ المخطط الإستعماري المرسوم لاستمرار مؤامرة المسخ الثقافي. وكانت هذه المكائد تظهر في كل عصر بصورة جديدة. فكان من أهم برامج النظام البهلوي الأسود في سبيل القضاء على الفكر الإسلامي في إيران هو: إثارة الشعور القومي الكاذب والتأكيد على الأيديولوجية الامبراطورية وتشديد الدعاية ضد أحكام الشريعة الإسلامية في الصحف العميلة ومواصلة النضال ضد حجاب المرأة. وتأسيس مراكز البغاء ودفع المجتمع نحو الحياة الإستهلاكية الغربية والدعاية للغرب والدفاع عن الحركات الثقافية المستسلمة للغرب وتشديد دعايات السوء ضد رجال الدين والمناضلين الأحرار. !!

نزل المطهري إلى المجتمع ودخل ساحة النشاط الإجتماعي وأمامه هذا الوضع الذي بيّناه وكان يدرك تماماً أن هذه الأوضاع مترابطة بعضها مع بعض سواء ما كان منها ينفّذه النظام الحاكم وما كان منها يحدث بصورة طبيعية. فالنظام لا يمكنه ـ في رأي الأستاذ ـ أن يوافق لتنفيذ مؤامراته إلا أن تكون جذورها وأسبابها متعمّقة في خبايا المجتمع. وكان يرى الأستاذ وراء هذه الأوضاع نظاماً دقيقاً وثقافة معتمدة على أساس فلسفي خاص. وسرعان ما تفطن الأستاذ إلى أن مكافحة هذه الظواهر لا تمكن إلا مع مكافحة الأساس الفكري والفلسفي للثقافة الغربية المسيطرة فلا بد من تأسيس نضال جذري وهذا يتطلب تنظيماً دقيقاً طويل الأمد وكفاحاً مستمراً لنفي أساس الثقافة الإلحادية وتبديلها بأساس فلسفي ونظام فكري أصيل قادر على المقاومة أمام التيارات الثقافية المهاجمة. كفاحاً في سبيل العودة إلى الطابع الثقافي الأصيل لشعب مُني بالتحقير بعد سنين قضاها في مكائد الإستعمار وخِدعه. كفاحاً من أجل العودة إلى ذاتيتنا الثقافية التاريخية.

ولكن يجب أن لا ننسى إلى جانب هذا النضال مشاكل المجتمع والحركات الفكرية فيه وذلك لأن النظام الحاكم كان ينتهز الفرصة فيقوم بإثارة موجة من الهجوم الدعائي ضد القيّم الإسلامية وكان كل منها

كافياً للقضاء على العقيدة الإسلامية وممهداً لتنفيذ الخطط الإستعمارية المشؤومة التي يرسمها النظام الحاكم.

وكان الأستاذ المطهري بالرغم من تخطيطه لبرنامج كفاحي طويل الأمد في المجال الإيديولوجي يقوم في مثل هذه المواقع بهجوم مضاد استراتيجي لتخفيف الصدمة الواردة على إيديولوجية المجتمع ودفع الشبهات التي تتعقب هذه الحملات الدعائية. ولهذا نجد أن المواضيع التي بحث حولها الأستاذ متفرقة متشتتة. فالآثار التي خلّفها على قسمين، قسم يبحث المواضيع الأساسية حسب البرنامج الطويل الأمد وقسم آخر يبحث المواضيع الطارئة المؤقتة.

وقد شرح الأستاذ هدفه من كفاحه الإيديولوجي في كتاب (عدل إلهي) فقال:

(منذ عشرين عاماً حيث مسكتُ القلم وكتبتُ المقالات والكتب لم يكن لي هدف من كل ما كتبته إلا حل المشاكل والجواب على الأسئلة المطروحة في عصرنا في مختلف المسائل الإسلامية. وقد كتبت في الموضوعات الفلسفية والإجتماعية والأخلاقية والفقهية والتاريخية. ومع أن مؤلفاتي تختلف من حيث الموضوع تماماً ولكن الهدف العام من جميعها أمر واحد فحسب. إن الشريعة الإسلامية المقدسة مجهولة لدى العامة. وقد حُرفت حقائق هذا الدين في أنظار الناس تدريجياً. والسبب الأساس في تفرق جمع من الناس عن هذا الدين هو التعاليم الخاطئة التي ألقيت إليهم باسم الدين. وأن هذا الدين المقدس في الوقت الحاضر يصاب بالصدمات والضربات من جانب بعض المدّعين حمايته أكثر من غيرهم. فالهجوم الإستعماري الغربي مع عملائه المعروفين والمجهولين من جهة والقصور أو التقصير الصادران من المدعين حماية الإسلام في هذا العصر من جهة أخرى كانت السبب في الهجوم التدريجي على الأفكار والنظريات الإسلامية في مختلف المجالات من الأصول والفروع. ولهذا فإنني ـ وأنا عبد ضعيف ـ رأيت من واجبي أن أقوم بما أستطيع اسداءه من خدمة في هذا المجال).

وأما كفاحه الإيديولوجي الموقت فكان في الموارد التي يقوم فيها النظام الملكي البائد بإيجاد العقوبات في طريق المناضلين المسلمين للمنع من تقدم الثورة الاسلامية ونجاحها فكان الأستاذ يقابل هذه الدسائس بكفاح مؤقت.

وكانت العوامل التي تدفع الأستاذ لكفاحه الطويل الأمد أربعة:

آ ـ الخط الإلتقاطي الغربي.

ب ـ الخط الإلتقاطي الشرقي.

جـ ـ الماركسية.

د ـ تعريف الناس بالمعارف الإسلامية.

وإليك الآن تفصيل الكلام حول هذين النوعين من الكفاح الأيديولوجي:

## ١ ـ الكفاح الأيديولوجي المؤقت:

كان النظام الحاكم في كل فترة من الزمان يثير موضوعاً على أيدي عملائه وكان يبدأ الهجوم بتحريف الأحكام والقوانين الإسلامية عن طريق تأليف كتاب أو نشره في الصحف. فيوماً تهتم الجرائد بالتحدّث عن موضوع الحجاب ويوماً يبكون فيه على الحضارة العظمى والثقافة الأصيلة الإيرانية التي سحقها العرب المسلمون. ويوماً يندبون فيه أكبر مكتبة في العالم أحرقها العرب المسلمون في إيران وهكذا دواليك....

وكان النظام الحاكم يهدف في هذه المناورات إلى أمرين مهمين:

١ ـ تقدير الوضع الاجتماعي تمهيداً لتنفيذ الأهداف المشؤومة الطويلة الأمد ومحاسبة درجة الشعور الديني في المجتمع تجاه المكائد الاستعمارية التي أوعز إليه بتنفيذها.

٢ ـ إيجاد الأرضية المساعدة لفصل الإسلام عن شؤون المجتمع وتبديله بالقومية الكاذبة في إطار الثقافة الامبراطورية. وكان الأستاذ المطهري يدرك تماماً الأهداف الشيطانية للنظام الحاكم فكان إلى جانب برنامجه الطويل الأمد لنفي الوضع الفكري الموجود يقوم بالدفاع أمام هذه الهجمات للمنع من إتساع رقعة التخريب.

ففي تلك الفترة التي أصبحت قصة حرق العرب للآثار الثقافية والعلمية الإيرانية لدى فتح إيران موضوع الصحف والجرائد العميلة بل أصبحت مادة تدرّس في الكتب المدرسية، قام الأستاذ بتأليف كتاب (احراق الكتب في إيران ومصر) وكمؤرخ ضليع أخذ بالبحث والتنقيب عن هذه المسألة واثبت أنه كذب محض وافتراء مشين كشف القناع في آخر الكتاب عن وجه الإستعمار الكالح فقال:

(إن دعاية إحراق الكتب في إيران والاسكندرية أصبحت تدريجياً فناً من فنون الهجوم، ولكن وراء الأمر سبباً وأسباباً. فهي لعبة الاستعمار. فالاستعمار لن يوفق في الجانب السياسي والاقتصادي إلا إذا وفق في الاستعمار الثقافي. والعوامل الأساس للتوفيق في ذلك هو سلب علاقة الناس بثقافتهم وبتأريخهم. وقد تفطّن الاستعمار وتيقّن بتجاربه أن الثقافة التي تعتمد عليها الجماهير المسلمة والأيديولوجية التي يعتزّون بها هي الثقافة الأيديولوجية الإسلامية...).

وعندما قام النظام الحاكم البائد بالمسخ الثقافي للمجتمع وتحقير الحجاب (حصن عفاف المرأة)، وأن يصنع من المرأة المسلمة المتحررة بضاعة جوفاء فارغة في خدمة الشهوات الحيوانية، وأن يفرّغ الأسرة (حصن مقاومة المجتمع) من القيم الاسلامية، وأن يبدّل الانسان المسلم إلى مستغرب خائر القوى ليتمكن من أسره ونهب ثرواته. حينذاك لم يمكن للأستاذ أن ينظر إلى المعركة مستهيناً بالأمر فقام مرة أخرى ينطق مدافعاً عن الموقع الرفيع للمرأة وعن كرامتها الإلهية (الحجاب).

والأثر الباقي عن تلك المدافعات هو كتاب (مسألة الحجاب) الذي ألّفه في سنة ١٣٤٧ أي

(١٣٨٩هـ. ق) جاء في موضع منه :

(لاشك أن ظاهرة (التعري) مرض هذا العصر. وسوف تعرف هذه الظاهرة بعنوان، المرض عاجلاً أم آجلاً. ولو فرضنا أننا قلّدنا الغرب تقليداً أعمى ولكن الغربيون المتقدمون في هذا المضمار سيعلنون حقيقة هذه الظاهرة. ولكني أخاف إذا انتظرنا إعلانهم أن يفوت الوقت).

وقال في موضع آخر من الكتاب حول موضوع الحجاب :

(الحجاب مصطلح جديد تقريباً، إذا استعمل في الثوب الساتر للمرأة. والفقهاء يستعملون كلمة الستر بدلاً من كلمة الحجاب. والحجاب بمعنى اللبس وبمعنى الستار والحاجب وأكثر استعماله في مورد الستار لا الثوب الساتر. .

. . وستر المرأة في الإسلام هو أن تستر المرأة جسمها إذا جالست الرجال ولا تظهر مفاتنها. . . والحجاب في الإسلام يتفرع من أصل أساسي عام وهو أن الإسلام يرى أن التمتع الجنسي يجب أن يختص بالبيئة العائلية وفي إطار الزواج القانوني ويبقى جو المجتمع مجال العمل والنشاط الإجتماعي. وهذا الرأي الصائب في طرف النقيض للنظام الغربي المعاصر الذي يخلط العمل والنشاط الإجتماعي بالتمتع الجنسي).

وكذلك قام الأستاذ المطهري في كتاب (نظام حقوق المرأة في الإسلام) بعرض إحدى أهم المسائل الحيوية في المجتمع أي مسألة نظام حقوق المرأة. وفي هذا الكتاب القيم ابتدأ كعادته في سائر آثاره الثمينة بالبحث عن علل عرض هذا الموضوع وجذوره. وبعد ذلك أشار إلى نظام حقوق المرأة في القرآن الكريم ثم شرع في البحث عن أصل الموضوع من الجوانب المختلفة فلسفياً وسيكولوجياً واجتماعياً. واعتمد في ذلك أيضاً على القرآن والسنة النبوية وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وحينما عرضت صحف النظام الحاكم موضوع استقلال الثقافة الإيرانية الأصيلة وفصلها عن الإسلام ونضال الشعب الإيراني في صيانة مواريثه الثقافية من نفوذ الثقافة الإسلامية وتداولت هذه المسألة محافل المثقفين ومجالسهم وبادر المحققون والأساتذة المتخصصون في شؤون إيران ـ كما يزعمون ـ إلى البحث والتحقيق عنها ألف الأستاذ كتابه القيم (الخدمات المتبادلة بين الإسلام وإيران) وأوضح في هذا الكتاب جذور الشعار الإستعماري الذي ينادي بالقومية وأثبت فيه إيمان الإيرانيين وتحمسهم للإسلام بعد خلاصهم من قيود الإستضعاف الساساني وأنهم جاهدوا في صيانة الثقافة الإسلامية واستغنائها واستند في ذلك إلى الآثار والشواهد التأريخية. وهذا الكتاب من حيث قوة المنطق والاستدلال والاعتماد على الشواهد التاريخية المسلمة في إثبات مسائله قد بلغ حداً يفضح وإلى الأبد هذه الشعارات المشؤومة التي ينادي بها القوميون الوطنيون ويثبت أنها نداءات فارغة واستعمارية. قال الأستاذ في فصل من هذا الكتاب :

(لم يجد الاستعمار لتنفيذ خطته المعروفة (فرق تسد) وسيلة أقرب من لفت أنظار الشعوب الإسلامية المختلفة إلى قوميتهم وعنصريتهم وأن يشغل بالهم بمجدهم الموهوم. فيقول للهنود أنكم شعب عريق في

كيت وكيت، ويقول للترك هيا أسسوا حركة الشباب الترك والقومية التركية ويقول للعرب ـ وهم مستعدون لقبول هذه التعصبات أكثر من غيرهم ـ: اعتمدوا على العروبة والقومية العربية. ويقول للإيراني: إنك من الشعب الآري فيجب أن لا تقيس نفسك بسائر الشعوب وخصوصاً العرب فإنهم من الشعوب السامية..).

وقال في موضع آخر من الكتاب:

(إن الشؤون المشتركة بين الإسلام وإيران تعد من مفاخرهما معاً. أما الإسلام فلأنه الدين الذي استطاع بمحتواه القويم أن يجذب إليه شعباً ذكياً متحضراً مثقفاً وأما إيران فلأنه شعب ترك التعصب وخضع للحق وضحّى في سبيله أكثر من غيره من الشعوب بمقتضى روحه الساعية وراء الحق والمحبة للثقافة).

وكذلك تجلّى كفاحه الإيديولوجي المؤقت في كتب من قبيل (ختم النبوة) و(الرسول الأمي) و(السلوك الجنسي في الغرب). ففي هذه الكتب قام الأستاذ أيضاً بالرد على الشبهات التي كان يلقيها النظام الحاكم لتضعيف الدين الإسلامي.

## ٢ ـ الكفاح الإيديولوجي الطويل الأمد:

كانت الوجهة الأصيلة لكفاح الأستاذ نفي الأساس الفكري العقائدي للثقافة الأجنبية وتبعه سحق جميع مظاهر الشرك والإنحراف والإلتقاط في المجتمع. ولا شك أن المطهري ما كان يكتفي في كفاحه بمجرد نفي الأسس الفكرية الثقافية الأجنبية إذ لا يمكن الحصول على النتيجة المطلوبة بمجرد المواجهة السلبية لتلك الأفكار بل لا بد مع الجانب السلبي من كفاح إيجابي أيضاً وهو عرض نظام فكري وأساس فلسفي قوي وأصيل يمكنه المقاومة تجاه الثقافة المهاجمة.

وكان الأستاذ واثقاً من أن الإسلام هوالطريق الوحيد لإنقاذ الشعوب المحرومة من مخالب الإستعمار والاستثمار فالواجب هو تعريف المجتمع بالفكر الإسلامي. وكان بإمكانه بفضل قدرته العلمية ونظرته الثاقبة أن يفتح أبواب الحوزة العلمية على المجتمع المثقف ويكشف الستار عن وجه العلوم الإسلامية وأن يعرض على المجتمع الأصول الفكرية والعقائدية للإسلام كنظام فكري وذلك بالاستعانة بالمنابع والذخائر العظيمة القيمة الموجودة في الحوزة العلمية. هذا في حين أن الأغلبية من أصحاب القلم والبيان من علماء الدين كانوا ممن لم يدرك الوضع الخطير الفجيع الذي يهدد كيان الإسلام وبين من لم يستطع المواجهة الصحيحة للوضع الحاضر الذي أوجدته المخططات الدقيقة المرسومة من قبل النظام من جانب والحركات الالتقاطية من جانب آخر. فالكتب والمقالات المنتشرة كانت إما سطحية ومكررة وإما فاقدة للأصول الأساسية في الفكر الإسلامي.

والأستاذ أقدم على ملء هذا الفراغ في برنامج طويل الأمد كما يلي:

## أ ـ مواجهة الخط الالتقاطي مع الغرب:

كان الأستاذ يدرك تماماً أن كلا سبيلي الالتقاط اليميني واليساري تتصل جذورهما بالإعجاب المفرط بالعلم والنظرية الحسية ولذلك كان يعلن مخالفته للإعتماد على التجربة بصورة مطلقة وكان يرى ذلك خطراً عظيماً على الفكر الديني. وكان يعلم بأن هذا النوع من التفكير يمهّد السبيل للتفسير المادي للقرآن والأحاديث.

قال الأستاذ لأحد الأخوان في لزوم المعارضة مع الخطر الإلتقاطي الغربي:

(إن هذه الحركة الفكرية لا تنحصر في إيران فحسب بل لها سوابق ممتدة في الدول العربية فالمفكرون المسلمون العرب من قبيل سيد قطب وفريد وجدي وأبو الحسن ندوي و. . . كانوا ينادون بهذاالنوع من التفكير).

إن البلدان العربية سبقتنا في هذا المجال حوالي ٥٠ سنة وتأثروا بالثقافة الغربية وتدنّست ثقافتهم بها وقد راجت هذه الأفكار بينهم بسبب بعض المسائل الثقافية. فلا بد من مكافحة هذه الأفكار بأسلوب صحيح مع ملاحظة الظروف الخاصة ولصيانة الفكر الإسلامي.

والأستاذ في مواجهته مع الأفكار الإنحرافية غالباً ما كان يأخذ بالبحث والنقد أسس تلك الأفكار ومبانيها فينضب الجدول الإنحرافي من المنبع. فحينما شاع التفكير الالتقاطي الغربي بين المتديّنين واشتدت الهجمات على الفكر الفلسفي من قبل هذا الخط وعرف المنطق التجريبي بأنه الطريق الوحيد لمعرفة مضامين القرآن، نشر الأستاذ المجلد الأول من كتاب (أصول الفلسفة) وكانت هذه أول خطوة قام بها المطهري في طريق الكفاح الطويل.

وهذا الكتاب (أصول الفلسفة) يشرح بلسان مبسط أهم مسائل الفلسفة الإسلامية، ويشتمل على تعاليق مفصلة وعميقة من الأستاذ الأمر الذي زاد في قيمة الكتاب مضموناً ودقة، وقد أوضح فيه أصالة الفلسفة الإسلامية واستغناءها من حيث المحتوى بالنسبة إلى المكاتب الفلسفية الغربية والشرقية وذلك بأسلوب المقارنة والتطبيق. ويعد هذا الكتاب من أعمق الكتب الموجودة وأعلاها مضموناً، ويعتبر حتى الآن أرقى كتاب فلسفي يستفيد منه المتعطشون للحقيقة.

وقد قام الأستاذ في هذا الكتاب مسايراً للأصل بتعريف الفلسفة الإسلامية وتوضيح قصور المنطق الحسي والتجريبي في تبيين قسم من المجهولات البشرية. كتفسير الكون والمعارف الإلهية. وبيّن فيه خصائص التعقل والتفكير الفلسفي في هذا المجال. قال الأستاذ حول مضمون الكتاب:

(هذا الكتاب يشتمل على مجموعة المسائل الفلسفية بصورة مختصرة، ويبيّن فيها أهم المسائل الفلسفية مع محاولة تبسيط الأسلوب والبيان حد الإمكان ليستطيع كل أولئك الذين يتمتعون بذوق فلسفي

ومعلومات مختصرة أن يستفيدوا منه كل بقدر إمكانياته. ولذلك تجنبنا سرد الأدلة والبراهين المتعددة في كل مورد. واكتفينا لإثبات كل دعوى بذكر أبسط الطرق والبراهين).

وقد دوّن هذا الكتاب ودرس في البداية من قبل المرحوم العلامة الطباطبائي على صورة مقالات متعددة ولكنه كان صعب التناول بسبب إجمال المطالب وتعقد بيان العلامة في اللغة الفارسية. ولذلك طلب العلامة من الأستاذ المطهري أن يشرح مطالب المتن ويعلّق عليها حتى يكون الكتاب مبسطاً سهل التناول لعامة المثقفين وقام الأستاذ بهذه المهمة خير قيام ونشر كتاب (أصول الفلسفة) بهذا الوجه المقبول.

وفي مواجهة للأستاذ مع أصالة الإنسان والفكر الالتقاطي الغربي أخذ بالنقد والبحث عن أسس معرفة الإنسان في المدرسة الغربية وأوضح نقاط التناقض فيها. والذي يدل على شدة اهتمامه بهذا الموضوع الهام هو خطبه ومقالاته العديدة حول الإنسان وكرامته في الإسلام والمقارنة بين التفسير الإسلامي للإنسان ومسلك أصالة الإنسان.

إن هذا المسلك يقول بذاتية الإنسان وأصالته تجاه الباري جل وعلا. وبعبارة أخرى يقول بإستقلال الإنسان وأصالته الذاتية في حد نفسه وهذا يناقض التفسير الإسلامي للإنسان الذي يقول بأن أصالة الإنسان ترتبط بتعلقه بالله وهجرته عن ذاته وأن كرامته منحة من الله ومن إفاضة مقام الخلافة الإلهية له. وقد أثبت الأستاذ أن الأساس الفلسفي لمسلك أصالة الإنسان ينتهي أخيراً إلى تحقير الإنسان ومسخه وعبوديته، قال الأستاذ حول هذا الموضوع:

(إن هذه النظرية لا تؤدي إلى نفي أصالة التمايلات الفطرية في الإنسان كحبه للحقيقة والخير والجمال والخالق فحسب بل تؤدي أيضاً إلى نفي أصالة الميل إلى الواقع في ملاحظة الإنسان للكون والواقع الخارجي). نقلاً عن كتاب (الإنسان والإيمان).

وقال في موضع آخر حول هذا المسلك:

(إن أمثال أوغست كونت الذين يبحثون عن دين الإنسانية يربّون هذا الفكر في أذهانهم وهذا هو مسلك أصالة الإنسان الذي أصبح فلسفة العصر تقريباً وينادي به ـ على الأغلب ـ المثقفون.

هذه النظرية ترى الإنسان أمراً وحدانياً وراء الطبقات والقوميات والثقافات والأديان والألوان والشعوب والأقوام وتنفي كل تمييز وتفاوت. وعلى هذه الفلسفة تعتمد البيانات الصادرة باسم حقوق البشر في العالم وتنشر هذا الأسلوب من معرفة الذات. ولكنها في الواقع ـ مع أنها تظهر منطقية أكثر من غيرها ومع كل ما انتشر لها من دعاية ـ أبعد الفلسفات عن الواقع. لماذا؟

إن السرّ يكمن في كيفية وجود الإنسان وحقيقة ذاته. فهو يختلف في كيفية وجوده وحقيقته عن جميع أنواع الموجودات من الجماد والنبات والحيوان. وذلك من جهة أن كل شيء يوجد ويخلق في هذا الكون فماهيته وواقعه إنما هو ما تصنعه عوامل الخلقة، ولكن الإنسان بعد خلقه يبدأ مرحلة الكينونة بأن يكون

على أي وجه فالإنسان ليس هو الشيء الذي خلق بل هو الشيء الذي يريد أن يكون. وهو الشيء الذي تصنعه مجموعة من العوامل التربوية ومنها إرادته واختياره). نقلاً عن كتاب (الإنسان في القرآن).

وقال في موضع آخر حول سخافة هذه النظرية الغربية:

(إن برتراند راسل الفيلسوف والرياضي البريطاني المعروف وجان بول سارتر الفيلسوف الوجودي الفرنسي من الشخصيات البارزة القائلة بأصالة الإنسان في عصرنا الحاضر. ومن الغريب أن راسل بنى فلسفته الأخلاقية على أساس يتناقض مع أصالة الإنسان. فإن مبنى فلسفة الأخلاق لدى راسل هو المصلحة الشخصية أي أنه يرى أساس الأخلاق كسب المصلحة الأكثر والأرقى في ظل الأصول الخلقية ولا يقول بفلسفة أخرى للأخلاق وهنا نجد أن أصالة الإنسان لدى راسل كيف انتهت إلى عبودية المصلحة الشخصية. وأما أصالة الإنسان لدى سارتر فالنتيجة البارزة لها هو دموع التماسيح التي يصبها بين فترة وأخرى على مظلومية إسرائيل وتألمه ومن الظلم الذي جرى عليها من قبل العرب وخصوصاً من اللاجئين الفلسطينيين). نقلاً عن كتاب (الإنسان في القرآن).

ولم يكتف الأستاذ بتأليف الكتب الكثيرة في سبيل إيقاف حركة الإلتقاط والأفكار الغربية بل بذل غاية جهده عملياً في توجيه أفكار المثقفين. ولهذا السبب بالذات اختار جامعة طهران كموقع استراتيجي ليكون مرتبطاً دائماً بالمثقفين المتدينين والمستغربين المغفلين على حد سواء. وكان منذ عام ١٣٣٧ (١٣٧٩ هـ. ق) حتى سنة ١٣٥٠ (١٣٩٢ هـ. ق) بل بعده أيضاً من خطباء الجمعية الإسلامية للأطباء بصورة دائمية تقريباً. وأكثر مؤلفات الأستاذ من نتاج تلك الخطب.

ومن جهة أخرى كان المطهري بإستقراره في الجامعة همزة وصل بين الحوزة العلمية والجامعة وكم من رجال جامعيين جذبهم الأستاذ نحو الحوزة للتعليم والتعلّم. وهكذا كان العلامة المطهري أحد الرجال الذين فتحوا باب كل من هذين المركزين الاجتماعيين العظيمين تجاه الآخر.

## ب ـ مواجهة الخط الإلتقاطي مع الشرق:

مع تصاعد أمواج الثورة وازدياد سرعة الحركة النضالية لم تتمكن حركة الالتقاط مع الغرب من الاستمرار، نظراً إلى عدم تطابقها مع الظروف النضالية، فخرجت من ساحة المعركة وخلّفت بعدها الفكر الإلتقاطي مع الشرق. وهذا الفكر بسبب أرضيته المساعدة انتشر بسرعة بين الشباب ولذلك كان خطره أكبر من الفكر السابق، ومن هنا اهتم الأستاذ بهذا الخط أكثر من الخط الالتقاطي الغربي. ولم يتوان الأستاذ في مسير هذا النضال المستمر الطويل بفضل عزيمته القوية وقدرته الفائقة. وتلقى في هذا السبيل أنواع التهم والتهكم من أصحاب الأفكار الملفقة مع الفكر الشرقي. وأمام هذه الهجمات كان كالأب الشفوق يمسح بيد العطف والرحمة صابراً محتسباً على مفارق الشباب المغفل الذي لم يجد له ملجأ ولم يعتمد على ركن وثيق. وكان يرى أن هذه الشكوك والوساوس ستكون مقدمة للفلاح والهداية.

كان واثقـاً مطمئنـاً بأصـالـة الإسـلام وعظمـة مبـانيـه الثقـافيـة والعقـائـديـة وغلبتـه على الايـديـولوجيات الشرقية والغربية ولذلك لم يمتنع بكل شهامة ورحابة صدر من ترغيب الشباب على إبداء شكوكهم. وأراد بذلك أن يهدم وإلى الأبد البناء الفكري القديم البالي الذي اكتسبه الشباب من الإسلام التقليدي والسنن الخرافية والذي يعتبر أهم العوامل لنمو الأفكار الانحرافية. فإذا تهدم هذا البناء بالشكوك أمكن أن يبني مكانها البناء العقائدي الأصيل عظيماً متماسكاً لا تهدمه الزلازل المرجفة. قال الأستاذ في هذا الموضوع:

(إن هذا العصـر عصـر الاضطـراب والشك في المسائل الدينية خصوصاً بالنسبة إلى طبقة الشباب. فهذه المجموعة من الأسئلة والشكوك الحديثة من متطلبات العصر ومقتضيات الزمان بل قد تجددت بعض الأسئلة القديمة أيضاً.

فهـل تستـوجب هذه الشكـوك والـوسـاوس والأسئلة التي ربـما تصل حد الإفراط أن نتأثر ونأسف أم تستوجب أن نستقبلها مغتبطين فرحين؟ إنني أعتقد أنه لا داعي للقلق والتأسف فإن الشك مقدمة اليقين، والسؤال مقدمة الوصول، والاضطراب مقدمة الاطمئنان، فالشك معبر وطريق حسن وضروري، ولكنه مسكن ومنزل غير مناسب، والإسلام حيث يكثر الدعوة إلى التدبر واليقين يعلمنا ضمناً أن الحالة الأولى للبشـر هي الجهـل والشـك والـترديـد وأنـه يصـل إلى مرحلة اليقـين والاطمئنـان بفضـل التدبر والتفكير الصحيح. قال أحد الحكماء:

«يكفي في فائـدة الكـلام أن يكـون موجبـاً للشك والترديد فيبعثك إلى البحث عن الحق واليقين».
الشـك هو القلق ولكن ليس كل ارتيـاح مفضـلاً على هذا القلق، فالحيـوان لا يشـك ولكنه هل يصل إلى مرحلة اليقين والإيمان؟ فهذا النوع من الارتياح في مرتبة دون الشك ولكن ارتياح أهل اليقين فوق الشك» نقلاً عن كتاب العدل الإلهي.

كان الأستاذ يتألم جداً من وجود الأفكار التلفيقية والانحرافية، قال حول هذا الموضوع:

(كـل حركـة إجتـماعية لا بد لها من الاعتماد على حركة فكرية وثقافية وإلا فستقع في شباك الحركات التي تتمتع برصيد ثقافي وتنصهر فيها فتغير مسيرها لا محالة. كما رأينا الجماعة الذين لا يملكون من رصيد الثقافة الإسلامية شيئاً كيف وقعوا كالذباب في نسيج العنكبوت.

ومن جهـة أخـرى لا بد لكـل حركـة ثقافية إسلامية تريد أن تكون رصيد الحركة إجتماعية أن تتغذى وتنشأ من متن ثقافتنا العريقة لا الثقافات الأخرى. فلا يكفي أن نلتقط أصولاً من سائر الثقافات كالفلسفة الماركسية كان يحاول أن يستخرج إجابة المسائل من ذخائر الثقافة الإسلامية الثمينة ويبينها ويشرحها. وقد وفق في هذه الطريقة للحصول على نتائج عظيمة.

وحول نظرية المعرفة عرض الأستاذ بتفصيل جميع جوانبها من وجهة النظر الإسلامية. والمباحث التي بينها في الخطب التي ألقاها بصدد تشريح نظرية المعرفة تبين لنا بوضوح مدى شخصيته العظيمة وثباته أمام الأمواج الالتقاطية والتثقيفية المعاصرة.

وقد اعتمد الأستاذ في هذه الخطب على الآيات والروايات والفلسفة الإسلامية وبيّن نظرية المعرفة على أساس الاعتقاد بالنفس المجردة. فعرض الأبحاث الفلسفية حول الوجود الذهني واتحاد العاقل والمعقول وتقييم المعلومات البشرية وغير ذلك في أسلوب شيق، وأخذ يعدّ منابع المعرفة وأسبابها. وأكد على حصول المعرفة عن طريق القلب ودور التقوى والتزكية وصفاء الباطن في المعرفة وذلك في ذلك الجو الساخن بالنظريات الحسية والمادية حيث لم يكن يجرؤ أحد على الاعتراف بوسيلة للمعرفة خارجة عن نطاق التجربة إلا وتنصب عليه اللعنات من جانب إله العلم التجريبي.

وعندما كان الأستاذ يبين الأفكار الالتقاطية لنقدها والرد عليها لم يكن يكتفي بذكر أدلتهم التي يستندون إليها بل كان يأتي بدلائل جديدة لإثبات عقائدهم لم تصل إليها عقولهم القاصرة ثم يأتي عليها جميعاً فينفذها واحدة تلو الأخرى. وتتبين هذه الملاحظة الدالة على عمق تفكيره وحدّة نظره بمراجعة مقالته (بحث حول التقسيم الطبقي من وجهة نظر القرآن).

وأبحاث الأستاذ حول مسألة الكون والوجود كثيرة جداً. فكتاب (أصول الفلسفة) وأكثر خطبه ومقالاته تدور حول هذا المحور. وقد جمع مختصراً من كليات تلك الأبحاث في المجلد الثاني من كتاب (التفسير التوحيدي للكون). وكان سر قدرته في هذه الأبحاث يكمن في مسلكه الفلسفي حول الكون والوجود ومعرفة الكون.

والمطهري في صراع دائم مع الأفكار المنحرفة، وقد ألف كتابيه (التفسير التوحيدي للكون) و(الحياة الخالدة) بصورة مختصرة وجامعة وضمنها الأبحاث الطويلة الفلسفية والفقهية والتفسيرية ونحوها وذلك بصدد عرض مسائل الكون والوجود بصورة منتظمة.

وقد أوضح في كتاب (التفسير التوحيدي للكون) نظرة الإسلام إلى العالم وبهذه المناسبة عرض فيه مسائل التوحيد والعدل والحكمة البالغة الإلهية. فابتدأ فيه بتعريف تفسير الكون ثم تعرض لأهمية هذا التفسير وأن جميع الأديان والشرائع والمدارس والفلسفات الاجتماعية تعتمد على نوع من تفسير الكون. وبعد ذلك أشار إلى الفرق بين تفسير الكون والإحساس به ثم استنتج من مجموع ذلك قوله:

(إن كل تفسير للكون إنما يمكن أن يقع عماداً لإيديولوجية أو سنداً لإيمان إذا كان يعتمد على الدين في صياغتها وصبغتها).

وفي النهاية تعرض لموضوع الإنسان ووصول الواقع الوجودي له إلى مرحلة الاتحاد، وكذلك بلوغ المجتمع البشري إلى مرحلة الاتحاد والتماسك في نظام إجتماعي متضامن متكامل. وتعرض أيضاً لثلاث نظريات في هذا الموضوع: المادية، والمثالية، والواقعية، وجعلها مورداً للبحث والمقارنة واختار أخيراً

النظرية الواقعية التي هي نظرية الإسلام فقال:

(إن المراد بالمجتمع اللا طبقي الإسلامي هو المجتمع بدون تمييز وبدون محروم وبدون طاغوت، والمجتمع العادل بدون ظلم لا المجتمع بدون اختلاف فإنه بنفسه نوع من الظلم وسلب العدالة. فهناك فرق بين التمييز والاختلاف كما أن نظام الكون فيه اختلاف أيضاً وهذه الاختلافات هي التي أضفت على الكون الجمال والتنوع ودفعته إلى التطور والتكامل. ولكن ليس فيه تمييز. فالمدينة الفاضلة الإسلامية ضد التمييز لا ضد الاختلاف. المجتمع الإسلامي مجتمع التساوي والتعادل والإخاء).

وقال في موضع آخر:

(المجتمع الإسلامي مجتمع طبيعي لا مجتمع التبعيض ولا مجتمع التساوي المنفي. وشعار الإسلام: العمل بمقدار القدرة. والاستحقاق بمقدار العمل)

وأبدى الأستاذ المطهري نظريات جديدة أيضاً في مسألة المجتمع والتأريخ. وهذه المسألة ـ مع الأسف ـ من المسائل التي قلّ التوجه إليها من قبل فلاسفة الإسلام. فقلما نجد في الكتب الإسلامية بحثاً حول المجتمع والتاريخ.

وبدأ الأستاذ بحثه في كتاب (المجتمع والتاريخ) عن بدء نشوء المجتمع ونوعية تركبه من الافراد. ثم أثبت مستنداً إلى الآيات القرآنية والأحاديث أن النظريات الالتقاطية حول هذا الموضوع مرفوضة من قبل القرآن الكريم.

وكما قلنا فإن مواجهة المطهري للثقافة الغربية والأفكار الالتقاطية كانت دقيقة مدروسة فلم يكن يكتفي بنفيها وردها بل كلما أعلن عن فكر انحرافي عقّبه فوراً بآرائه النظرية الصحيحة في ذلك الموضوع بالذات. وبعبارة أخرى كانت مواجهته مع الانحراف والالتقاط مواجهة إيجابية أكثر من كونها سلبية. وقلنا أيضاً أن هذه الميزة التي كان يتمتع بها الأستاذ إنما كانت بسبب علو مقامه العلمي وعمق تفكيره في المعارف الإسلامية. فهذا العمق والمحتوى من جانب والإيمان والالتزام والشعور بالمسؤولية من جانب آخر مع سعة إطلاعه في المشاكل الاجتماعية صنعت منه معلماً إيديولوجياً بارزاً. فكان يواجه المشاكل بقوة الفقاهة. والاجتهاد ويدخل المعركة في كل المجالات وهو غني من العلوم.

وللأستاذ أيضاً تحقيقات واسعة حول الاقتصاد والملكية. ولكنه ـ مع الأسف ـ استشهد قبل أن يتم عمله في هذا المجال. ولقد أبدى الأستاذ المطهري حول ملكية الآلة الصناعية احتمالاً يفتح باباً فقهياً جديداً في حل المشكلات الاقتصادية العصرية.

وقد ذكر هذا الاحتمال في بعض ملاحظاته التي سجلها حول الاقتصاد الإسلامي ولكنها بقيت غير منقحة ولذلك لم تطبع حتى الآن.

والظاهر أنه لم يوفق لمراجعتها ولذلك لا يمكن إسناد ذلك إليه بعنوان نظرية اقتصادية إلا أنه كما قلنا

يفتح أفقاً جديداً في الاقتصاد الإسلامي وإن كان في أصله مجرد احتمال.

قال الأستاذ:

(وفي رأينا أن للرأسمالية الحديثة ميزة خاصة تجعل منها موضوعاً جديداً في الأبحاث الفقهية وهي بروز الآلـة الصنـاعيـة على المسـرح الاقتصادي. فدور الآلة ليس مجرد تحسين وسائل الإنتاج واستخدام الإنتاج واستخـدام الإنسـان لآلـة متطـورة في عمله الإنتـاجي. بل إن التكنـولوجيا الحديثة قد جعلت الآلة بديلاً للإنسان. فالآلة الصناعية مظهر الفكر والطاقة والإرادة الإنسانية وتكامل المجتمع، وتبلور الحضارة البشرية في طول التاريخ، وحصيلة جهود الإنسان طيلة قرون متمادية. فالآلة بديلة للإنسان لا وسيلة في يده، وهي إنسان صناعي. والآلة تنتج القيمة الفائضة. بمعنى أنها تنتج مئات أضعاف الطاقة التي صرفت لصنعها.

والميزة التي اختصت بها الرأسمالية الحديثة هي أن الإنسان الرأسمالي يملك في حوزته الآلة الصناعية مع هذه القدرة الفائقة التي تتمتع بها وهو لم يخلقها ولم يخترعها وإنما اشتراها وتملكها.

فهـل يمكن أن يكـون هذا المـورد الاقتصادي الضخم ملكاً شخصياً أم يجب أن نعتبره كسائر الموارد الطبيعية ملكاً لعامة المجتمع؟).

## جـ ـ مواجهة الماركسية:

كانت الحركات الالتقاطية تهدد الإسلام دائماً بالايديولوجية الماركسية، فلم تمكن معارضة الالتقاط إلا مع مواجهـة منطقيـة مع الأصـول الفكرية الماركسية التي كانت منبع الالتقاط ومن هنا كان الأستاذ يهتم بهذه الفلسفة أكثر من أي أيديولوجية أجنبية أخرى.

كان الأستاذ يعرف الماركسية جيداً بسبب تبحره في الفلسفة ومعرفته للفلسفة الأوربية. ومن هنا كان الأستاذ أول من عرض فكراً جديداً في النقد والبحث الفلسفي حول الماركسية فهناك الخطب والمقالات التي خصصهـا بالمـاديـة والمـاركسية مضافاً إلى شريط مسجل يبلغ ثمانين ساعة حول ماركس والماركسية يعد من أعمق الأبحاث في هذا الموضوع.

وقد بدأ الأستاذ نضاله ضد الماركسية من كتابه (أصول الفلسفة) حوالي سنة ١٣٢٠ هـ. ش، الموافق لعـام ١٣٨٢ هـ. ق. وإن كان الكتـاب أثمن بكثـير من أن يخصص بالـرد على المـاركسيـة ـ كما أشـار إليه الأستاذ في مقدمة الكتاب ـ ولكن على كل حال ففي كل موضوع يتعرض له الكتاب بعد ذكر آراء الفلاسفة المسلمين يذكر في التعليقة نظريات سائر المدارس الفلسفية بما فيها الماركسية ويعقبها بالبحث والنقد.

إن التحقيق حول المـاركسيـة يعـد جانباً من اختصاص المطهري فقد قضى شطراً كبيراً من عمره في المطـالعـة والتنقيب عن المـاركسيـة وعـرف بوضـوح وجوه افتراقها عن الفلسفة الإلهية. كما بحث أيضاً عن أسباب التمايل نحو المادية والماركسية في إيران والعالم وسجلها في كتابه (أسباب التمايل نحو المادية) وتعرض فيـه لهذا المـوضـوع من الجـانب الفلسفي والديني والتاريخي والاجتماعي والاقتصادي. ولم يغفل الأستاذ أن

يعـد من الأسبـاب الهـامـة التي أدت إلى هذا التـمايـل ضعف المتدينين وجمودهم ولم يدافع أمام هذا الإلحاد وشرك القرن العشرين عن جمود الأفكار المتحجرة. قال الأستاذ في كتابه المذكور:

(إن العلل والأسبـاب التي ذكـرناها من قبيل قصور مفاهيـم الكنيسة أو قصور المفاهيم الدينية و. . . إما أنها مختصة بالعصور السابقة ليس لها دور في تمايلات عصرنا نحو المادية أو أنها من الأسباب المشتركة بين القديم والجديد ولا تختص بعصرنا، وهنا نريد أن نذكر أسباب التمايلات المادية الخاصة بعصرنا. ففي هذا العصـر نجـد أن المـاديـة لها نوع من الجـاذبيـة تقريباً ولكن ليست من نوع الجاذبية التي كانت لها في القرنين السابقين من جهة تلازمها المزعوم مع العلم والثقافة. ففي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ظهرت موجة دعائية من جراء قصور المفاهيم الكنيسية والفلسفة الأوروبية بأن الإيمان بالله والدين لا يجتمعان مع العلم فإما هذا وإما ذاك. ولكن هذه الموجة لم تدم طويلاً فتبين أن هذه الدعاية لا أساس لها. فجاذبية المادية في عصـرنـا من جهـة أخرى وهي الطابع الثوري والجدلي والنضالي الذي عرفت به). نقلاً عن كتاب (أسباب التمايل نحو المادية).

ثم أشـار الأستـاذ إلى أن أكثـر الثورات المعاصرة إما أنها ماركسية أو متمايلة إليها وفي قبال ذلك ليس للدين في هذا الزمان تلك الروح الحماسية للنضال مع الاستعمار والاستبداد. وفي ذلك أسباب هذه الظاهرة قال المطهري:

(. . . حقـاً إن هذا لعجيب ممن يدّعـون متـابعـة القرآن. ونحن نرى أن خروج المؤمنـين بالله من ساحة المعركة واحتلالها من قبل أتباع المادية لكل منهما سبب خاص.

فالسـاحـة إنما خلت من المؤمنين حينما أصبح المدعون للقيادة الدينية يطلبون العافية. وبعبارة أصح إنما حدثت هذه الظاهرة حينما جاء بعض الطالبين للعافية والحياة العادية و ـ بتعبير الدين ـ بعض أهل الدنيا واحتلوا مقـام الأنبيـاء والأئمـة واشتبـه الأمـر على النـاس فاعتبر وهم ممثلين وخلفاء للأنبياء والأئمة مع أن سلوكهم ونفسيتهم في طرف النقيض لسلوك الأنبيـاء والأئمـة وأتباعهم الحقيقيين ونفسياتهم وإذا كان هناك تشابه بين الفريقين فإنما هو في شيء يسير من المظهر الخارجي: ـ نقلاً عن كتاب (أسباب التمايل نحو المادية)

## د ـ التعرف على العلوم الإسلامية:

كان المجتمـع الإيـراني قبـل الثورة بسنين لا يملك عن الحوزات العلمية الدينية إلا تصورات مبهمة كالشبح ولا يعلم ماذا يجري هناك. وقلما كان من يعرف مواضيع العلوم الإسلامية والمسائل التي تدرس في الحـوزات العلميـة ومـاهي المقـدمات التي يتوقف عليها البحث عن القرآن الكريم وإدراك معانيه والتعرف على الأبعاد المختلفة للفكر الإسلامي. وبعد أن شاعت الأفكار الالتقاطية حدث في المجتمع هذا التصور الخاطىء وهو أن بإمكان كل واحد يملك قرآناً مع ترجمته الفارسية ومعجماً مفهرساً أن يفسر الآيات القرآنية

بلا تردد ويشـرح الأحكـام الشـرعيـة . ومن الواضح أن هذا الاستخفاف بالحقائق القرآنية والإسلامية كان يشكل خطراً عظيماً.

وفي هذا المجـال قام الأستـاذ بتعـريف المجتمـع على العلوم الإسـلاميـة ليعـرف النـاس وخصوصاً الشباب أولاً ماذا يجري في الحوزات العلمية وثانياً ما هي الوسائل التي لا يستغني عنها الباحث عن المواضيع الإسـلاميـة . ولـذلـك ألف الأستـاذ كتباً لتعريف العلوم الإسلامية وحاول فيها أن يشرح ببيان مبسط قدر الإمكـان، الأصـول والمـواضيـع الكليـة لمبـاني التفكـير الإسلامي بما فيها الفلسفة والكلام والمنطق والفقه وأصول الفقه والعرفان و. . . ومراجعة هذه المجموعة من كتب الأستاذ بالرغم من صغر حجمها واختصار مطـالبهـا التي هي مجرد تصـويـر إجمـالي للمعـارف الإسلامية لجديرة بأن تؤدي دوراً هاماً في منع الانحراف الناشيء من عدم التأمل وعدم نضج التفكير وكذلك في توطيد المباني الفكرية والعقائدية .

ونحن إذا تأملنا آثار المؤلفين المسلمين وجدناها ضعيفة جداً من حيث أسلوب البيان وبساطة التعبير وقلما نجـد في الكتب الأيـديـولـوجيـة كتـابـاً سهـل التناول يكون في نفس الوقت عميقاً في المطالب قوياً في الاستدلال . ومع هذه الملاحظة إذا لاحظنا كتب الأستاذ من قبيل (الفقه وأصول الفقه) و(المنطق والفلسفة) و(العـرفـان) و. . . التي دونهـا بتعبـير بسيـط وهي متن أبحـاثـه في الجامعة لرأينا فيها دقة النظر ورقة البيان وعظمة الفن وشفقة الأستاذ .

ولا يسعنـا إلا أن نتحسـر على الأستـاذ المطهـري الذي بين المجدين والفضيلتين مداد العلماء ودماء الشهـداء والتحق في هذا الطـريق بشهـداء الإسـلام الأمـاجـد كالشهيد الأول والشهيد الثاني و. . . ولئن استشهـد فإن شمس دمـائـه المشرقة زادت سماء الإسلام مجداً وعظمة . وأفاضت بالنور والطاقة على الثورة الإسـلاميـة فمنحتهـا حياة وحركة جديدة . وعاد الناس يلجؤون إلى الإسلام الأصيل وينتفعون من عيونه البكر الصافية . ويتطهّرون منها روحاً وجسماً لدى شروق فجر الأفكار من القمم العالية للفلسفة والعرفان . . .

## الآثار القيمة للأستاذ
## الشهيد اية الله مرتضى المطهري

الأستـاذ مرتضى المطهـري الكـاتب العبقـري . والخطيب المصقـع . الأستـاذ في الجـامعـة والمدرِّس في الحوزة . الواعظ المبلغ . والفيلسوف الأوحدي . عالم الدين والمنطق والفصاحة . الخبير بالشؤون الإسـلاميـة . الذي قضى عمره في تمييز الأفكار المنحرفة غرباً وشرقاً عن الفكر الإسلامي الأصيل . والذي كان بفضل خصائصه المختلفة كجسر بين عالم الدين والجامعي والمثقف والأستاذ

والمحقق من جانب وبين عامة أفراد المجتمع من جانب اخر. رجل الزهد والتقوى والخلق الكريم والجهود المتواصلة. الذي حمل الإسلام إلى جميع الأوساط الاجتماعية وبتدريسه وتبليغه ووعظه وإرشاداته في المسجد والحوزة والجامعة بالغ في حراسة المواقع الإسلامية الكبرى. وكان حقاً ملجأ الشباب والمحققين الذي صانهم من العثرات في ظلمات الوساوس والشبهات والمنطق الأجنبي.

وأخيراً وفي ليلة دهماء نال درجة الشهادة وبفقدانه فجع الدين والإنسانية وارتدى المسلمون السواد وأصيب الإسلام وما أجمل ما ورد في الحديث: [إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء].

هذا وقد خلّف الأستاذ في عمره القصير آثاراً جليلة. وقد حاولنا هنا أن نذكرها سواء ما طبع منها وما لم يطبع. وقد بذلنا الجهد حدّ الإمكان في دقة هذا الفهرس وقلة أخطائه. وإليك فيما يلي ترجمة أسماء كتبه وسائر آثاره:

## القسم الأول: الكتب.

أ ـ الكتب المنشورة:

١ ـ أسباب التمايل نحو المادية.

٢ ـ المادية في إيران. طبع منضماً إلى الكتاب السابق وله اسم آخر هو (المقال الذي سطر بالدم).

٣ ـ الإمدادات الغيبية في حياة البشر.

٤ ـ لن تغرب شمس هذا الدين. طبع منضماً إلى الكتاب السابق.

٥ ـ الرشد الإسلامي. طبع منضماً إلى الكتاب السابق.

٦ ـ الإدارة والقيادة في الإسلام.

٧ ـ نظام حقوق المرأة في الإسلام.

٨ ـ مسألة الحجاب.

٩ ـ السلوك الجنسي في الإسلام والغرب.

١٠ ـ الخدمات المتبادلة بين الإسلام وإيران ج١.

١١ ـ الخدمات المتبادلة بين الإسلام وإيران ج٢ وقد أضيف إليه في الطبعة الثانية.

١٢ ـ العدل الإلهي.

١٣ ـ مرور على نهج البلاغة.

١٤ ـ الإنسان والمصير.

١٥ ـ جذب الإمام علي(ع) ودفعه.
١٦ ـ ثورة الإمام المهدي(ع) من وجهة نظر الفلسفة والتاريخ.
١٧ ـ الولاء والولاية طبع منضماً إلى كتاب الخلافة والولاية الطبعة الأولى.
١٨ ـ ختم النبوة. طبع منضماً إلى كتاب خاتم الأنبياء المجلد الأول.
١٩ ـ النبي الأمي (ص) طبع منضماً إلى كتاب خاتم الأنبياء المجلد الثاني.
٢٠ ـ الحركات الإسلامية في القرن الأخير.
٢١ ـ التكامل الإجتماعي في الإسلام.
٢٢ ـ إحراق الكتب في إيران ومصر. (مقال من كتاب الخدمات المتبادلة بين الإسلام وإيران).
٢٣ ـ الإنسان والإيمان (مقدمة على التفسير الإسلامي للكون ج١).
٢٤ ـ تفسير الكون (مقدمة على التفسير الإسلامي للكون ج٢).
٢٥ ـ الوحي والنبوة (مقدمة على التفسير الإسلامي للكون ج٣).
٢٦ ـ قصص أهل الحق ـ الجزء الأول.
٢٧ ـ قصص أهل الحق ـ الجزء الثاني.
٢٨ ـ مجموعة من المقالات.
٢٩ ـ عشرون مقالة. (مجموعة من خطبه المذاعة).
٣٠ ـ عشرة مقالات. (قسم من مقالاته في كتاب: مقال الشهر و. . .).
٣١ ـ التحصيل. (تصحيح وتعليق على كتاب بهمنيار).
٣٢ ـ أصول الفلسفة ج١ (مقدمة وتعليق على أبحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي).
٣٣ ـ أصول الفلسفة ج٢ (مقدمة وتعليق على أبحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي).
٣٤ ـ أصول الفلسفة ج٣ (مقدمة وتعليق على أبحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي).
٣٥ ـ أصول الفلسفة ج٥ (مقدمة وتعليق على أبحاث الأستاذ العلامة الطباطبائي).
٣٦ ـ المجتمع والتاريخ.
٣٧ ـ الحياة الخالدة أو الدار الآخرة.

ب ـ الكتب التي لم تنشر:

لقد ترك الأستاذ كتباً وأبحاثاً كثيرة لم تطبع قيل أنها أكثر من أربعين كتاباً ونرجو أن تنتشر قريباً بفضل الجهود المبذولة. ويسرنا أن قسماً منها تحت الطبع، إليك فيما يلي أسماؤها:

١ ـ المقالات الفلسفية.
٢ ـ المعرفة في القرآن.
٣ ـ معارف الإنسان.
٤ ـ الإمامة والقيادة.

٥ ـ الإنسان من وجهة نظر الماركسية والإسلام.
٦ ـ الاقتصاد الإسلامي.
٧ ـ الفطرة وقيمتها.
٨ ـ فلسفة التاريخ.
٩ ـ الإسلام ومتطلبات العصر.
١٠ ـ الرقيّة.
١١ ـ أبحاث حول سيرة الرسول الأكرم (ص) وتاريخ الإسلام.

القسم الثاني: المقالات

أ ـ المقالات المجموعة في كتاب (عشرون مقالة).
١ ـ العدالة في رأي الإمام علي (ع).
٢ ـ مبحث العدالة في علم الكلام.
٣ ـ المباني الأولى للحقوق في الإسلام.
٤ ـ الحقوق مهمة والدنيا حقيرة.
٥ ـ العدالة أو المساواة.
٦ ـ الله يرزق وعلينا الجهد والسعي.
٧ ـ الإمام الصادق عليه السلام.
٨ ـ الإمام الكاظم عليه السلام والسجن.
٩ ـ منافع الشدائد والبليات.
١٠ ـ فوائد الإيمان وآثاره.
١١ ـ الدنيا في رأي الدين.
١٢ ـ العلم والإسلام.
١٣ ـ العبوديات.
١٤ ـ العقل والقلب.
١٥ ـ ماذا يعلمنا فصل الربيع.
١٦ ـ التفكّر في القرآن.
١٧ ـ القرآن يستدل بالحياة على التوحيد.
١٨ ـ الدعاء.

١٩ ـ النظام الإداري في الإنسان.
٢٠ ـ الإنكارات الخاطئة.
٢١ ـ أصالة الروح (مقال في مجلة مكتب تشيع).
٢٢ ـ القرآن ومسألة من الحياة (مقال في مجلة مكتب تشيع و. .)
٢٣ ـ الاجتهاد في الإسلام.
٢٤ ـ دور العقل في الاجتهاد.
٢٥ ـ التوحيد والتكامل.
٢٦ ـ السعادة.
٢٧ ـ التضاد في الفلسفة الإسلامية.
٢٨ ـ تاريخ الفلسفة في الإسلام.
٢٩ ـ الغدير والوحدة الإسلامية.
٣٠ ـ المشكلة الأساسية في نظام علماء الدين.
٣١ ـ الشهيد.
ب ـ المقالات المجموعة في كتاب: (عشر مقالات).
١ ـ التقوى في الإسلام.
٢ ـ آثار التقوى.
٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٤ ـ الاجتهاد في الإسلام.
٥ ـ إحياء الفكر الديني.
٦ ـ العلم فريضة.
٧ ـ قيادة الشباب.
٨ ـ الوعظ والخطابة.
جـ ـ مقالات أخرى.
١ ـ السلوك الجنسي.
٢ ـ إيران والإسلام.
٣ ـ مرور على نهج البلاغة
٤ ـ المرأة في حقوق الإسلام.
٥ ـ الإسلام وإيران.
٦ ـ أي دنيا يذمها علي عليه السلام.
٧ ـ الزهد رهبنية أم معنوية.

٨ ـ هل الدنيا والآخرة ضرتان؟
٩ ـ حول فيلم (المحلل).
١٠ ـ الدنيا المذمومة.
١١ ـ صداق الدّم.
١٢ ـ إلهام من شيخ الطائفة.
١٣ ـ إله العالَم والعالِم.
١٤ ـ خدمات المرحوم آية الله البروجردي وخصائصه.
١٥ ـ التفسير الإلهي والمادي للكون.
١٦ ـ أسئلة أبي ريحان الفلسفية من ابن سينا (تحقيقات حول أبي ريحان البيروني).
١٧ ـ حديث صحفي مع الفيلسوف الشهيد مرتضى المطهري.

بالرغم من الجهود التي بذلناها ليكون هذا الإحصاء كاملاً ولكن يمكن أن تكون هناك مقالات من الأستاذ لم يأت ذكرها في هذه الاحصائية.

## القسم الثالث: الأشرطة:

| أ ـ المباحث المفصلة | عدد الأشرطة |
|---|---|
| ١ ـ الإمامة والولاية | ٥ |
| ٢ ـ مستقبل الثورة الإسلامية في إيران | ١٠ |
| ٣ ـ المعرفة بين وجهة نظر القرآن | ٢٠ |
| ٤ ـ النظريات حول المعرفة | ١١ |
| ٥ ـ خصائص المدرسة المثلى | ١٠ |
| ٦ ـ فلسفة التاريخ | ٣ |
| ٧ ـ الإنسان الكامل | ١٣ |
| ٨ ـ الله تعالى | ١٠ |
| ٩ ـ التعليم والتربية في الإسلام | ١٥ |
| ١٠ ـ حركة التحرير الإسلامية | ٣ |
| ١١ ـ الإنسان من وجهة نظر الماركسية والإسلام | ٢ |
| ١٢ ـ الجهاد والشهادة | ٢ |
| ١٣ ـ فلسفة الأخلاق | - |
| ١٤ ـ الهجرة والجهاد | ٤ |

| | |
|---|---|
| ١٥ ـ التاريخ والفلسفة | ٣ |
| ١٦ ـ الفطرة | ٥ |
| ١٧ ـ التوحيد | ٦ |
| ١٨ ـ فلسفة الحجاب | ٢ |
| ١٩ ـ العبادة والدعاء | ٣ |
| ٢٠ ـ الشفاعة | ١١ |
| ٢١ ـ سيرة الرسول الأكرم (ص) | ٢ |
| ٢٢ ـ حلقة في حسينية الإرشاد | ٧ |
| أيام عاشوراء | (برفقة سائر الأساتذة) |
| ٢٣ ـ التضاد والحركة في | - |
| الفلسفة الإسلامية | ٢ |
| ٢٤ ـ عرفان حافظ الشيرازي | ٥ |
| ٢٥ ـ مفهوم الثورة وماهيتها | ٢ |

ب ـ المباحث المختصرة ذات مجلس واحد

١ ـ عصر الإمام الصادق عليه السلام.
٢ ـ حرية العقيدة.
٣ ـ العدل الكلي.
٤ ـ التقليد.
٥ ـ الأثر الاجتماعي للتوحيد.
٦ ـ التوحيد الذاتي.
٧ ـ الأثر الفردي للتوحيد.
٨ ـ الحرية المعنوية.
٩ ـ الإسلام وحاجات العالم اليوم.
١٠ ـ المهدي الموعود.
١١ ـ الإسلام ومتطلبات العصر.
١٢ ـ أهداف علماء الدين في الحركات الإسلامية.
١٣ ـ تجديد الحياة الفكرية في الإسلام.
١٤ ـ حقوق المرأة في الإسلام.
١٥ ـ الأمر بالمعروف.

١٦ ـ الشعارات في عاشوراء.
١٧ ـ الحرية والرقيّة.
١٨ ـ إحراق الكتب في الاسكندرية.
١٩ ـ الرقية وعظمة الروح.
٢٠ ـ إحياء الفكر الإسلامي.
٢١ ـ الإرادة.
٢٢ ـ الإنسان الأمثل ومُثل الإنسان.
٢٣ ـ استشهاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.
٢٤ ـ مشاكل الإمام علي عليه السلام.
٢٥ ـ الفقه الجعفري.
٢٦ ـ التربية والتعليم في الإسلام.
٢٧ ـ فكرة (الله) في حياة الإنسان.
٢٨ ـ أصول البحث في الفقه.
٢٩ ـ مفهوم الحرية في الإسلام.
٣٠ ـ الاجتهاد والقياس لدى الأصوليين والإخباريين.
٣١ ـ منابع البحث في فلسفة صدر المتألهين.
٣٢ ـ الحب والمسيحية.
٣٣ ـ حياة الرسول الأكرم (ص).
٣٤ ـ الجبر والاختيار.
٣٥ ـ القوانين الإسلامية وتطور العالم الحديث.
٣٦ ـ أسباب سقوط المسلمين.

القسم الرابع: الأبحاث والجلسات.

أ ـ مجالس البحث.

كان الأستاذ الشهيد يقوم بالتدريس في مواضيع قيمة وضرورية ضمن جلسات عامة وخاصة. وتقرير تلك الدروس أو تحرير مضمون أشرطتها يشكل كتباً متعددة قيمة. ونشير هنا إلى بعض تلك المجموعات.

١ ـ تحقيقات حول الفكر الماركسي (في أكثر من ١٢٥ جلسة)
٢ ـ الفلسفة الإسلامية. (بحوث عديدة في الحوزة العلمية في قم وطهران).
٣ ـ تفسير القرآن.

٤ ـ الأبحاث العديدة التي ألقاها في كلية الإلهيات حول المواضيع المختلفة من العلوم الإسلامية.

ب ـ الرسائل الجامعية حول بحوث الأستاذ:

١ ـ المسائل العامة في الفلسفة الإسلامية.

٢ ـ المسائل العامة في أصول الفقه.

٣ ـ المسائل العامة في الفقه.

٤ ـ المسائل العامة في المنطق.

٥ ـ المسائل العامة في العرفان.

٦ ـ أكثر من ثلاثين رسالة في أطروحات الماجستير والدكتوراه التي أعدت تحت إشراف الأستاذ المطهري قدس الله روحه الطاهرة.






**برنامج اليوم الأول من المؤتمر الدولي لدراسة أفكار العلامة مرتضى المطهري**

**«الأحد ٥/ ٥/ ١٩٩١م».**

١ ـ تلاوة في كتاب الله . . مجيد درايتي من الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٢ ـ كلمة حجة الإسلام الدكتور محمد خاتمي. ألقاها نيابة عنه حجة الإسلام الشيخ محمد شريعتي المستشار الثقافي للجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق.

٣ ـ كلمة الأستاذ نبيل تللو المسؤول الثقافي في مكتبة الأسد رحب فيها بالمؤتمرين.

٤ ـ د. عبد الكريم الأشتر ـ سوريا

٥ ـ آية الله السيد محمد حسين فضل الله ـ لبنان.

٦ ـ نشيد أداء فرقة الإنشاد في المدرسة الإيرانية بدمشق.

٧ ـ د. زهراء الخميني كريمة الإمام الراحل.

٨ ـ الشيخ محمد حبيب صهيب الشامي مدير أوقاف حلب وأستاذ جامعي.

رئاسة الجلسة:

١ ـ العلامة فضل الله. ٢ ـ حجة الإسلام الشيخ محمد حسن اختري سفير الجمهورية الإسلامية الأيرانية في دمشق. ٣ ـ الشيخ مرسل نصر. ٤ ـ د. عبد الكريم الأشتر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾

أيها السادة المؤتمرون

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

في معترك الصراع الفكري بين الإسلام والنظريات المادية التي غزت الأمة الإسلامية مع بدء المحاولات الاستعمارية لفرض الهيمنة على موارد وثروات الأمة . لمعت في ليل تلك الحقب المظلمة من تاريخ الأمة الإسلامية نجوم مازالت وستظل تتلألأ في سماء العلم والفضيلة والفكر لتهدي أجيال الأمة الآتية نحو السبيل الذي اختاره الله سبحانه لها كخير أمة أخرجت للناس .

وفي بلد الثورة والإسلام إيران كان العلامة الشهيد «مرتضى المطهري» قمة من قمم الفكر والجهاد التي أنجبتها الأمة عبر العصور حيث كان من العلماء الذين إذا ما اختفوا فسينحني لهم التاريخ إجلالاً لما أسدوه للإسلام من خدمات وما شهدته لهم سوح الجهاد من بطولات مجيدة .

لقد كان المطهري من القلائل الذين اقتنعوا بأن الخلل بات قائماً في وعي الأمة وشعورها بالمسؤولية ومعنوياتها ، فتجلى لينحو نحواً تغييرياً آخذاً بأيدي أبناء الأمة ولا سيما الشباب منهم إلى مستوى العودة إلى مسيرة الأمة في ظل الإسلام عبر ما خاضه من جهاد فكري واسع تدل عليه كثرة مؤلفاته فكان المطهري من أبرز العلماء المجددين الذين قادوا قافلة النهضة الإسلامية في إيران والتي تكللت بقيام الجمهورية الإسلامية .

أيها السادة المشاركون : إن مما يميز شخصية المطهري أنه في الوقت الذي تبنى العمل التغييري الشامل في حياة المجتمع الإيراني الفكرية والسلوكية والاجتماعية كان في مقدمة الذين تصدوا لخوض العمل السياسي ومقارعة النظام البائد مما جعله من حواري الإمام المقربين حتى قال أنه قطعة من كبدي وحمّله مسؤولية رئاسة مجلس قيادة الثورة ، الأمر الذي جعل أعداء الإسلام والثورة يستهدفونه كقطب من أقطاب الثورة فامتدت إليه أيديهم الآثمة في مثل هذه الأيام لتحرم الأمة من عطائه الفكري والسياسي والعلمي الذي لم ولن ينتهي بتصفيته جسدياً .

وانتهز فرصة عقد هذا المؤتمر لنؤكد وصية الإمام الخميني (قدس الله سره) بضرورة دراسة أفكار هذا العلامة المجاهد وهي شهادة صدق له بطول باعه في دنيا العلم والمعرفة، كما أشكر العلماء والأساتذة الذين آزروا المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق في عقد المؤتمر من خلال بحوثهم القيِّمة التي ستلقى فيه، كما نشكر السيد وزير الأوقاف لرعايته المؤتمر والأخوة المسؤولين في الحقل الثقافي الإعلامي في سوريا الشقيقة لتعاونهم معنا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السيد محمد خاتمي
وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي في الجمهورية
الإسلامية الإيرانية



# السمات العامة لفكر الأستاذ الشهيد مرتضى المطهَّري

الدكتور عبد الكريم الأشتر

أيها السادة!

**أرجو أن تأذنوا لي، في البدء، في شكر السيد الأستاذ الشيخ محمد شريعتي المستشار الثقافي للجمهورية الإسلامية الإيرانية، والعاملين معه، أن هيؤوا لنا هذا اللقاء المثمر، وفي شكرهم أيضاً لما ينهضون به من جهاد القلب والعقل. وأسأل الله أن يوفيهم أجر العاملين الصامتين.**

**القصد من هذا الحديث أن نلمّ بأبرز السمات العامة التي تتجلى لقارىء هذا المفكر المؤمن (مرتضى المطهَّري). وقد استوحيته من جملة الموضوعات التي عرضتها المستشارية الثقافية على المتحدثين في هذه الندوة، ليختاروا أحاديثهم منها.**

ولكني أرجو أن تسمحوا لي أن أبدأه بأربع ملاحظات:

**الأولى**: هي هذه الجفوة التي تقارب الانقطاع المفتعل بين مذاهب الفكر الإسلامي. فإن المثقفين من أهل السنة لا يكادون يلمّون إلماماً سليماً بالفكر الإسلامي الشيعي، ولا يكادون يعرفون رجاله معرفة صحيحة. وقد نتج عن هذا إحساس عميق بالغربة، تحوّلت أحياناً إلى ما يشبه القطيعة بين المذهبين. وتكوّنت لكل منهما مكتبة خاصة يكاد الناشئون من أهلها لا يعرفون شيئاً عن مكتبة المذهب الآخر، وكتبها ورجالها. لقد زرت يوماً داراً لنشر التراث الإسلامي، تراث أهل البيت، في مدينة قم، وتصفحت بعض ما تنشره، وراجعت مصادر تحقيقه، فرأيتها تقرب، في فتور كبير، من مصادر أهل السنّة. إن مفكراً عظيماً من مفكري الإسلام، كالشهيد المطهَّري، استطاع أن ينقل الفكر الإسلامي إلى مستوى الدعوات العالمية في هذا العصر، يمكن أن يظل بعيداً عن مفكري أهل السنّة. وإن مفكراً عظيماً من مفكري الإسلام، كمالك بن نبي مثلاً، الذي تفحّص واقع المسلمين وعرّاه تعرية جريئة، وعمّق درسه للركائز الفكرية في حضارة الغرب، يمكن أن يظل بعيداً عن مفكري الشيعة.

ثم إنّ الباحثين من الطرفين، نتيجة هذا، أصبحوا، إذا نظروا في تراث الطرف الآخر، ضحايا

الوقوع في أخطاء كبيرة، إذ يجدون أنفسهم يسبحون في مياه لا يعرفون عمقها ولا يعرفون منابعها إلّا بالقدر الذي أهّلتهم له معرفتهم بتراث الطرف الآخر.

**والملاحظة الثانية**: أن مثل هذه الندوات والبحوث والدراسات والأحاديث، ينبغي أن تفهم الغاية منها فهماً صحيحاً أيضاً. فالغاية أن يقترب بعضنا من بعض، ويطّلع على دخائل بعضنا الآخر، ليفسر السبيل إلى فهم أنفسنا فهماً أفضل، وتفحّص واقعنا الإسلامي، والوقوف على أدوائه وطبّه. ما أعتقد أن أناساً منا، إلّا الحمقى، يمكن أن يظنوا أن في الإمكان أن ينتقل طرف منا إلى المواقع الفكرية للطرف الآخر. ولكن أحداً منا لا يظن أبداً أن الأقدار كتبت علينا أن نسير، إلى نهاية الزمان، في خطين متوازيين: فنحن، في النهاية، نؤمن بكتاب واحد، ونرجع في الجملة إلى مصادر تشريع واحدة، ويجمعنا تاريخ واحد، وواقع بائس واحد، وينتظرنا، مهما تباعدنا، مصير واحد. إن من يسير في العالم الإسلامي، ويدخل مساجده، ويصلّي مع المصلّين فيه، ويطوف بأسواقه وحوانيته، ويزور بيوته، ويأكل طعامه، ويتحدث إلى أهله، يدرك، على نحو لا أستطيع وصفه، أنه لو مدّ يده أوشك أن يلمس جدران بيته!

فمن هنا يكون لهذه الندوة التي تتدارس أفكار الشهيد المطهّري معناها الخاص. فهذا رجل أعلى الإسلام، في جملة دراساته، فوق المذاهب. وارتفع في درْس مُثُله وشرائعه وتعاليمه، ورفعنا معه، إلى مستوى إسلامي جامع يستشرف فيه الفرد المسلم، في أمم الإسلام، على اختلاف ديارها وقومياتها، أفق الإسلام الفسيح. يكفي أنه كان يدعو إلى أن تُدخل إيران درس اللغة العربية، لغة القرآن، في مناهج الدراسة، منذ المدرسة الابتدائية. إذ كيف يتيسر، في رأيه، للمسلم الذي يريد أن يفهم روح الإسلام وكتابه، على غير معرفة بلغته التي أُنزل بها؟

**الملاحظة الثالثة**: أن الرجل الذي نحتفل بذكره اليوم، وندرس فكره، استطاع أن يرقى بسلوكه وفعله إلى مستوى المثال الذي تمثّله، والمبدأ الذي آمن به. فهذا هو الامتحان العسير الذي يسقط فيه كثير من قادة الفكر، على مدى التاريخ. وهو المعيار الصحيح الذي يزن قدْر رجاله في كل عصر. وهو الذي وصل به إلى مرتبة الأستاذية المطلقة، وانتهى به، آخر الأمر، إلى مرتبة الشهادة.

**الملاحظة الرابعة**: أن هذا الرجل انطلق في دراساته كلها، من إيمان مطلق بكتاب الله، وحكّمه في قضايا الفكر التي عالجها، وجعله معيار كل حقيقة أقرّها، مهما يكن موضعها من مسائل الفكر الإنساني، وتاريخ شعوبه، ولكنه، مع هذا، كان يجتهد أن يركن دائماً إلى العقل، وينفذ إليه، بعيداً عن المسلّمات الدينية التي يختلف الناس فيها. ثم يعودُ في النهاية إلى كتاب الله، فتضيء آياته في يديه بنور جديد ما أشد ما نفتقده في كثير من بحوث الفكر الديني الإسلامي في هذا العصر الذي نمتْ فيه الثقافات الإنسانية على اختلاف علومها، وتدفقت على الناس كشوفها المذهلة. إن هذا لا يعني بالطبع أن كثيراً مما أقرّه يمكن أن يقتنع به جميع الناس، على اختلاف مشاربهم ومواقفهم من الدين وأحكامه. ولكن المطهّري يظل، في النهاية، مفكراً دينياً معاصراً، يجد فيه المثقفون، المسلمون على وجه الخصوص، ما يُقْوى به إيمانهم بالله

الواحد وبتراثهم الديني العريق، وبمُثُله وأهدافه الإنسانية، ويُنفي عنهم كثيراً من الأوهام التي دسَّها المغرضون على الإسلام، وتقوى به ثقتهم بأنفسهم، وبما اختاروه لها، في مواجهة تيارات الثقافات العالمية، والأفكار التي تأتي بها فلسفاتها ومذاهبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، مثلُ المادية والوجودية والليبرالية وغيرها.

أيها السادة!

لا يستطيع، في كل حال، من يرجع إلى التراث الذي خلّفه المطهّري، مهما يكن موقفه من الدين وأحكامه، ومن الإسلام بخاصة، من أي مذهب كان، وعلى أي جبهة من جبهات الفكر الإنساني يقف، وإلى أي صف من صفوف السياسات والأنظمة المعاصرة ينحاز، أن ينكر أن هذا المفكر الإسلامي صاحب ذهن خصب مولّد، يفتُق الأفكار، ويلقّح بعضها ببعض، ويركّب منها أبنية فكرية جديدة تدعم رأيه وتصوّب تحليله، وأنه قد يبلغ من قوة التحليل أحياناً أن تتفرّع المسائل في يديه، في خطوط كثيرة يسوق القارىء سوقاً إلى تتبعها وملاحقة تفرّعها.

لقد استجلب، مثلاً، وهو يحال أفكار الفيلسوف الألماني المادي (فورباخ) في نشأة الدين «بسبب تغرب الإنسان عن نفسه» كما يقول، استجلب استنباطاً من القرآن الكريم يوحي «بأن الإنسان يعاني أحياناً من حالة يشعر فيها أن فاصلة تفصله عن نفسه»، ويصل بينه وبين الآية الكريمة التي تقول: ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم﴾، ويرد عليه هنا أن الفلاسفة المسلمين تنبهوا إلى هذا الموضوع، كما يقول، وتعمقوا بحثه. ويقوده هذا إلى مراجعة أساس التصوف والعرفان، المبني، كما يقول، على التفريق بين النفس الحقيقية والأنا الحقيقية وبين النفس والأنا الخياليتين، أي شق أستار النفس والأنا الخياليتين لبلوغ الأنا الحقيقية. ويذكّره هذا بالمثل الذي يضربه الشاعر الفارسي (مولوي)، في بعض شعره، عن خطأ الإنسان في التمييز بين جانبه الروحي المعنوي، وهو جانبه الحقيقي، كما يقول وبين جانبه المادي. ويردّه قول (مولوي) من جديد إلى القرآن وآيته الكريمة ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾، ويولّد منها فكرة التلازم بين العثور على النفس والعثور على الله، ويصل بينها وبين الحديث القائل «من عرف نفسه عرف ربه». ويقرّر بعدها أن القرآن لا يفصل بين معرفة النفس ومعرفة الله، وأن قضية التغرب والغربة مع النفس، في نهاية المطاف، ليست جديدة على المسلمين والمعارف الإسلامية، بل هي، كما يقول، «تبدأ من القرآن وتسير منذ أكثر من ألف سنة في مسار خاص».

ويقف هنا ليتحوّل إلى بحث نقدي في مسألة الاغتراب عن النفس، في الفلسفات الغربية، منذ (هيجل)، فيأخذ على الماديين أنهم ينكرون وجود النفس من ناحية، ويتحدثون عن الاغتراب عنها، من ناحية أخرى!

ثم يعود إلى (فورباخ) فينقل رأيه في حتمية غروب شمس الدين مع ازدياد معرفة الإنسان بنفسه، بعد أن جعلت اليهودية الإله شبيهاً بالإنسان، وجعلته المسيحية أقرب إلى الإنسان، وأظهرته للعيان بصورة

الإنسان. ثم يأخذ في نقد هذا الرأي مرحلة مرحلة على أساس تاريخي أولاً، وعلى أساس فكري فلسفي من بعد، يظهران تناقضه ونقصه في تفسير ثنائية الإنسان في فلسفة فورباخ. ويعود إلى واقع البشرية فيستشهد به في أن قسماً منها «ظلّ دائماً على نبله وشرف أصالته الإنسانية»، وهو القسم الذي ظلّ يؤمن بالله وبالدين وأصوله». ثم يطلق في النهاية حكمه على مجمل النظرية قائلاً: «تلك، على كل حال، نظرية منسوخة» لينتهي، في آخر الأمر، إلى إثبات أن الدين ﴿هو فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾[1].

الذي أريده من سَوْق هذا المثل الطويل أن أمثّل لخصوبة هذا الفكر وقدرته على التوليد واستجماع الأفكار في وقت واحد، للوصول في النهاية إلى أبنية فكرية (أحكام) جديدة ومتماسكة. وسينفعنا استذكار هذا المثل من بعد في استخلاص بعض السمات الأخرى في فكر (المطهّري).

فعلى هذه الشاكلة نجده يحلّق في بحوثه ودراساته في آفاق الشرق والغرب، ويطوف بالفلسفات القديمة والحديثة، وينقل آراء رجالها، ويتصدى للأنظمة السياسية والاجتماعية المختلفة، ويواجهها بالنظام الإسلامي، ويثبت قدرته على توهينها أو نقضها، بما يحقق لهذا الفكر صفة العالمية، بمعنى اتصاله بالفكر العالمي شرقاً وغرباً، سعياً منه إلى وضع الإسلام، ـ كنظام للحياة الكاملة ـ في مواجهة الأنظمة الأخرى في العالم.

وعلى هذه الشاكلة أيضاً تتحقق لهذا الفكر الإسلامي (فكر الشهيد المطهري) صفة المعاصرة التي يفتقدها ـ أحياناً كثيرة ـ دعاتُه من مختلف المذاهب ويخسرون، في افتقادها، كثيراً من قدرتهم على إقناع الناشئة من المثقفين وطلّاب المعرفة على وجه الخصوص.

وبهذه الصفة في فكر المطهّري يتصل انفتاحه على الواقع الإسلامي في شتّى دياره، ووقوعه على أمسّ الموضوعات بمعاناته وإشكالاته، حتى لتسدّ كتبه ورسائله، في هذا الجانب منها، ثغراً ما تزال مفتوحة فيه، على نحو ما نجد في موقفه من مسألة الزهد وتمتع المسلم بلذات الدنيا فالزهد، كما يرى، من المفاهيم الإسلامية السامية البنّاءة التي انحرفت في أذهان المسلمين». والإسلام، كما يقول، «يرفض أي انفصال بين العمل الدنيوي والأخروي». ويُدخل نشاط الإنسان في الدنيا ضمن العبادات، ما دام صاحبه يستهدف فيه خدمة الصالح العام. وينفي أن تكون هناك لذّة محرّمة ما دام المتمتع بها يقف عند حدود الله». فدور الزهد في الإسلام هو في خلْق روح التكافل الاجتماعي. فإذا أخذ به الحاكم المسلم خَلَق في المجتمع معايير لتقويم الأفراد، لا ترتبط بالمال والمتاع، وهذا هو الذي يحققه وصف نبي الإسلام بخفّة المؤونة: «كان خفيف المؤونة».

وعند هذه المعادلة بين التمتع والزهد يلفت المطهّري نظر الناس عن «الانغماس في تلبية حاجات الجسد المادية لأنه يغلّظ الحس ويضخّمه، ويغلق منافذ المشاعر الإنسانية، ويحوله إلى اللذات المعنوية، مثل لذة الدعاء ولذة الاتصال بالله، ولذة التضحية، ولذة طلب العلم والتفكير والعطاء[2].

ومن هذه الوجهة يبدو فكر (المطهَّري) فكراً نقدياً جريئاً، لا يبالي أن يقتحم على المسلمين مواطن الضعف ويعرّيها، حاكمين ومحكومين على السواء. إن العيب في ما يعاني منه المسلمون اليوم ـ كما ينقل عن الشاعر الباكستاني محمد إقبال ـ يكمن في المسلمين لا في الإسلام: «الإسلام حيّ، بل هو مبعث حياة. والعيب في فكر المسلمين وفي فهمهم الجامد الميّت للإسلام. إن الإسلام لم يمت، ولكنّ المسلمين هم الذين ماتوا. وهم في حاجة إلى نفحة قدسية تحييهم، وتعيد إليهم دورهم الرسالي على الساحة التاريخية».

«إنّ حياة المسلمين اليوم تُبرز الصورة المشوّهة المضحكة للإسلام الممسوخ؛ فقد انقلبت فيها الموازين والمفاهيم والضمائر. فليس غريباً إذن أن يفتقد الإسلام قدرته على التأثير والعطاء، وعلى الدفع والتحريك والتوعية».

»إن دعوة الإسلام ـ كما يقول المطهَّري ـ هي دعوة إلى الحياة، وإلى خلْق المجتمع المترابط المتكافل المتضامن. فأين المسلمون اليوم، كما يقول، من هذا الترابط العضوي؟ هل يقف المسلمون اليوم، كما يقول «على مستوى المسؤولية من قضية فلسطين؟ هل يجسّدون في موقفهم قول رسول الله: من سمع مسلماً ينادي يا لَلمسلمين فلم يجبه، فليس بمسلم». «إن كل إنسان مسلم واع، يقول المطهَّري، يرى أجزاء العالم الإسلامي تتعرض لأبشع أنواع المجازر الوحشية، ولأفظع انتهاكات الحرمات الإنسانية، دون أن تظهر على المسلمين آثار المواساة والتجاوب العاطفي والعملي. بل الذي يزداد ظهوراً فيهم اتجاههم نحو المزيد من الشقاق والنفاق والعداء»[٣].

وقد وصل المطهَّري في نقده إلى أن يعمّ به المسلمين من مختلف المذاهب، وفيها مذهبه، فحق هذا لفكره صفة النزاهة والموضوعية في أخص ما يؤخذ على كثير من الدعاة، في كثير من الأحيان.

فكر المطهَّري إذن فكر إصلاحي يرمي إلى النهوض بحياة المسلمين، وبالمجتمع الإسلامي، على أساس التمسك بحبال العقيدة الصافية، عقيدة التوحيد المطلق، والعودة إلى جادة الإسلام الحي، ونفي مظاهر الموت التي رافقت مسخ المفاهيم الإسلامية الأصيلة في المجتمعات الإسلامية[٤]. لقد كان يدرك أن الدين على إطلاقه، وفي مجمل معانيه، يقابل في هذا العصر تحدياً صعباً، فاتجه في بحوثه الفلسفية إلى إثبات أن الدين الذي يعني في نهاية أمره الإخلاص لله والصدق في عبادته، هو غاية الحياة الإنسانية وهدفُها السامي. ذلك أن الإيمان في ذاته هدف، لأنه يعني ارتباط الإنسان بالحق. والارتباطُ بالحق في نظر الإسلام كمال. والعبادة العليا هي وسيلة لارتباط الإنسان بالله، وليست وسيلة لارتباط الإنسان بالأشياء الأخرى. فمفهومها يساوي مفهوم العشق للحقيقة. وهذا يعني أن الله ليس وسيلة حتى لحياة الإنسان في الآخرة، بل هو في ذاته حقيقة، وفي ذاته مطلوب حقيقي». «ليس الجمال هدفاً، كما يقول، ولا العدالة هدف، ولا المحبة هدف. بل الهدف هو الله والحقيقة لا غير ولا غير». ذلك هو هدف الحياة السامي ومعنى الكمال الإنساني في الأيديولوجية الإسلامية، كما يقول[٥].

ولهذا الغرض الإصلاحي أيضاً، اتجه، في بعض بحوثه، إلى الدفاع عن الإسلام في وجه الدعوات

الأخرى، وبحث في تخلف المسلمين وتصحيح المفاهيم السائدة في أذهانهم، مثل الاستهانة بالعمل والركون إلى أوهام الاعتقاد بالحظ والعبثية، وإلى التواكل والتفريق بين الإيمان والعمل الذي نادت به المرجئة منذ العصر الأموي(٦).

وحفزه هذا المطلب العزيز إلى القاء الدروس والمحاضرات في جماهير الناس، على اختلاف مراتبهم الفكرية، حتى أصبح التعليم سمة ملازمة من سمات فكره أيضاً. وكان يستعين في بعض دروسه المبسّطة بالأمثلة الحيّة ينتزعها من واقع الناس، وبالحكايات الطريفة، وينوّع أساليب الخطاب، فيختار لكل جماعةٍ اللغة التي تناسب مداركها العامة.

فمن هنا نجد في تراثه الخُطبة والمحاضرة والمناقشة والتأليف. إن من يقرأْ كتبه المؤلفة مثل (المجتمع والتاريخ) الذي نقد فيه النظرية الماركسية المادية في تفسير التاريخ، وكتابه الآخر (العدل الإلهي) الذي بسط فيه تفسير الإسلام للحياة والكون والخير والشر والثواب والعقاب، واختلاف الكائنات والموجودات، يدركْ أي مرتقيات فلسفية عالية ارتقاها هذا الفكر.

ومن يقرأْ كتاب (الفطرة) الذي انتهى فيه إلى أن الدين خالد لأنه مركب في الطينة المفطورة المتطلعة دائماً إلى المبدأ والمعاد، وكتابة (معرفة القرآن) الذي وقف فيه على كلّيات كتاب الله ومفاصل دعوته الموحِّدة، وجنح فيه إلى تفسير الآيات التي اختارها، على نحو خاص متسق مع أغراض الكتاب. من يقرأْ مثل هذه الكتب يدركْ أنّ (المطهَّري) اتجه فيها إلى أوساط المثقفين.

ثم إن من يقرأْ رسائله الصغيرة كرسالة (الدعاء) و(التفكير في التصور الإسلامي) و(إحياء الفكر في الإسلام)، يدرك أنه خاطب فيها جمهور المتعلّمين والطلّاب.

على أنّ (المطهَّري) في هذه البحوث والدروس والمحاضرات والمناقشات، يظلّ يجول في أفقه الخاص، ويحتفظ بجلال فكره وقوته ونفوذه، وإن اختلفت أساليب التأدية، مما يمكن أن تستخلص منه سمة أخرى من سمات هذا الفكر، وهي صفة المرونة التي مكّنتْه من الوصول إلى عقول الناس، بأرفع الأفكار، على اختلاف مراتبهم.

أيها السادة!

مجمل ما ننتهي إليه في هذا الحديث: أن (المطهَّري) صاحب فكر إسلامي عميق متحرر في بحوثه من قيد الجنس أو المذهب، وإن لم يتخلَّ عنهما. وهو يحتكم فيهما إلى العقل وإلى الواقع وإلى مجموع مكوّنات الشخصية الإنسانية. وتردفه ثقافات إنسانية غنية ومنوّعة: فلسفية واجتماعية ونفسية وتاريخية وفقهية ولغوية وأدبية، واطلاعٌ على جملة من قوانين العلوم التجريبية كالفيزياء والفلك. وقد أحسن هضم هذه الثقافات وتسخيرها في الكشف عن قدرة الإسلام الخارقة على بناء الشخصية الإسلامية المكتملة، في نظرتها العامة إلى الكون وخالقه، والإنسان وغايته المثلى من الحياة، وعلى بناء المجتمع الإسلامي على أسس العدل الإلهي الذي يعني أن العلاقة بين الإنسان وأخيه هي علاقة الشِرْكة والتعاون، وأن التدرج في

مراتب الوجود يتطلب نوعاً من الاختلاف بينها في النقص والكمال، والشدة والضعف. وتعني أيضاً أن السيادة والملك في الأرض لله وحده، وأن الإنسان هو خليفته فيها وحامل أمانته إليها، وهي تعني العمل على إيصال الموجودات إلى كمالها وغاياتها، بعد أن دفعها الله من العدم إلى كمال الوجود[٧].

ثم هو فكر نقدي إصلاحي مخالط لواقع المسلمين، قريبٌ جداً من أسباب معاناتهم وتخلفهم، متجهٌ إلى تصحيح مناهج تفكيرهم، وتقويم المفهومات الخاطئة فيه، ودرْس حركات الإصلاح الإسلامية ونقدها (كالوهابية والبهائية والأتاتوركية والدكتاتوريات العسكرية في بعض الأنظمة الإسلامية)، داع إلى الحركة، ونفي السكونية، وإلى عادة اللحمة بين الإيمان والعمل[٨]، وإلى الثقة بالنفس وبقدرات الثقافة الذاتية الأصيلة على النهوض بحياتهم إلى المرتبة الإنسانية اللائقة بموقع حضارتهم من حضارات العالم.

وهو بهذه المثابة فكر اقتحامي، ثوري في بعض جوانبه، لا يبالي أن يُعمل مِعوله في أكثر الأنظمة السياسية القائمة في العالم الإسلامي، وينالَ من الدائرين في فلكها، والناطقين بأهوائها، والمدافعين عن سياساتها، والساكتين المؤثرين للعافية، ممن يُسِمَّون رجال الدين. ففي دعوته إلى إحياء الفكر الإسلامي منهجان، كما يقول:

منهج سلبي يقوم على اقتلاع المفاسد وإماتة البِدَع، لتمهيد الأرض.

ومنهج ايجابي يقوم على تقديم مفهوم الإسلام الصحيح للناس، في شتّى مناحي الحياة، وإحياء سُنَنه.

وهو ما يجلوه تراث المطهَّري كله.

فهو إذن، في النهاية، فكر يؤمن بالإصلاح الشامل الذي يعيد تكوين الشخصية الإسلامية القادرة على تحقيق المثل الإسلامي، لا الإصلاح الترفيعي الذي يذهب في النهاية بحقائق الإسلام.

وغاية ما يثير الإعجاب في هذا الفكر هو اللحمة التي حققها صاحبه بين القول والعمل. فقد ظلّ يجاهد بهما معاً في الساحة حتى انتهى إلى الشهادة. وهي، في النهاية، أقوى دليل يدلي به الصادقون من رجال المبادىء.

تبقى صفات أخرى لفكر الرجل يمكن أن تستخلص مما قدمناه، مثلُ الدقة التي تبين، أقوى ما تبين، في التمييز بين المصطلحات، وفي فهم النصوص وتقليبها واختيار المفردات المناسبة في شرحها وتوضيح مقاصدها. وصفة الوضوح التي تبيّن، أقوى ما تبين، في اختيار أفضل الأساليب المناسبة لتقديم أفكاره إلى الناس، حسب مراتبهم الفكرية، دون أن يضحّي بجوهرها، أو يقع في ترقيقها أو تسطيحها، على نحو ما فعل في توضيح فكرة الجدلية بين الفكر والواقع[٩].

إن غاية ما أراده (المطهَّري) في مجموع تراثه وعمله: أن ينتفض العالم الإسلامي عن حقائقه الراقدة في الأعماق، ويقدم للعالم أسلوباً آخر، غير أسلوب الغرب، في فهم الحضارة الإنسانية ومكان الإنسان منها

ومن الكون جملة، على أساس إسلامي يعيد صلة الأرض بالسماء، ويقيم حكم الله فيها، ويوضح معنى خلافة الإنسان لله، ومعنى الأمانة التي حمّله إياها.

أشكركم أيها السادة، والسلام عليكم ورحمة الله.



الحواشي:

(١) - انظر كتاب (الفطرة) ص ص ١٢٨ - ٣٨.

(٢) - انظر رسالته (إحياء الفكر في الإسلام) ص ص ٣٩ - ٤٧.

(٣) - انظر كتابه السابق ص ص ٢٠ - ٦.

(٤) - الكتاب السابق ص ٢٩.

(٥) - انظر كتابه (الهدف السامي للحياة الإنسانية) ص ص ١١٥ - ٢٠.

(٦) - كتابه (إحياء الفكر في الإسلام) ص ص ٢٥ - ٦.

(٧) - كتابه (المفهوم التوحيدي للعالم) ص ٨٠.

(٨) - كتابه (إحياء الفكر في الإسلام) ص ص ٢٤ - ٥.

(٩) - انظر كتابه (إحياء الفكر في الإسلام) ص ١٤.

# المطهري المفكر الرسالي

العلامة السيد محمد حسين فضل الله

إن تكون الإنسان الذي يفكر ويحاول أن يحوِّل حركة الفكر في عقله إلى قناعات منفتحة على الحياة. تلك قد تكون قيمة ذاتية فيما تحاول الذات أن تصعد وتعلو وتنطلق وتنفتح. لكن أن تكون في هذا الفكر كما أنت في الحياة رسالياً، يعني أن فكرك لن يكون شيئاً للتجريد الذي يحلق في الأعالي دون أن يواجه الأرض...

أن تكون رسالياً أن تحاول أن ترفع الأرض دون أن تفقد خصوصيتها لتأخذ معنى السماء، أن تشعر بأن فكرك يعيش قلق الإنسان، قلق حياته، وقلق كل خصوصياته التي تفترس أمنه وفكره وغذاءه، وتفترس حريته، من أجل أن تجعل الفكر شيئاً للإنسان بدلاً من أن يكون شيئاً للمطلق.

وأن تكون إسلامياً في رسالتك، معناه أنك تعيش الانتماء الذي يجعل لفكرك خصوصية في أكثر القضايا التي تعيشها الحياة في مواجهة خصوصيات أخرى. وأن لا تفقد وأنت تعيش في خصوصيات فكرك مواقع اللقاء بالفكر الآخر، فالفكر أي فكر كان، الفكر الذي انطلق به الوحي، أوفكر الإنسان من خلال التجربة ليس حركة ينفصل بها موقع عن موقع، بل هي حركة تواصل بين القضايا التي يمكن للحياة أن تجد فيها وحدتها، ويمكن للإنسان أن يجد فيها قضيته، ويبقى لمراحل الحياة وخصوصيات الانسان الكثير من النقاط التي يمكن أن تختلف بعضها عن بعضها في أكثر من مجال.

وأن تكون حركياً معناه أن لا يكون فكرك مجرد قناعة. ومجرد انفتاح على الحياة، ومجرد انتماء للخصوصيات التي تؤمن بها. لكن في هذا المجال أن يتحول فكرك إلى ذات الإنسان الفكر، لأن الكثير في عالمنا الذي عشناه، وعاشه الناس قبلنا يتركون الانسان في جانب وهو يختزن الفكر. ويتركون الفكر في جانب آخر، فالفكر يصنع للآخرين والمفكر فهو في البرج العاجي ينظر للحياة ويحل مشاكل الحياة.

المفكر هو إنسان قد يعطي الجدة في كل قضايا فكره، وهو يعيش الهزل في خصوصيات حياته.

لذلك أن تكون الإنسان الفكر الذي يجعل فكرك حركة بحيث لا تفصل بين حركتك وأنت تواجه كل قضايا الحياة من حولك وبين فكرك الذي يحاول أن يفلسف كل مواقع الحياة ويحاول أن يثير علامات الاستفهام هنا وهناك.

أن تكـون مفكـراً رسـاليـاً حركياً، أن تكون الشهيد الحي حتى لو لم تسل دماؤ ك، فإذا سالت كانت الشهادة هي الشفق الذي يطل الناس فيه على النور وهو يغرب ليعطي الحياة مجالاً ويتجدد في كل وقت.

## المطهري وقلق الفكر

في هذا الجو نلتقط خطوات العلامة المطهري، هذا الإنسان الذي إذا قرأت حياته رأيت قلق الفكر يحكم طفولته حتى يستلب منه كل لهو الطفولة وكل عبثها.

يحدثنـا في بعض مذكـراتـه أنه في الرابعة عشرة من عمره وهو يطلب العلم كان يبحث عن غرفة يهدأ فيها. وفضّل غرفة لا راحة فيها في حيثياتها، على الغرفة التي كان يعيش فيها الراحة لأن الغرفة هذه تعطيه شيئاً من الهدوء، تسمح له أن يفكر بعيداً عن ضجيج الطلاب الذين معه. كان يعيش القلق، قلق الفكر من خلال ما يعيشه من قلق التفكير في المستقبل. ربما كان في تلك الحالات لا يستطيع أن يدرس تفاصيل قلقـه. لكنـه كان يشعـر أن واقعـه الـذي يعيش فيـه (واقع الحوزة الدينية الواقع السياسي، واقع التخلف الاجتماعي) كان يعيش شعوراً ضبابياً أن هناك شيئاً لا بد أن يتغير، وأن هناك فكراً لا بد أن يتبلور، ولا بد أن يتنفس الهــواء الطلق، ولا بد أن يبحث في العـالم كله. ولا يضيـع في البحث ولكنـه ينطلق من الجـذور الغنية بكل العناصر التي تثري كل القضايا التي يمكن أن تفكر فيها، وهكذا بدأ، بدأ يدرس الفقه بعقلية أن الفقـه ليس مجرد تراث قانـوني يضـاف إلى الـتراث القانوني الذي تدرسه كليات الحقوق، بعيداً عن أن يكون شيئاً للواقع ليكون مجرد شيء للتاريخ، كان يدرس الفقه على أساس الفقه ليس حركة الفرد الذي يريـد أن يمتثـل أحكـام الله من خلال الفقـه، ولكنه حركة الحياة التي تريد أن تجعل الفقه الإسلامي الذي يواجه كل قضاياها، صورتها في حركتها المتجددة المتطورة.

## مسؤولية الدراسة

وهكــذا درس الفلسفــة بعمق لا ليغـرق في الكتب الفلسفيـة التي تتحـدث عن آفـاق الفـلاسفـة الإشـراقيـين والمشـائين، ليعيش الفلسفة في التاريخ، تماماً كالذين يدرسون الأسفار، ويدرسون فلسفة ابن سينا أو يدرسون فلسفة أفلاطون وما إلى ذلك، من أجل أن يكون علماً يديرون الفكر فيه دون أن يقتربوا من الواقع.

كان يدرس الفلسفة لأنه كان يشعر أن ساحة الصراع التي يخوضها من خلال فكره الرسالي الإسلامي الحركي تحتاج إلى أن يقتحم كل الفلسفات لأنه كمفكر يرى أنه لا محرمات في الفكر.

لا يمكن أن تقول لمفكر يحرم عليك أن تقتحم هذا الفكر لتناقشه أو لتدرسه لأن معنى أن ينمو

الفكر هو أن ينطلق في كل ما تحرك فيه الإنسان من قضاياه، ثم تكون المسألة هي أن الفكر الأقوى هو الذي يربح المعركة. الذين يحرمون الفكر هم الذين يخافون من الفكر، ربما تكون الإنسان الذي لايملك أن يفكر، حاول أن تعطي نفسك شيئاً من التدريب، لتقتحم الأفكار الأخرى. إما أن تقول لإنسان يريد أن ينطلق ليقيم لنفسه الشخصية الفكرية حرام عليك أن تفكر. . قد تستطيع أن تقول لإنسان حرام عليك أن تأكل هذا، وأن تشرب هذا، أما حرام عليك أن تناقش فكراً، فهذا معناه أنك تريد أن تجمد فكر هذا الإنسان، وحتى لو خاف هذا الإنسان منك أن يفكر فيما حرمته عليه سوف يحاول أن يستغفلك أو أن يلجأ إلى السرية التي يصنع فيها لنفسه الحرية التي يريدها.

وهكذا رأيناه في كل التراث انطلق من دراسته للفلسفة القديمة وعاش في رحاب، العلامة الكبير المفسّر، المفكر، الفيلسوف السيد محمد حسين الطباطبائي، الذي كان يعيش الفكر الفلسفي برحابته كما كان يعيش الفكر القرآني بكل سموِّه ورحابته انطلق معه ليتدارسا. وليتعلم وليعلق، وليوضح كتابه «أصول الفلسفة». هكذا رأينا الشهيد المطهري يأخذ بكل أسباب الفكر الفلسفي الحديث ولا يقتصر على الفلسفة التي تتحرك في المطلق، ولكنه كان يعيش الفلسفة التي تحولت إلى نهج للحياة، وتحولت إلى تيار للفكر وتيار للواقع السياسي، وهي الفلسفة الماركسية التي واجهها بكل قوة ومسؤولية، واستطاع، فيما قرأناه من فكره، أن ينتصر عليها سواء في ذلك الفلسفة التي تنطلق في صراع المادية والروحية، أو تلك التي تتحدث عن فلسفة الواقع والتاريخ، وحركة الانسان في حياته كلها.

## لا حياد في الفكر

عاش قلق المعرفة، ولذلك كانت حياته كلها إنتاجاً حياً لا تجد فيه أي موقع للتجريد. ولا أي موقف للحياد. إنه يشعر بأن المحايدين في الفكر هم الذين لا يملكون الفكر الذي يستطيع أن يقرر الحقيقة من موقعه الفلسفي أو من أي موقع آخر، لذلك المحايدون في الفكر يعني أنهم لا يفكرون.

لم يكن الشهيد المطهري محايداً، كان يواجه مسألته الفكرية على أساس أن انتماءه لا يفرض عليه أن يتخذ موقفاً يفرضه الانتماء. كما نلاحظ بعض الناس عندما ينتمي لأي فكر، فإنه يلتزم بهذا الموقف وذاك باعتبار أن انتماءه يفرض هذا الموقف أو ذاك.

كان العلامة المطهري، فيما ندرسه من حركته الفكرية، يحاول أن يفكر حتى في القضايا التي تمثل انتماءه رسمياً ليعمق انتماءه من خلال قناعته الصغيرة بكل المفردات الصغيرة للانتماء. لأن مشكلتنا أننا عندما واجهنا مسألة الانتماء، أخذنا كل الأخطاء التي يمكن أن تعيش في داخل الانتماء فحوّلناها إلى مقدسات.

## المطهري و«المقدسات» الفكرية

أنت مسلم، وفي التراث الإسلامي، في الفكر الإسلامي، في العادات الإسلامية، في التقاليد الإسلامية هناك أشياء كثيرة غير صحيحة، أخطأ فيها المفكرون، أو أخطأ فيها الفقهاء، أو فرضها التخلف من خلال واقع التخلف لدى المسلمين، ولكنك كمسلم تشعر بأنك جزء من هذه المجموعة، جزء من هذا التقسيم لدى المجتمع ولا بد لك أن تأخذ بهذا، ولذلك تحول كثير من مواقع التخلف في تفكيرنا، وفي ممارساتنا إلى مقدسات.

لذلك عندما ندرس مفردات الفكر الذي كان يعالجه الشهيد المطهري، ويدرس الإسلام، كنا نشعر أنه حيادي (في الأسلوب) أمام أية قضية فكرية يعالجها، فهو يعتبر القضية كأية قضية أخرى قابلة للرفض وقابلة للتأييد، ثم بعد ذلك يحمل عقله ويحرك الكتاب والسنة، ويحرك كل العناصر التي يمكن أن تشارك في النتائج الحاسمة لهذا الفكر. وهذا أمر خطير جداً لأن المشكلة أننا نقدس الماضي حتى الماضي المتخلف ومن خلال تقديسنا للماضي تجمدنا في مواقعنا ونصبنا الأسوار العالية، وحاولنا أن نضيف إلى الأسوار الواقعية أسواراً من الفكر لماذا؟

في الدائرة الإسلامية، هناك شيء سنّي على طول الخط في الدائرة السنيّة، وهناك شيء شيعي على طول الخط في مجتمع الشيعة، مع أننا لو درسنا حتى التاريخ الذي ورثنا منه بعض أحقادنا وبعض خصوصياتنا لرأينا العلماء هناك من السنّة والشيعة يختلفون فيما بينهم في اجتهاداتهم الكلامية والفقهية، بحيث من الصعب أن تجد رأياً سنياً حاسماً تقول عنه أنه رأي السنّة، أو رأياً شيعياً حاسماً تقول إنه رأي الشيعة، كانوا متقدمين علينا في مسألة حركة الفكر وتنوعه حتى في الدائرة التي يضعون أنفسهم فيها فيما يقسّم المجتمع الإسلامي إلى سني وشيعي.

## المطهري والاجتهاد

ومن هنا إن العلامة المطهري كان يتحدث في بعض بحوثه عن الاجتهاد، وربما كان من الضروري أن ينطلق الاجتهاد من جديد، أن ينطلق المسلمون كلهم، الفقهاء، العلماء، المفكرون أن ينطلقوا ليجتهدوا في فهم الاسلام من جديد، لا أن يكون الاجتهاد مزاجياً، أو توثيقياً كما كان في عصور النهضة عندما انطلقت أوروبا لتفرض نفسها في حالة انبهار كبير في العالم الإسلامي، فبدأ العلماء التوثيقيون يعملون من أجل أن يخضعوا الإسلام للخط الأوروبي في كثير من مجالاته ومفرداته. لا أقول أن ننطلق على أساس اجتهاد مثالي أو توثيقي أو ننطلق على أساس اجتهاد التسوية هنا وهناك، لكن على أساس الاجتهاد الذي يأخذ بكل العناصر الأصلية للكتاب والسنة التي ينطلق منها الفكر الإسلامي، فلعلنا نفهم غير ما فهمه الآخرون. وفي بعض كلمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم: [فلعل من يبلغه أوعى ممن سمعه] أن يكون الذين يسمعون الحديث لا يعيشون أفقه، فيأتي أناس يعيشون الآفاق الواسعة أكثر من الذين سمعوه.

نحن نفهم أنـــه من الصعب جداً أن يتحـــرر المفكـر حتى لوكان فقيهـاً، حتى لوكان كلاميـاً، من الصعب أن يتحـرر من ذاتـه، ومن طريقتـه في تكـوينـه الفكري، حتى لوكان تقياً، التقي لا يتعمد الخطأ لاسيما في القضـايـا الأسـاسيـة، ولكن التقي قد يعيش الخطأ من موقع أنه يرى الصواب، على أساس ما يقتنع به من خلال تربية أو دراسة أو ما إلى ذلك.

لذلـك لا بد أن نعيـد باب الاجتهـاد، هكـذا يؤكـد العـلامة المطهري، وهذا ما يؤكده كل الذين يعملون على أسـاس انطـلاقـة إسميـة منفتحة على كل قضايا الواقع وعلى كل قضايا التطور من أجل أن يكـون إسـلامنـا هو الإسـلام الـذي نتبناه من خلال أننا نفهمه ومن خلال أننا نقتنع فيه، أو من خلال أننا ندافع عنه من خلال علم نؤكده في تجربتنا الفكرية.

وهذا ما يمكن من خلاله أن يلتقي المسلمون السنة والشيعة على فكر إن لم يكن موحداً فلا شك أنه سيكون أقرب من طريقة التفكير التي يأخذ بها المسلمون هنا وهناك.

## المطهري وحرية الفكر

ثم هناك نقطة ألاحظها في فكر الشهيد العلامة المطهري وهي مسألة حرية الفكر. إن ما يؤخذ على أكثر الإسـلاميـين الحـركيين عندما يتحدث متحدث عن حرية الفكر في دولة إسلامية ناشئة أنهم يرفضون حرية الفكر، لا حرية للفكر غير الإسلامي في دولة إسلامية، لأن معنى حرية الفكر غير الإسلامي في دولة إسلامية، معناه حرية الكفر وحرية الباطل والضلال ولا يمكن لدولة إسلامية تنطلق من قاعدة الإسلام أن تعطي الحرية للكفر وللشرك وللضلال، وأن الشهيد المطهري رضوان الله عليه، ونحن نتفق معه في ذلك، يقول بأن لا بد أن نعطي الحرية للفكر الآخر ليقدم كل ما عنده ولتكون لنا الشجاعة والتخطيط أن نواجه الفكر بالفكر، وأن ندافع عن فكرنا الإسلامي، وأن نعطي للناس كلهم الذين ينتمون للإسلام من خلال هذه الحرية الفكرية الدليل على أن الإسلام ليس هو الدين الذي يعيش في أجواء الكبت والقهر. ليس هو الـدين الـذي ينمـو في ظروف الجهـل وفي ظروف الضغـط على حريـة الآخر، بل إن الإسلام يستطيع أن ينطلق في الحياة مع الفكر الآخر ليتحرك على أساس الصراع من موقع الفكر، وذلك أفضل من أن تضغط على فكـر وأنت تحكم البلد من خلال أنـك لا تريـد للنـاس أن يعرفوه، لأنك مهما منعت الناس أن يعرفوا الفكر الأخر فستجد كل الغرف المظلمة في بيوتهم وكل الزوايا مملوءة بكتب الفكر الآخر أكثر مما لو أعطيتهم الحرية، ولرأيت للفكر الآخر قداسة في أنفسهم لا يملكها أصلاً، ولكن الضغط يعطي للذي تضغط عليه معنى الاستشهـاد. أن يكـون الفكـر شهيـداً والناس تحب الشهداء، وتحب كل شهيد فكراً كان أم إنساناً. وهو يؤكد أن هذا هو خط الجمهورية الإسلامية في إيران الذي انطلق من خلال توجيهات الإمام الخميني رضوان الله عليه، الذي أكد حتى في الدائرة السياسية عندما سأله أحد تلامذته والوضع في إيران يتجه في

خط قد يسمى متشدداً أو معتدلاً، قال له أنت مع من، هل تبارك هؤلاء أو هؤلاء قال له الإمام: أنا مع الكل، لأننا عندما رضينا أن يتنوع الاجتهاد في الفقه فلا بد أن يتنوع الاجتهاد في السياسة، وأن يتنوع في الخط الذي يمكن أن يختلف الناس فيه فيما هو الأفضل للمجتمع. وهكذا لم تكن مسألة الفكر المتنوع مجرّد شيء يقفز الآخرون عليه من موقع المعارضة، ولكنه شيء تؤمن به الدولة.

من خلال ذلك كله كانت مسألة الحرية هي التي تحكم فكره وتحكم حتى طريقته في مناقشة الآخرين. (إنه يحترم خصومه)، لن تجد أية كلمة شاذة، وأية كلمة قاسية يوجهها لخصومه الذين يختلف معهم في الفكر.

لذلك، دراسة هذا الإنسان مسؤولية، ليس فكره ترفاً نأخذ به فيما نأخذ من أسباب الترف، ولكنه شيء يوحي بالحوار الطويل العميق وهذا ما ينبغي لنا أن نؤكده في المستقبل. إن علينا عندما ينطلق في حياتنا المفكرون ويغيبون عنا أن لا نبقى نلاحق تراثهم، بل لا بد أن يعمل المجتمع الإسلامي على أن يصنع أكثر من مطهري، لا بد أن تتواصل حركة الفكر، ولا بد أن نخرج من أن نظل مجرد أناس يباركون العظماء ويتحدثون عنهم. ما رأيكم أن نكتشف أسرار العظمة في الفكر والحركة، وأسرار العظمة في كل الواقع حتى نأخذ في أسباب العظمة.

ليس انتفاخاً أن أدعو لأن يتحرك في حياتنا جيل العظماء، ولكنها العظمة التي يمكن أن تنمو في كيان الإنسان فكراً وتجربة وحركة ومعاناة، العظمة التي قد تكون شيئاً في كل تاريخ الإنسان، ليكون لدينا الأشخاص التاريخيون. تلك هي المسألة في المستقبل أن يكون لنا جيل من المفكرين الرساليين الإسلاميين الحركيين، لأنه كفانا كل هذه الجمود فيما عشناه في عصور التخلف في الفكر الإسلامي. إسلام، حركة، فكر. ذلك هو إنساننا المستقبلي الذي نريده أن يصنع التاريخ كما صنعه الآخرون لا أن يجلس ليأكل من فتات موائد الآخرين. ذلك هو التحدي فهل نستجيب له؟.

والحمد لله رب العالمين



# خلـود الأخـلاق من وجهـة نظـر العلامـة المطهــري

الدكتورة : زهراء الخميني

بعـد الـتحيـة والسـلام على السـادة المشاركين الأفاضل وتقديم الشكـر للقـائمـين على هذا المؤتمر وكل المؤتمرات التي تساهم في تكريم المفكرين وسمو الفكر الإنساني ورقيه . .

بعد التعرف الإجمالي على أفكار الشهيد مرتضى المطهري عكفت على دراسة وجهة نظره حول خلود الأخلاق بشكل مسهب وتمخض عن ذلك هذا البحث الذي يتمحور حول أفكار العلّامة المطهري بشكل خاص.

## ١ ـ معرفة الفكر :

وفقاً لأفكار العلّامة المطهري فإن معرفة الفكر في الفلسفة تلعب دوراً أساسياً حيث كان رحمه الله في طليعـة الحكـماء المسلمـين الـذين أكّدوا على أهمية معرفة الذهن وقوه المعرفة والإدراك حتى أن الانتى لوجيا (معـارضـة المنطق) التي تفتقـد الابيستمـولوجيا (فلسفة المعرفة والمنطق) ، لا يعتبرها فلسفة ، وخاصة مسألة معـرفـة الـذهن الـذي بدونه لا يمكن أن تكون لدينا فلسفة . ويلزم الانتباه إلى أن التأكيد على معرفة فهم البشر لا تعني اعراض الفيلسوف عن العين إلى الذهن أو تحويل معارضة المنطق لفلسفة المنطق والمعرفة .

## ٢ ـ أهمية النظرة التاريخية لدى العلّامة المطهري :

مع أننا لم نغفل في فلسفتنا عن النظرة التاريخية إلّا أنها تخلو من الموضوعية ولهذا السبب نجد أن بعض الحكماء يفتقرون للوثائق التاريخية الدقيقة إلّا أن العلّامة المطهري في مقدمة الذين أكّدوا على ضرورة النظرة التـاريخيـة في فهم النظريات الفلسفية ، وطبعاً هذا لايعني الانقياد التاريخي الهيكلي الذي يحصر فهم ومعرفة أية ظاهرة بمعرفة هويتها التاريخية ويعتمد على مطالعة «هذا جزء من ذاك فإذا هذا هوذاك نفسه» ، حيث

أنّ العلاّمة أشار غير مرة بأن معرفة تاريخ أي ظاهرة لا يعني معرفة كل هويتها.

إلاّ أن تأكيد العلاّمة على دراسة الفلسفة تاريخياً تعني أن الفلسفة كفرع من الفكر الإنساني لها هويتها التاريخية وأن مراجعة لتاريخ أي فكر تعني مراجعة لجزء من هويته. فقد أكّد المطهري (طاب ثراه) على هذا الموضوع لا في مؤلفاته فقط بل في برمجة دروس كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية بجامعة طهران والتي تولّى عمادتها بعد انتصار الثورة الإسلامية وكذلك في دروسه الفلسفية.

### ٣ ـ الالتزام بالبرهان:

كان أستاذنا كأي حكيم آخر يعتقد بالبرهان في مقام الحكم وفي مقام العمل، وقلما نجد عالماً التزم عملياً بذلك حيث أن تأليفاته ودروسه تثبت هذا الأمر وتبرهن عليه. وعلى سبيل المثال حينما نجد أن الفيلسوف المنطقي وعالم الرياضيات المعاصر (راسل) يتكلم حول فلسفة (اسكوستيك) بدون التدقيق في مباني حكمائها، وبدون أي برهان يسخر من البراهين الخمسة (لتوماس اكويناس) في اثبات الصانع التي تنص على امتناع التسلسل في حين أن التسلسل ليس بمحال، نأسف لذلك لأن (راسل) بدل اعتماد البرهان التزم بأحاسيسه ومشاعره وعلى أساس مغالطة التشابه اللفظي يتهجم على آراء خصومه.

أمّا حول العلاّمة المطهري فإننا نؤكد بحزم بأنه في كل مؤلفاته لم يبتعد عن الفكر الأصيل للفلاسفة القائل (نحن أبناء الدليل نميل حيث يميل) وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر ما يلي قلما تجدون مفكر يتحلى بالحس الشعري وقدرة الخيال ولا تؤثر هذه على حكمته وفلسفته إلاّ أن الأستاذ المطهري ورغم امتلاكه قوة الخيال الخلاّقة والقدرة الخطابية السحرية لم يكن ذات يوم شاعراً في أفكاره الفلسفية إطلاقاً ذلك أنه تتلمذ على يد أساتذة مثل الإمام الخميني الراحل والعلاّمة الطباطبائي (صاحب تفسير الميزان) اللذين لم يقحموا الفلسفة في الشعر رغم امتلاكهما القريحة الشعرية وقوة الخيال الخصبة بل إنهما أوصلا الشعر إلى ذروة الفلسفة.

### ٤ ـ سعيه الدؤوب إلى فلسفة الكلام:

إن من أهم ميزات شخصية العلاّمة، هي شخصيته الكلامية، التي لها أبعاد ثلاثة هامة أهمها فلسفة الكلام لديه. ونحن نعلم أن أهل الكلام سعوا منذ القديم إلى تسخير الفلسفة لخدمة الدين وكانت نتيجة مساعي هؤلاء ظهور نظام هجين غير متجانس تفيدنا معرفته من جديد فمن أول هؤلاء، أي الفيلسوف الحكيم والمتكلم اليهودي (اريغن) وحتى أغلب حكماء القرون الوسطى مثل (سنت اغوستين) و(سنت توماس اكويناس) كل هؤلاء أوجدوا نظاماً يصفه الأستاذ (جيلسون) الأخصائي المعاصر بفلسفة القرون

الوسطى) بأنه (الفلسفة الكلامية) أمّا في مشرق الأرض خاصة بعد صدر المتألهين الشيرازي فقد ظهر شكل آخر يمكن تسميته بـ (الكلام الفلسفي).

وواضح أن الفرق بين الفلسفة الكلامية والكلام الفلسفي ليس في اللفظ فقط، فالفلسفة الكلامية هي نظام فلسفي وانتى لوجي خاص وهو كلامي في الهدف والأسلوب والأسس رغم أنه هجين وملتقط في مسائله أمّا الكلام الفلسفي فهو نظام فلسفي هدفه كلامي لكن أسلوبه ومبادئه برهانية وفلسفية ولأن هوية كل نظام فكري تكمن في أسلوبه فإن الأول (أي الفلسفة الكلامية) يجب تسميتها بـ (الكلام) أمّا الثاني (الكلام الفلسفي) فيجب تسميته بـ (الفلسفة).

## ٥ ـ منظار العلامة المطهري في موضوع الكلام الجديد:

يشكل الخوض في مسائل الكلام الجديدة بعداً ثانياً لشخصية الشهيد مطهري الكلامية فبإدراكه الصحيح لمسائل الكلام الجديدة عمل وبقدرته الفلسفية الخاصة على طرح هذه المسائل وتحليلها بالشكل التالي:

١ ـ الجبر والاختيار (حرية الإرادة).
٢ ـ برهان النظم ونقد هيوم.
٣ ـ مسألة الشرور والعدل الإلهي.
٤ ـ برهان الفطره.
٥ ـ العلم والدين.
٦ ـ المادية الميكانيكية والمادية الديالكتيكية.
٧ ـ الماركسية والمادية التاريخية.
٨ ـ علم الاجتماع والدين.

## ٦ ـ احياء الدين هو سادس حالة من أفكاره الخاصة.

إن البعد الثالث للفكر الكلامي للفيلسوف المطهري هو الاهتمام الكامل بالبعث الديني، لنقرأ ما يقوله هو «. . الآن نحن أحوج ما نكون إلى نهوض ديني إسلامي، نحن بحاجة إلى إحياء الفكر الديني، نعم نحن بحاجة إلى نهضة قومية إسلامية وفكرنا الديني يجب أن تجري له عملية إصلاح إن فكرنا الديني مغلوط. . . » هذه ملامح عامة لنظرات العلاّمة المطهري الخاصة، أمّا موضوع بحثنا الأساسي فهو (خلود الأخلاق والأصول الأخلاقية) لدى الفيلسوف مطهري.

من البحوث الشائعة مسألة نسبية الأخلاق بمعنى أن هناك سلوكاً يعتبر أخلاقياً في زمن ما وفي زمن آخر وبظروف مختلفة قد يصبح مضاداً للأخلاق. وهذه ظاهرة تترسخ أكثر باعتماد فلسفة (الصيرورة) التي يعتقد بها الماركسيون لأن فلسفة (الكينونة هي التي تستطيع أن تجعل الأخلاق أمراً خالداً.

إن بحث خلود الأصول الأخلاقية بالنسبة لنا نحن المسلمين له أهمية خاصة لأن ذلك مرتبط بخلود الإسلام لأن الاعتقاد بالنظرية النسبية يعني أن ذلك لا يقتصر على الأخلاق فقط بل يسري على كل الأحكام الدينية ذلك أنه لم تكن صفات حقيقية خالدة وثابتة فإن كل التعاليم والقوانين لن تكون ثابتة لأنه ليس هناك فرق بين الحقيقة والأخلاق باستثناء أن الحقيقة من نوع الخبر والأخلاق من نوع الإنشاء اذن فإن القول بأن فلسفة «الصيرورة» تعني عدم الخلود، غير صحيح لكن السؤال هو: **هل هناك معيار محدد لنسبية الأخلاق** وبتعبير آخر هل أن هذه النسبية مطلقة أم لا؟

الجواب هو أن النسبية مطلقة بالتأكيد، لأنه يجب الاذعان قبل أي نظرية فلسفية أو قانون منطقي أو قاعدة علمية إلى وجود العقل المطلق والمعقولات المطلقة وبغير ذلك فإن الحكم بأن الأخلاق نسبية إنما هو خطأ كبير.

وتتضح في نظرية الفيلسوف مطهري في تحليل الجمل الأخلاقية والأسس الأخلاقية دقة الحكيم المسلم في تبين ما يعتبر اليوم حجر الأساس في فلسفة الأخلاق فهو يعمل على إثبات حقيقة أن الأخلاقيات تتمتع بقاعدة فكرية ثابتة ولهذا فإنها ثابتة لا تتغير حتى لو اعتبرنا الأخلاق نسبية واعتبارية.

وحسبما يرى الفيلسوفان، العلّامة الطباطبائي و(راسل) فإن مسألة (الواجبات) (الحسنات) و (المساوىء) هي في الواقع تبين رابطة الإنسان بفعل معين وتنشأ من أحاسيس الإنسان بمعنى أن الطبيعة لها غاية والإنسان من خلال جهاز شعوري يمتلك أحاسيس معينه تتناسب وتلك الغاية. لكن الفيلسوف مطهري يجيب على راسل بأنه يجب أولاً الوصول إلى جذور المحبة ذلك أن الإنسان يحب شيئاً ولا يحب شيئاً آخر فهو يحب الشيء الذي يقدم له فائدة في حياته ولو من زاوية خاصة أي أن الطبيعة تسير دائماً نحو كمالها وعندما تتحرك الطبيعة باتجاه كمال الفرد ومصلحته فإنها تتحرك بنفس الوقت باتجاه كمال النوع ومصلحته والكمال الفردي لا يتجزأ عن كمال النوع وفي هذه الحال فإن معايير الصالح والطالح تصبح عامة وتظهر ميول متشابهة ومتساوية وعامة ومطلقة لدى كل الأفراد.

ويواصل الأستاذ العلّامة مطهري لقد أولى راسل اهتمامه لمبدأ «أنا أحب» باعتباره فرداً يفكر فقط بمصالحه المادية والجسمية لكنه لم يهتم بهذا الأصل (أنا أحب) باعتباره فرد يحمل كرامة إلهية سامية أو باعتباره فرداً يحب مصالح النوع البشري.

من جانب آخر وبعد أن يأس (هيوم) من الوصول إلى حقيقة (الأخلاق الخالدة) نرى أتباعه من بعده لا يعتبرون الأخلاق نتاج العقل البشري ولا يولون أهمية لمقولة الكشف والحقيقة بل يعبرون جميعاً

تعبيرات عن الأحاسيس والعواطف النفسية للإنسان كما كانوا يعتقدون أنه لايوجد هنا جسر منطقي بين العواطف والفكر الإنساني ومن هنا فإن الأخلاقيات في رأي هؤلاء لاجذور لها بل هي أدوات من جنس الإدراكات يصنعها الإنسان في إطار أهدافه الفردية والجماعية. وعلى أساس هذا التحليل يستنتج هؤلاء أن الأخلاق أمر اعتباري وبتعدد الاعتبارات يصبح متعدداً أيضاً. ولهذا فإنه لا يوجد في عالم القيم عنصر القداسة والخلود. أمّا الفيلسوف مطهري فيعمد إلى تعديل نظرية العلاّمة الطباطبائي ويستدل على أن اعتبارية الصالح والطالح لا تتعارض مع خلود الأخلاق وقبل الدخول في هذا البحث يطرح العلاّمة مطهري سؤالين يفتحان الطريق اتجاه الهدف المطلوب، الأول: **هل توجد هناك أحكام مشتركة وشاملة ودائمية في وجدان كل الأشخاص؟** أي هل هناك في وجدان الأفراد سلسلة شؤون متشابهة تنشأ عنها آراء الأشخاص علاوة على المحاسن والمساوىء المؤقتة الجزئية والفردية، التي هي موجودة بالتأكيد، أي لا يوجد فيها البعد الفردي (الانا) مثل الأذواق الشخصية التي تنطوي على مسألة (لاجلى) هل أن هذه الأحكام العامة المفروضة رغماً عن المحاسن والمساوىء الفردية موجودة أم لا؟

**أمّا السؤال الثاني فهو لو كان لدينا كل هذه الوجوبيات الكلية فما هي جذورها وأسسها؟** لدى الإجابة عن السؤال الأول نرجع إلى التجارب والمشاهدات ونقول أن الاعتقاد بأننا (أنا والآخرين) لدينا حكم مشترك، أمر لا بأس به مهما كانت جذور هذا الحكم وأسسه، وفي الإجابة عن السؤال الثاني أي الوصول إلى جذور هذه الواجبات العامة، فهناك ثلاثة تبريرات:

**الأول:** هناك دوافع للإنسان لتأمين حاجاته الفردية مثل الجوع الذي يشكل دافع لتناول الطعام لكنه يملك دوافع أخرى، هي الدوافع النوعية، مثل حبه لأن يحصل الآخرون على ما يحصل عليه هو.

**أمّا التبرير الثاني:** فإن الإنسان يملك نوعان من (الأنا) هما (الأنا الفردية) و(الأنا الاجتماعية) يعني أن الإنسان من حيث الحياة فرد يملك الإحساس بـ (الأنا) التي هي (الأنا الفردية) ومن المنظار الاجتماعي يشعر الإنسان بـ (أنا) ثانية هي (الأنا الجماعية) يعني أن المجتمع دخل في وجدان الفرد ووعيه الذاتي فأصبح يشعر أن المجتمع مجسداً في شخصه وهذا الرأي يؤيد مقولة أن هناك نوع من الوحدة بين النفوس ومن الخطأ الفصل بين (الأنا والذات) والذات الواقعية هي التي ترجع في النهاية إلى ذات الله سبحانه وتعالى أمّا (الأنا الفردية) فليست غير حالة من التجلي من تلك (الأنا الواقعية).

ويصل إلى هذه النتيجة أيضاً مع بعض الفروق حيث يقول أن ضمائر الأفراد تملك باطنياً نوعاً من الصلة مع بعضها، وغالباً ما يجهل الأفراد هذه الرابطة لذلك فإن الشخص الذي يقوم بعملية تزكية النفس يمكنه ادراك الترابط الخفي مع ضمائر الآخرين وهذا الترابط سببه اتصال كل الضمائر المصدر الإلهي. أمّا عالم الاجتماع فيعتقد أن الأفراد تظهر لديهم حالة (الأنا) وحقيقة ثقافية بحيث يشعر أحياناً بأن هذه الأنا هي غير تلك الأنا الفردية ولهذا فإن الإنسان يمارس نوعين من الأعمال الأول: لـ (الأنا الفردية) والثانية (الأنا الجماعية).

وواضح أن التبرير الأول اعتمد على الدافعين الموجودين لدى الإنسان أمّا وفق التبرير الثاني فإن لدى الإنسان نوعان من (الأنا) وكذلك (احساسان).

وهكذا فإن المعيار الكلي لوجود الأخلاق النظرية الثانية سيكون بـ (كل عمل نابع من الأنا الجماعية هو أخلاقي وكل عمل نابع من الأنا الفردية ليس أخلاقياً). ومن الممكن أن تتغير مصاديق هذا الأصل إلاّ أنه يظل أصلاً كلياً دائماً.

وقبل بيان النظرية الثالثة في تبرير (الوجوبيات) الكلية التي من إبداع الفيلسوف مطهري والتي يتوخى من خلالها اثبات نظرية خلود الأخلاق، لا بد من استعراض التمهيدات التي يقدمها لهذا الموضوع.

يقول العلاّمة المطهري: حيث أن القرآن يسأل (هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان) فإن الإنسان سيجيب بشكل فطري كلا (جزاء الإحسان لا يكون إلاّ بالإحسان) لكن لنرى من أين يستمد هذا الحكم جذوره لدى كل البشر؟ هل هو أمر ايحائي تفرضه الضرورات الاجتماعية على الإنسان؟ وطبيعي أن الفطرة الإنسانية ستجيب على هذا السؤال أيضاً بالإيجاب لأن جميع العقائد الفكرية تتبنى سلسلة القيم التي يصطلح عليها اليوم بـ(الإنسانية) وهذا يؤكد لنا أن هذه القيم هي من الفطرة الإنسانية.

إن الفطرة الإنسانية نوعان الأولى ما يخص الإدراكات والاستنتاجات والثانية الرغبات والميول.

فيما يخص المعرفة والإدراك هناك عقائد عديدة في هذا المجال منها اعتقاد أفلاطون بعالم المثل والتذكار و(كانت) يعتقد بسلسلة عناصر ذهنية فطرية ولكن مقابل هذا الفريق يطرح فلاسفة الانجليز آراء مخالفة مثل (جان لاك) و(هيوم) اللذين كانا حسيين فهما يعتقدان أنه ليس هناك أية معلومات في لوح الضمير الإنساني بل الإنسان يأخذ كل شيء من الخارج وكل ما لديه إنما تعلمه من الآخرين.

أمّا الحكماء الإسلاميون فهم يعتقدون أن بعض الأشياء رغم قلتها هي فطرية لدى الإنسان يعني أن أصول الفكر الإنساني التي هي مشتركة بين جميع البشر إنما هي أصول فكرية أمّا فروع الفكر والعلم فهي اكتسابية ولكن هذه النظرية لا تعني نفس المفهوم الذي طرحه أفلاطون بل أن المقصود منها أن الإنسان في هذه الدنيا لا يحتاج إلى دليل ومعلم للوصول إلى الأصول. أمّا أرسطو فقد كان لديه نفس هذه النظرية مع بعض الاختلاف ويلاحظ أن الغالبية من الفلاسفة يجمعون على أن هناك مجموعة من الأصول والادراكات الفطرية لدى الإنسان.

أمّا على صعيد الرغبات فالاعتقاد السائد يقوم على أن رغبات الإنسان تتألف من نوعين جسمية وروحية، فالأولى يقصد بها تلك الرغبات والحاجات التي تتعلق بالجسم الإنساني بشكل كامل مثل الجوع والعطش لكن هناك رغبات وحاجات فطرية وغريزية يؤكد علم النفس على تسميتها بـ (الأمور الروحية) واللذات الناتجة عنها هي (لذات روحية) مثل الرغبة في أن يصبح أبا لطفل وحب التفوق وأمثالها وهنا يشير

العـلّامـة المطهـري إلى هذه النقطة الهامة، وهي أن انكار الإدراكات الفطرية والنواحي العلمية والإدراكية تسوق الإنسان إلى وادي الشك المطلق.

**التبريـر الثـالث**: من الضـروري الانتبـاه إلى هذه النقطة وهي أنه لا يمكن لإنسان فعل شيء لا يرتبط بشكل ما بشخصيته فالإنسان يملك نوعان من الأنا هما (أنا السفلى) و(الأنا العليا) ومعنى هذا أن كل فرد له مستويان أو درجتان هما الدرجة الحيوانية التي يتشابه فيها مع كل الحيوانات والثانية هي التي يملك فيها حقيقة سامية يعمل في خدمتها جهاز الأحاسيس والمشاعر ولهذا فعندما يقال أن الطبيعة الإنسانية تسير نحو الكمال فالمقصود بذلك هي الطبيعة الحيوانية والحقيقة الإنسانية مع بعضها البعض.

إن الإنسان يشعر بـ (الأنا العلوية) في وجوده بشكل كامل بل أنه يعتبر هذه الأنا هي الأهم لأنه يقرر خلال حالة التضاد بين الحاجات الحيوانية والإنسانية، ترجيح مقتضيات العقل، وهنا تظهر حالتان فأحياناً يَنجح الإنسان في هذا الترجيح، وأحياناً أخرى يفشل وعندما تتغلب عليه الشهوة يصبح حالة إنسان مهزوم وعنـدمـا يتغلب على شهـوتـه ينتـابه شعور بالنصر والفتح بينما الواقع هو أن لا يوجد شخص انتصر عليه في الحـالـة الأولى ولا شخص هزم على يده في الحـالـة الثانية بل أن الصراع هو بين جانبين من وجوده وحسب الظـاهـر من الإنسـان يجب أن يشعـر في الحالتين بشعور مزدوج من الهزيمة والنصر لأن الاثنين وقعا في إطار مملكة وجوده لكن ذلك لا يحدث عملياً.

وهنـا يقـول الأستـاذ مطهـري نحن نقبـل أصـل الصالح والطالح كما طرحه العلماء مثل الطباطبائي وراسـل أي أن الحب والكـره هما اللذان يحددان الحسن والسيء والـذي يجب والـذي لا يجب ولكن الـذي يجب أن نعرفـه هو أي (أنـا) هي التي تحب؟ أهي الأنـا السفلية أم الأنا العلوية؟ فما دام الإنسان يميل إلى الأنـا العليـا فإن ما تريـده هذه الأنـا هو القيم والأخـلاق ليس لأنـه يفضلها بل لأنها الأنا الأكمل والأسمى وإليهـا تعـود كل الكـمالات كما تعـود النـواقص إلى ضعفهـا أو انعـدامهـا وعلى هذا الأساس فإن الصدق والإحسان والإخلاص والرحمة وفعل الخير وأمثالها هي سلسلة معاني تنسجم مع الأنا العليا للإنسان.

ولـو سلمنـا بهذا الأمـر سنصـل إلى أصـل اسـلامي عظيم وهـو أن الإنسان بحكم امتلاكه للشرف والكرامة الذاتية التي هي بُعد ملكوتي ونفحة إلهية، وشعوره غير المقصود بالكرامة يقوم بقياس الأمور وتميز الخير والفضيلة عن السوء والرذيلة وفقاً لكرامته. ولكن من حيث أن البشر خلقوا متشابهين في كمال نفوسهم وهذا يستتبع تشابهاً مما يحبون ومايكرهون فإن وجهات النظر ستكون أيضاً متشابهة وجميع الفضائل الأخلاقية سواء كانت اجتماعية أو غير اجتماعية مثل الصبر والاستقامة ونظائرها، وعلى هذا الأسـاس يمكن تبرير هذا التشابه. إذن اتضـح لنـا أن النظريتين السابقتين يمكنهما تبرير الأخلاق الاجتماعية فقط مثل الإيثار ومسـاعدة الآخرين وأمثالها أمَا الأخلاقيات الأخرى مثل الصبر والاستقامة وغيرها فلا يمكن تبريرها وفقهما بعكس النظـريـة الأخـيرة التي يمكنهـا تبريـر كل الأصـول الأخلاقية. رغم أننا نقبل بأصل الموضوع وهو أن جميع المحاسن والمساوىء إنما تبين علاقة الشيء بالكمال الذاتي للإنسان وفي نفس الوقت تكون مشتركة وكلية ودائمية.

# المرأة في الإسلام
# من خلال فكر العلامة مرتضى المطهري

الدكتور: الشيخ محمد صهيب الشامي

**حمداً لمن خلق فسوّى ـ وقدّر فهدى ـ**
**خلق الزوجين الذكر والأنثى**

**إن أي دراسة يقوم بها باحث لمسألة في نظام الإسلام من خلال رؤية مذهبية أو شخصية لعالم أو فقيه، تعكس بطبيعة الحال صورة المذهب أو الفقيه، ومدى استيعابه للأحكام الشرعية، ومطابقة فهمه لمقتضى شمولية التصور الإسلامي لجوانب الوجود الإنساني ومستلزماته.**

**إذ من الطبيعي أن يعرف الفرع بأصله والمضاف بما أضيف إليه، وكلما تحققت النسبة وصدقت صحت المطابقة وكملت، حتى يغدو الفرع عنواناً للأصل يستدل به عليه، ويوصل منه إليه.**

«صحيح أننا لا نعرف الحق بالرجال، وإنما نعرف الرجال بالحق» غير أنه لا غنى لنا عنهم، فهم الوسطاء إليه والأدلاء عليه[1]، وهذا ما شجعني على اختيار هذا الموضوع إضافة إلى اهتمامي الشخصي به، وذلك لما رأيته في فكر العلامة المطهري من مطابقة دقيقة لشمولية التصور الإسلامي وتوفيق رائع بين رؤية الإسلام للمرأة، وما كشفت عنه العلوم الإنسانية المعاصرة من حقائق علمية تتعلق بالمرأة والرجل معاً.

«إذ إن أول ما يثير انتباه المطلع على فكر السيد المطهري تلك المقدرة الجدية القائمة على الاحتجاج

المنطقي وهي قدرة نجحت إلى حد كبير في ابراز منطقية الموقف الإسلامي من المرأة واتفاقه مع العقل والواقع .

وهذا مايرجع بنا إلى سلفنا من العلماء المتكلمين الذين استخدموا الحجج المنطقية والعقلية بعيداً عن شواهد النقل في مخاطبة خصوم الإسلام .

الأمر الذي يحتاجه علماؤ نا اليوم من أجل إزاحة الغشاوة عن قلوب الكثير من أبنائنا الذين جرفهم تيار الدعاية المغرضة وألقى بهم في دوامة الشك والتردد .

وحل عندهم التساوي محل «التشابه» والمساواة محل «التماثل» واختفت «الكيفية» في ظل «الكمية» وكون المرأة «إنساناً» أدّى إلى نسيان كونها «امرأة»[٢] .

ولا نجد في تاريخ الحضارة الإنسانية ديناً أو مذهباً تدخل في أمور الحياة اليومية للناس كما فعل الإسلام الذي لم يكتف بتحديد علاقة الإنسان بالسماء وإنما قدم رؤ ية وتصوراً للعلاقة بين الإنسان وما حوله ، موضحاً بذلك الخطوط العامة للعلاقات البشرية ، متخذاً من الفطرة والطبيعة مرتكزاً في تحقيق التوازن بين الحقوق والواجبات .

ولينصهر الكل في بوتقة العبودية للخالق ، وبذلك تتحقق السادة المنشودة من خلال التكامل والتفاعل .

وقد أقر الكثير من الباحثين غير المسلمين بهذه الصفة التي جعلت من الإسلام ونظامه مصدراً أساسياً للتشريع يضاهي ما عرفته البشرية عبر تاريخها القديم والحديث[٣] .

وعلى الرغم من ذلك كله نجد سهام المغرضين مصوبة إلى هذا النظام لتنال من عدالته وصلاحيته ولم يعد الأمر مقتصراً عليهم ، إذ تعداه إلى أبناء المسلمين الذين تثقفوا في مدارس وجامعات التبشير دون حصانة من ثقافة الإسلام وتعاليمه .

وقد كان لهؤلاء دور بارز في المراحل اللاحقة في قيادة دفة التربية والتعليم في بلاد الإسلام وأرضه .

فرضوا فيها مناهج الخصوم مما أفسد عقيدة الأمة وثقتها بدينها ، وكان ذلك وفق خطة مبرمجة سهر على تنفيذها التبشير الغربي ردحاً من الزمن إلى أن أسلم القيادة إلى هذه الطبقة التي تربت على موائده ونهلت من مشاربه فاطمأن على استمرار ما خطط ونفّذ وبات قرير العين وهذا ما تؤكده الإرساليات التبشيرية على لسان صموئيل زويمر[٤] .

يقول «لقد قبضنا أيها الأخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير . . . . إنكم أعددتم له بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد .

«لقد أدّت المناهج التعليمية دورها في إضعاف التواصل بين المسلم وأصوله الثقافية إضافة إلى غرز الشكوك في تلك الثقافة وصلاحيتها[٥] .

«وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله» وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام[6].

«وكان موقف الإسلام من المرأة من أبرز الجوانب التي انهالت عليها السهام لتقصي بذلك نصف المجتمع عن استيعاب نهج الإسلام في الحياة، وبذلك تقتسم السيطرة على سائر أفراده.

نظراً لما للمرأة من دور فاعل في بناء الفرد والأسرة والمجتمع ولعل في النداء التالي: الذي أصله الأعضاء المبشرات أبان مؤتمر القاهرة عام (١٩٠٦) ما يؤكد هذه الحقيقة.

«لا سبيل[7] إلّا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح. إن عدد النساء المسلمات عظيم جداً.. فكل نشاط مجد للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما يبذل إلى الآن»...

نحن لا نقترح منظمات جديدة ولكن نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائي على العمل واضعة نصب عينها هدفاً جديداً هو الوصول إلى جميع نساء العالم المسلمات في هذا الجيل».

ولّما كان الموضوع متشعباً يتناول عدداً من الجوانب فقد رأيت أن أركز دراستي هذه على ثلاث من القضايا، هي في رأيي من أكثر الجوانب إثارة للجدل وتعرضاً للهجوم، ولو كان هذا الهجوم مبنياً على النقد العلمي لهان الأمر، ولكنه هجوم غوغائي يرمي إلى تشويه صورة الإسلام وإظهاره عاجزاً عن مواكبة ركب الحضارة.

تلك القضايا هي مسألة الزواج المؤقت أو زواج المتعة، ومسألة تعدد الزوجات ومسألة الإرث.

وسوف أقدم لهذه المسائل بفكرة عن المبدأ الذي يبني السيد المطهري عليه معالجته لهذه القضايا.

## مسألة مصادر الحقوق الطبيعية:

يبني السيد المطهري بحثه مسألة نظام الأسرة في الإسلام على قضية جوهرية تلك هي مسألة مصادر الحقوق الطبيعية للإنسان. فأساس هذه الحقوق الطبيعية والفطرية هو الطبيعة نفسها. فالإنسان يتمتع بحقوق خاصة تفتقدها بقية الحيوانات وأساس ذلك الطبيعة والخلقة. وكذلك فإن مسألة نظام الأسرة ليس لها مرجع غير الطبيعة فاختلاف الرجل عن المرأة إنما هو اختلاف طبيعي عفوي، وهو اختلاف يؤثر في أساس بناء جسميهما وروحيهما كما يؤثر في صياغة الحقوق التي يجب أن يتمتعا بها أو المسؤوليات التي يجب أن يتعهدا بها بالمرأة والرجل متساويات في الإنسانية لكنهما نوعان من الإنسان، بنوعين من الخواص ونوعين من الصفات النفسية، وهذا الاختلاف ليس ناتجاً عن عوامل جغرافية أو تاريخية أو اجتماعية، انما مخطط ذلك قد نقش في أصل الخلقة.

إن للطبيعة وراء صنع نوعين من الإنسان هدفاً معيناً، وكل عمل ضد الطبيعة والفطرة لا بد أن يؤدي إلى عوارض غير مرغوبة»[٨].

إن كل الطروحات المقدمة في مناقشة قضية نظام الأسرة تنسى هذه القضية الأساسية وهذا ما يجعلها خاطئة، فهي تستغل شعاري الحرية والمساواة للمرأة وتؤكد أن تساوي المرأة والرجل في الإنسانية يعني تساويهما في الحقوق الإنسانية. ولا يرفض السيد المطهري هذا المبدأ بل يؤيده، إلّا أنه يعترض على منهج دعاته في الاستنتاج.

إذ أن هؤلاء يستنتجون أن التساوي في الحقوق يعني التشابه في تلك الحقوق، ويقيمون دعاويهم تلك على هذا الاستنتاج، والحق أن التساوي في الحقوق يقوم على اعتبار أن المرأة والرجل من الجنس البشري وهذا لا يعني أن حقوقهما متشابهة وذلك لأن هذه الحقوق تعود إلى الطبيعة التي تفرّق بين المرأة والرجل كنوع. فالكم غير الكيف والتساوي غير التشابه والتماثل، فالتساوي هو المساواة والتشابه هو المماثلة ويمكن لأب ثري على سبيل المثال أن يقسم ثروته بالتساوي بين أولاده ولا يقسمها بشكل متشابه إذ يمكن أن يكون للأب عدة أنواع من الثروات يكون أحدها متجراً وثانيها أرضاً زراعية وثالثها أملاكاً مؤجرة ولكن بما أنه كان قد اختبر مقدماً استعدادات كل من أولاده فوجد أن لأحدهم قابلية في العمل التجاري وللثاني رغبة في الزراعة، وللثالث قابلية في إدارة الأملاك المؤجرة، فإذا أراد أن يقسم ثروته بين أولاده في حياته فإنه مع الأخذ بنظر الاعتبار مراعاة التساوي في القيمة عند التقسيم - سيمنح أولاده من ثروته كلًّا حسب ما وجد فيه الاستعداد لادارته والنجاح فيه[٩].

فالإسلام لم يفرق بين المرأة والرجل من الناحية الإنسانية إلّا أنه لم يمنحهما حقوقاً متشابهة من لون واحد وإنما أعطى لكل منهما حقوقاً تتلاءم مع طبيعة كل منهما ولم يفضل الرجل على المرأة أو المرأة على الرجل في هذه الحقوق.

ألم يضع الإسلام للمرأة والرجل حقوقاً متشابهة في جميع الحالات كما أنه لم يضع عليهما في جميع المجالات تكاليف وعقوبات متشابهة. ولكن هذا لا يعني على الإطلاق أن مجموع الحقوق التي أعطاها للمرأة أقل قيمة من تلك الحقوق التي أعطاها للرجل، وهذا ما يتوافق مع المسألة الجوهرية في مصدر الحقوق الطبيعية.

ويفصل السيد المطهري في بحث هذه المسألة بشكل كامل في ضوء الدين الإسلامي ومعطيات الفلسفة وعلمي الأحياء والاجتماع، ويعتمد عليها في مناقشة موقف الإسلام من نظام الأسرة.

### ١ - الزواج المؤقت «زواج المتعة»:

يمكن النظر إلى هذه القضية على أنها مسألة خلافية بين المذهب الجعفري الشيعي وبين المذاهب

عند أهل السنّة، فالشيعة يستندون في إقرارهم الزواج المؤقت على أحاديث نبوية وأخبار عن الصحابة، على حين أن أهل السنة يعتقدون أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن زواج المتعة بعد أن كان قد أحلّه ونهى عنه عدة مرات في ظروف مختلفة. وأكثر اعتراضات - أهل السنّة وجاهة على الزواج المؤقت - بالإضافة إلى نهي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، هو أن هذا الزواج لا يحقق السكينة الموجودة بين الزوجين، كما في حال الزواج الدائم.

ففكرة أن العقد يحدد مدة الاقتران تضع في خاطر أصحابه الفراق المحتوم وهذا ما يجعل من العسير عليهما إنشاء أسرة متينة تتوفر لها الشروط الكاملة وأهمها السكينة تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم: ٢١١).

أمّا وجهة نظر الشيعة الجعفرية. فنجد لها عرضاً كاملاً عند السيد المطهري، ففي مذهب الجعفري يتفق الزواج الدائم والزواج المؤقت في بعض الأمور ويختلفان في بعضها الآخر والذي يميز أحدهما من الآخر بالدرجة الأولى هو أن المرأة والرجل يتفقان في الزواج المؤقت على أن يكونا زوجين لمدة معينة فقط.

وبالدرجة الثانية إن الزواج يوفر للزوجين حرية أكثر من ادخال الشروط التي يرغبان فيها في العقد، فالفرق الجوهري بين الزواج المؤقت والدائم هو أن الأول حر من حيث حدوده وقيوده، ويمكن أن نلخص أهم الفوارق بين الزواجين فيما يلي:

في الزواج الدائم على الزوجة أن تطيع أمر زوجها باعتباره رئيس العائلة أمّا في المؤقت فالأمر راجع إلى الاتفاق بينهما.

في الزواج الدائم يرث كل من الزوجين الآخر أمّا في المؤقت فلا إرث بينهما.

في الزواج الدائم لا يحق لأي من الزوجين أن يمنع الحمل من غير موافقة صاحبه، أمّا في الزواج المؤقت فلا تشترط موافقة الطرف الآخر من أجل منع الحمل.

على الزوجة الدائمة أن تعتد بعد الطلاق وكذلك على الزوجة المؤقتة مع فارق أن عدة الزوجة الدائمة ثلاث حيضات وعدة غير الدائمة حيضتان أو خمسة وأربعون يوماً.

تلك هي أبرز الخلافات بين الزواج الدائم والزواج المؤقت[١٠]، وما عدا ذلك فلا خلاف بين هذين الزوجين.

ذلك هو الزواج المؤقت من وجهة النظر الشرعية، فما الحجج التي قدمها السيد المطهري في دفاعه عن هذا الزواج إزاء الهجوم الذي يتعرض له من السنة وبعض الشيعة على السواء؟

هناك العديد من الحجج الذرائعية التي يقدمها السيد المطهري للدفاع عن الزواج المؤقت وهي حجج منطقية مستمدة من الطبيعة الإنسانية والواقع الذي يعيش فيه الإنسان داخل ظروف اجتماعية محددة، حجج ذرائعية لأنها تقوم على المقارنة بين حلّين ممكنين للمشاكل الجنسية التي تعاني منها المجتمعات

الحديثة ولا سيما الشباب، فالزواج الدائم يُحمِّل الزوجين مسؤولية وتكاليف كثيرة لا يمكن للفتى أوللفتاة تحملها ـ بمجرد البلوغ حيث ضغط الغريزة على أشده ـ إن تزوجا بالعقد الدائم، والمشكلة في العصر الحديث أنه قد أطال المدة الفاصلة بين البلوغ الطبيعي والبلوغ الاجتماعي حيث لا يمكن للشاب أن يفتح بيتاً ويكوّن أسرة، فالفتى الذي يوفق في دراسته ويتمها من غير تأخر ولا رسوب يتخرج من الجامعة وعمره اثنان وعشرون سنة ويستطيع بعد ذلك فقط أن يكوّن دخلاً خاصاً به، وهذا ما يضطره إلى الصبر ثلاث أو أربع سنوات ليستطيع جمع ما يكفي من المال ليفكر في مشروع الزواج الدائم هذا إذا أهملنا الفترة التي يقضيها في الخدمة العسكرية والظروف ـ الاقتصادية الصعبة التي تمر فيها معظم الدول الإسلامية ـ ويمكننا أن نقول أن الفتاة الشابة تمر في العصر الراهن بالمراحل نفسها باستثناء الخدمة العسكرية. والسؤال في هذه الحال يطرح على الشكل التالي: هل الشبان على استعداد للخوض في تجربة الرهبانية المؤقتة يروضون خلالها أنفسهم على الصبر إلى أن يتمكنوا من الزواج الدائم؟ ولو سلمنا جدلاً أن شاباً يرضى أن يفرض على نفسه رهبانية مؤقتة فهل تساعده طبيعته وغرائزه على ذلك وتعفيه من الوقوع تحت تأثير العوامل النفسية السيئة والخطورة الناتجة عن ممارسة مقتضيات الغريزة الجنسية والتي كشفت عنها الدراسات العصرية؟

لم يبق والحالة هذه إلاّ طريقان، فإمّا أن يترك الشباب يفعلون ما يريدون، فتتصل الفتاة بمئات الشبان ويتصل الفتى بمئات الشابات، وتجيز للفتيات اسقاط أجنتهن كلما أردن أي أننا نطبق الشيوعية الجنسية، وإمّا أن يسمح لهم بالزواج المؤقت الحر الذي يحدد علاقات المرأة بالرجل إذ لا يمكن أن تكون الفتاة زوجة لاثنين، وحين تختص كل امرأة برجل معين يصبح في النتيجة كل رجل مختصاً بامرأة معينة وبهذه الطريقة ينهي الفتى والفتاة مرحلة الدراسة الخطرة جنسياً دون أن يتحملا مصاعب الرهبانية المؤقتة وعواقبها أو يسقطا فريسة الشيوعية الجنسية التي نرى آثارها واضحة في المجتمعات الغربية تأتي في مقدمتها تفكك الأسرة التي تعتبر الخلية الأساسية في بناء المجتمع وانهيار الأخلاق واضطراب القوانين.

ولكن ذلك لا يجعلنا ننسى أن الزواج الدائم هو الأصل وأن الزواج المؤقت لا يراد به أن يحل محل الزواج الدائم ويلغيه، بل على العكس لا يشرّع إلا في الحالات التي يكون فيها الزواج الدائم غير قادر على أن يفي باحتياجات البشر في كل الحالات أو عندما يتعذر تحقيقه، أمّا سوء استغلال الرجال المستهترين للزواج المؤقت فهو لا يختلف عن سوء استغلالهم لتعدد الزوجات وهو أمر يجب أن يردعه القانون الشرعي.

### ٢ ـ تعدد الزوجات:

مسألة تعدد الزوجات، على العكس من قضية الزواج المؤقت، قضية إسلامية يقرها المذهب

الجعفري كما تقرها المذاهب الفقهية عند أهل السنّة، وتعدد الزوجات من المسائل التي عرفها العرب وكثير من الشعوب الأخرى قبل الإسلام، والتي لم يلغِها الإسلام وإنما حدّدها وقيّدها فمن جهة جعل له حداً أعلى هو أربع زوجات، ومن جهة أخرى وضع له قيوداً وشروطاً ولم يبحه لكل من أراد.

أمّا الأسباب التاريخية التي دعت إلى تعدد الزوجات في المجتمعات البدائية فيمكن إعادتها إلى مبدأ مصادر الحقوق الطبيعية، فقد كان الرجال منشغلين في تلك المجتمعات بالصيد والحرب مما كان يعرّض حياتهم إلى الأخطار فكانت نسبة الوفيات في الرجال أكبر منها في النساء مما جعل عدد النساء يزيد على عدد الرجال وأدّى بالتالي إلى أن يسود نظام تعدد الزوجات أو بقاء الكثير من النساء بدون زوج، وقد كانت عوامل الموت والفناء كثيرة في تلك المجتمعات وكان المنطق ـ العملي يجعل تعدد الزوجات في هذه المجتمعات أمراً مألوفاً.

وقد يظن أن الأمر اختلف في العصور اللاحقة مع تغير ظروف العيش وهذا ما جعل البعض يتصور أن تعدد الزوجات إنما هو قانون وضعه الرجال بسبب من سيطرتهم على المرأة وتحكمهم بها، والحق أن هذا التصور خاطىء في أساسه إذ أن الدراسات الانتربولوجية تظهر أن هذه السيطرة لم تكن موجودة في المجتمعات البدائية، وإن تقسيم العمل بين الرجل والمرأة لم يتم إلّا نتيجة طبيعية لاختلاف المرأة عن الرجل في القوى الجسدية وهو اختلاف طبيعي خلقي لا علاقة للظروف الاجتماعية فيه.

وإذا ما تجاوزنا المنشأة التاريخية لتعدد الزوجات فإننا نجد عدداً مهماً من العوامل الطبيعية الغريزية والاجتماعية المادية التي تسوغ تعدد الزوجات وتجعل منه سلوكاً منطقياً يلبي حاجات الطبيعة البشرية ولا يتعارض معها.

من هذه العوامل نذكر العادة الشهرية للمرأة ووجوب امتناع الرجل عن مقاربتها خلال فترة العادة، بالإضافة إلى تعبها من الولادة واعتزالها الحياة الزوجية واتجاهها لتغذية أطفالها وتربيتهم والاهتمام بشؤون البيت، ولا شك في أن كل هذا يجعل المرأة والرجل في وضع غير متساو من الناحية الجنسية فيضطر الرجل إلى البحث عن زوجة ثانية وبخاصة إذا كان ممن يتمتعون بقدرات جنسية تميزه من سواه من الرجال. وهناك أيضاً محدودية فترة الاخصاب عند المرأة بخلاف الرجل. إذ قد تصل المرأة سن اليأس قبل أن تكون قد أنجبت عدداً كافياً من الأولاد أو يكون الأولاد السابقون قد قضوا نحبهم. ونظراً لرغبة الرجل في الحصول على الأولاد وعدم رغبته في طلاق زوجته تراه يسعى للزواج من ثانية وثالثة، وهكذا الحال إذا كانت الزوجة عاقراً. ولعل أهم تلك العوامل هو زيادة عدد النساء على عدد الرجال وليس سبب ذلك زيادة مواليد الفتيات على الفتيان لكنَّ السبب هو أن وفيات الرجال تزيد دائماً على وفيات النساء، وقد كان هذا السبب ولا زال يؤدي إلى حرمان أعداد كبيرة من النساء من الحصول على زوج شرعي وبيت وأطفال شرعيين فيما إذا التزم القانون نظام الزوجة الواحدة.

إن حق الزواج واحد من أهم حقوق الإنسان ولا يجوز أن يحرم أحد من الناس منه بأية حجة وكل فرد

له مثـل هذا الحق على مجتمعـه، وعلى هذا المجتمـع أن يضـع حلولاً كفيلة نتيح له الحصول عليه «وبما أن العمـل بقـانـون الزوجة الواحدة في حالة زيادة عدد النساء المؤهلات للزواج على عدد الرجال المؤهلين له يحرم عدداً من النساء من هذا الحق، فإن هذا القانون يصبح مخالفاً للحقوق الطبيعية للإنسان»(١١). ولكن ما الأسباب التي تؤدي إلى زيادة عدد النساء المهيئات للزواج على عدد الرجال؟ يمكننا ذكر اثنين هما أبرز تلك الأسباب:

**الأول**: أن مرحلة البلوغ لدى الفتيـات تسبق فترة البلوغ للفتيـان، ولـذا نجد سن الزواج القانوني للفتيات أقل من سن الزواج القانوني للفتيان. وبشكل عملي فإننا نرى أن أعمار الرجال تزيد عند الزواج في أكثر بقاع العالم خمس سنوات أو أكثر على أعمار زوجاتهم.

**الثـاني**: إن الـوفيـات بين الرجال أكثر منها بين النساء، هذه الوفيات تحدث في صفوف الرجال سواء عنـد صراع الإنســان ضد الإنســان أو صراعـه ضد الطبيعة والحرب أبرز مثال على هذا الصراع وفيها يقدِّم الرجال خسائر فادحة في الأرواح تؤدي دائماً إلى اختلال كبير في التوازن بين أعداد النساء والرجال المهيئين للزواج، وهناك حقيقة أخرى يمكن أن تذكر سبباً يفسر زيادة الوفيات بين الرجال عما هي عليه بين النساء وهي حقيقة كشفت عنها العلوم الحديثة ومضمونها أن مقاومة الرجل للأمراض المختلفة أقل من مقاومة المرأة لها مما يؤدي إلى زيادة عدد الوفيات بين الرجال نتيجة الإصابة بالأمراض.

إن هذه العـوامـل المسـوغـة لتعـدد الـزوجـات ليست تاريخيـة فحسب وإنـما هي مستمرة في العصر الحديث، والدليل على ذلك يمكن رؤيته بوضوح في المجتمعات الغربية التي لا تقر إلاّ بالزوجة الواحدة، إن نظـرة واحـدة على تلك المجتمعـات كافية للكشف عن الفوضى الجنسية التي تسود بين أفرادها. فاتخاذ الخليـلات وسـرقـة زوجات الأصدقاء أو أزواج الصديقات أمر شائع، كما أن عدد حوادث الاغتصاب التي تسجل في تلك المجتمعات كبيرة جداً وكل هذا إنما يؤكد أن الإسلام عرف سر الطبيعة البشرية فعمل على تنظيمهـا ووضـع القـواعد لها وأخضعها لرقابة المجتمع بدلاً من أن يترك الإنسان يتخبط بين مقاومة الغريزة الجنسيـة لديـه وبـين الخـوف من المجتمـع إذا ما حاول الانسيـاق وراء تلك الغـريـزة وأعجب ما في تلك المجتمعـات الغـربيـة أن عدداً منها يجيز اللواط ويمنع تعدد الزوجات، وذلك كما فعلت الحكومة البريطانية عندما صادق مجلس العموم البريطاني على قانون إباحة اللواط بعد نقاش دام ثماني ساعات على حين أن تعدد الزوجات ممنوع في انجلترا فإذا جاء الزوج بشريكة لزوجته من نفسها يكون قد ارتكب جريمة وعملاً غير إنســاني. أمّـا إذا كان الشـريـك من جنس الـرجال فقد قام بعمل مشرف وإنساني يتناسب ومقتضيات حقوق الإنسان في القرن العشرين. وبتعبير آخر فإن أهل الحل والربط من الانجليز «يرون أن (الشريكة) إذا كانت ذات شارب ولحيـة فتعـدد الـزوجات في هذه الحالة أمر جائز».. !!، ليسمع أولئك الذين يقولون بأن العـالـم الغـربي قد وجـد حلاً لمشكـلاتـه الجنسيـة والعـائليـة.. وأنـه يجب علينا أن نفيد نحن من هذا الحل..!، فهل هذا هو الحل؟!... إنما الذي أعجب له هو لماذا فقد شعبنا منطقه؟!

لماذا لا يمتلك شبابنا وخريجونا هذه الأيام القدرة على . . . ؟ لماذا فقدوا شخصياتهم؟

لماذا عندما تكون بين أيديهم جوهرة ويقول لهم سكّان النصف الآخر من العالم أن هذه جوزة يصدقون كلامهم ويرمون الجوهرة من أيديهم، وإذا رأوا في يد الأجنبي جوزة، وقالوا لهم إنها جوهرة، صدّقوا ذلك وطافوا حولها[١٢].

إن عرض العوامل المسوغة لتعدد لزوجات لا ينهي القضية عند السيد المطهري، ذلك أن له وجهة نظر أخرى في الموضوع فالمسألة ليست في أيها أفضل تعدد الزوجات أم الزوجة الواحدة؟ إذ من الطبيعي أن نظام الزوجة الواحدة تعني وحدة الأسرة وانسجام روحين وجسمين مع بعضهما، ولما كانت الوحدة والانسجام هما روح الحياة الزوجية وهما في الزواج الواحد أوضح وأكمل فقد كان هذا الزواج أفضل من تعدد الزوجات، إن المسألة التي يجب طرحها هي أنه في حالة زيادة عدد النساء المؤهلات للزواج على عدد الرجال المحتاجين له فإن نظام الزوجة الواحدة نفسه يتعرض لخطر الزوال والفناء. إن فرض نظام الزوجة الواحدة على جميع الرجال أمر يتعارض مع الطبيعة البشرية وهو ما يثبته الواقع العملي، وما على الناس إلاّ أن يختاروا بين أمرين: إمّا الاعتراف بتعدد الزوجات أو قبول باتخاذ الخليلات. «وبتعبير آخر إمّا القبول بتعدد الزوجات لبعض الرجال الذين لا تزيد نسبتهم عن العشرة بالمئة في المجتمع ـ وضمان حصول النساء العازبات على حياة زوجية وعائلية، وإمّا فتح الطريق أمام اتخاذ الخليلات. ويعني الاختيار الثاني طبعاً أن كل خليلة يمكن أن تتصل بأكثر من رجل مما يجعل أكثر المتزوجين ذوي عدة زوجات من الناحية العملية»[١٣].

## ٣ ـ مسألة الإرث:

لمسألة الإرث قصة طويلة تعود بداياتها إلى العصور القديمة. وقد كان السبب الأساسي لحرمان المرأة من الإرث هو منع انتقال الثروة من عائلة إلى أخرى فقد كانت العصور القديمة تعتبر الأم وعاء تنمو في داخله نطف الرجال ليوجد الأولاد. ولذا فقد اعتقدوا أن أحفاد الرجل هم له ويشكلون جزءاً من أسرته وامتداداً له، وأمّا أسباطه (أولاد بناته) فليسوا من ذريته ولا جزءاً من أسرته بل هم امتداد لعائلة أبيهم، وفي هذه الحالة إذا ورثت الفتاة ثم انتقل هذا الإرث منها إلى أولادها كان هذا انتقالاً لثروة عائلة إلى عائلة أخرى، على حين إن عدم توريثها يعني بقاء المال في الأسرة نفسها.

وكان العرب في الجاهلية لا يخرجون على هذه القاعدة فكانوا يرفضون (توريث المرأة وعندما نزلت آية الإرث عجب العرب لذلك واحتجوا عليها فقالوا إن المرأة لا تحمل السلاح ولا تقاتل العدو، إنما نحن اللذين نمسك السيف وندافع عن أنفسنا وعن النساء، لذا المال يجب أن يكون للرجال، لكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبلغهم حكم الله تعالى. فالإسلام قام برد اعتبار المرأة عندما ألغى ما تعارف عليه العرب

الجاهليون وغيرهم من الأمم من حرمان المرأة من الإرث. كما أنه ألغى في الوقت نفسه أنظمة أخرى من الإرث كان الجاهليون يعرفونها كإرث الابن المتبنى وإرث ضامن العهد (ضامن الجريرة) والتعامل مع زوجة الأب المتوفى جزءاً من أمواله الموروثة، أمّا ما ينتقده المنادون بحق المساواة بين الرجل والمرأة فهو كون نصيب المرأة من الإرث يعادل نصف نصيب الرجل، ففي الشريعة الإسلامية يرث الولد ضعف ما ترثه البنت، ويرث الأخ ضعف ما ترثه الأخت، إلّا مع الأبوين فإنه حين يتوفى رجل وله أولاد ويكون والداه على قيد الحياة فإن كلّاً منهما يرث سدس ما تركه الميت(١٢) والمتأمل في ذلك القانون في ضوء ما ذكرناه من مبدأ مصادر الحقوق الطبيعية يدرك أن الإسلام استوحى الطبيعة الإنسانية للرجل والمرأة والواقع العملي المعيشي عندما وضع نظام الإرث. فالمرأة تتمتع بحقوق وواجبات تختلف عن حقوق الرجل وواجباته، فسبب تحديد الإسلام نصيب المرأة في الإرث بنصف نصيب الرجل إنما هو الوضع المميز الذي تمثله المرأة في هذا المجال من حيث المهر والنفقة والجندية وبعض القوانين الجزائية، فإذا كان الإسلام قد رفع هذه الأمور عن كاهل المرأة وفرضها على الرجل، فهو يريد أن يعوّض هذا الفرض عن طريق الإرث فجعل نصيب الرجل ضعف نصيب المرأة.

ولكن يجب التنبيه إلى أن المسألة هنا ليست مسألة مالية واقتصادية صرفة. فالإسلام يأخذ في نظر الاعتبار جوانب متعددة لهذه القضية منها ما هو طبيعي ومنها ما هو نفسي، فالمرأة بحكم طبيعتها الخلقية تعيش مشاكل خاصة بها تتعلق بالحمل والانجاب ورضاعة الأطفال والعناية بهم في حين أن الرجل يكون حراً في خلال ذلك الوقت قادراً على العمل والانتاج وكسب المال وتزكيته، وقد كان الرجل منذ القديم وما زال هو الذي يتحمل النفقات التي تترتب على الأسرة إزاء المجتمع باعتباره هو المنتج المالك لرأس مال العائلة. والإسلام في إعطائه المرأة نصف نصيب الرجل من الميراث إنما ينسجم مع الطبيعة الخلقية للإنسان ومع الظروف الاجتماعية التي يعيش فيها.



**الحواشي:**

(١) ـ الشاطبي..

(٢) ـ ص ١٠ حقوق نظام الأسرة في الإسلام.

(٣) ـ مؤتمر لاهاي.

(٤) ـ رئيس ارسالية التبشير في البحرين ورئيس المبشرين في الشرق وذلك في مؤتمر القدس المنعقد برئاسته عام ١٩٣٥م إبان الاحتلال البريطاني لفلسطين.

(٥) ـ عبدالرحمن حبنكه الميداني ص ٥٩.

(٦) ـ المصدر السابق ص ٥٩.

(٧) ـ المصدر السابق ص ٦٤.

(٨) ـ نظام حقوق المرأة في الإسلام ص ٩.

(٩) ـ المصدر السابق ص ١٢٣.

(١٠) ـ انظر الصفحات ٤٣ و٤٤ و٤٥ من المصدر السابق.

(١١) ـ المصدر السابق ص ٣٤١.

(١٢) ـ المصدر السابق ص ٢٤٠.






**برنامج اليوم الثاني من المؤتمر الدولي لدراسة أفكار العلامة مرتضى المطهري**
**«الأثنين ٦/ ٥/ ١٩٩١»**

١ ـ القرآن الكريم . . بصوت الشيخ خير شريف من لبنان .

٢ ـ الشيخ عفيف النابلسي من علماء لبنان .

٣ ـ حجة الإسلام الدكتور مصطفى محقق رئيس هيئة التفتيش العليا في الجمهورية الإسلامية الإيرانية والأستاذ في جامعة طهران .

٤ ـ حجة الإسلام السيد حسن النوري ـ جماعة العلماء المجاهدين في العراق .

٥ ـ الدكتور أسعد علي الأستاذ في كلية الآداب جامعة دمشق .

٦ ـ الدكتور صلاح الصاوي ـ أستاذ جامعي .

٧ ـ الدكتور حسين قوتلي ـ مدير عام دار الإفتاء اللبنانية سابقاً .

٨ ـ الصلاة والضيافة .

رئاسة الجلسة :

١ ـ حجة الإسلام مصطفى محقق الجمهورية الإسلامية الإيرانية . ٢ ـ د . أسعد علي . سوريا . ٣ ـ د . صهيب الشامي . سوريا . ٤ ـ د . حسين القوتلي . لبنان .

# نظـرة في كتـاب
# نظـام حقـوق المـرأة في الإسـلام

الشيخ عفيف النابلسي

**حول المرأة صراع بين الحاضر والماضي، وبين الشرق والغرب، والفلسفة القديمة والفلسفة الحديثة، بين العلماء والملوك، بين الرساليين وأصحاب المتاجر.**

**والصـراع المـريـر والطـويل العريض والعريق السحيق والجديد القـديم، لم يبق في دائـرة صغـيرة وإنما تعداها إلى جميع الدوائر الرسمية والعلمية والأدبية.**

**والفلاسفة كان لهم الدور الأبرز في تقويم المرأة جسدياً وروحياً، كما أن ما نسب إلى بعض الكتب السماويـة يعبر عن ظاهـرة في مجتمع الكنيسة حول هذا الموضوع.**

فإنسـانيـة المرأة بين أخـذ ورد ومنـاقشات قانونية على مستوى المجالس البرلمانية منذ عصر الإغريق حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وبزوغ فجر القرن التاسع عشر.

والـذين ابتعـدوا أو أبعـدوا عن النـور الإسـلامي الـوهّـاج ما استطاعوا أن يفهموا الرأي الإسلامي الصحيح حول المرأة، ولم يكتفـوا بجهلهم هذا ويسكتـوا عليـه بل اقترفوا ذنوباً كبرى عندما تقوّلوا على الإسلام واتهموه بالأباطيل بأنه ظالم للمرأة في الوقت الذي لم نجد منهجاً سماوياً ولا أرضياً كرّم المرأة واعتنى فيها وأمّنها قانونياً من الاعتداء عليها واستغلالها كالإسلام.

وأمام هذه الافتراءات والأكاذيب والتي وردت تارة في ضمن قصة تاريخية أو في عملية تفسير لظاهرة طبيعيـة أو في قراءة لبعض الأحكـام الفقهيـة. كان لا بد لرجـل عالم يتصـدى لهذه الأبـاطيـل فيـددهـا

ولـلافـتراءات فيبطلهـا بمنطق هو الفصل في الإحاطة والمنطق والدراسة المتكاملة ليبطل الباطل ويحق الحق ويرد أصحاب البدع على أعقابهم القهقرى.

والشيـخ الفيلسـوف والعـلامـة المتبحر والذي درس الإسلام الدراسة الواعية والشاملة ودرس فلسفة القوم جملة وتفصيلاً واستوعب الأسئلة التشكيكية والشبهات الحادة والتي كان وراءها حملة لإسقاط المرأة في فخ رجال رأس المال. كان خير من تصدى لأصحاب الحملات المغرضة وردهم على أعقابهم والذي يقرأ كتابه نظام حقوق المرأة في الإسلام لا يبقى عنده أدنى شك، إن كان منصفاً في أن الإسلام وحده هو الذي أنصف المرأة حقاً.

يبدأ فيلسوفنا فلسفته حول إنسانية المرأة، وبعد ذكر اعتراضات كثيرة وأسئلة حادة وشبهات متنوعة يلخصها بجملة واحدة، لو أن الإسلام اعتبر المرأة إنساناً كاملاً لمنحها حقوقاً متـساوية لحقوق الرجل وبما أنه لم يمنحها مثل هذه الحقوق فهو إذن لا يعتبرها إنساناً حقيقياً.

**ويعلق فيلسوفنا الكبير بقوله:**

إن المبدأ الذي استند إليه المعترضون هو تلازم تساوي المرأة والرجل في الإنسانية مع وجوب تساويهما في الحقوق، وهنا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار مبدأ فلسفياً آخر هو:

ماذا يستلزم تساوي المرأة مع الرجل في الكرامة الإنسانية هل يستلزم تساويهما في الحقوق بشكل ليس فيـه تفضيـل أو تمييـز أم أنـه يستلزم أن تكون المرأة والرجل علاوة على التساوي متشابهين في الحقوق وليس بينهما تقسيم في الواجبات والأعمال؟

وهنا يقول الشيخ الجليل: إن مما لا شك فيه هو أن تساوي المرأة والرجل في الكرامة الإنسانية يستلزم تساويهما في الحقوق الإنسانية أما أن يتشابها في الحقوق فهذا شيء آخر.

ويضيف، شيخنـا قائـلاً: إذا أردنـا أن نتخلى عن التقليـد الأعمى لفلسفة الغرب وأجزنا لأنفسنا أن نتأمـل في ما وَصَلنـا منهم من أفكـار وآراء فلسفيـة فلننظـر هل أن التسـاوي في الحقـوق هو نفس التشابه في الحقوق أم لا؟ الجواب: التساوي غير التشابه التساوي هو المساواة والتشابه هو المماثلة فيمكن مثلاً أن يقسم أب ثريّ ثروته بين أولاده بالتساوي ولا يقسمها بشكل متشابه ففي هذا المثال يمكن أن يكون للأب عدة أنواع من الثروات يكون أحدهما متجراً وثانيها أرضاً زراعية وثالثها أملاكاً مؤجرة ولكن بما أن الأب كان قد اختبر مقـدمـاً استعدادات كل من أولاده فوجد لأحدهم قابلية في العمل التجاري وللثاني رغبة في الزراعة وللثـالـث قابليـة في إدارة الأمـلاك فإذا أراد أن يقسم ثروتـه بين أولاده في حيـاته فإنه مع الأخذ بنظر الاعتبار مراعـاة التسـاوي في القيمـة عنـد التقسيم سيمنـح أولاده من ثروتـه كلاً حسب ما وجـد فيه من الاستعداد لإدارته والنجاح فيه.

فالكم غير الكيف والتسـاوي غير التشـابـه والتـماثل، فإنه من المسلّم به أن الإسلام لم يمنح الرجل

والمرأة حقوقاً من نوع واحد ولون واحد لكنه لم يفضل الرجل على المرأة في الحقوق.

لقد راعى مبدأ المساواة في الإنسانية بين الرجل والمرأة، الإسلام يقر المساواة بين حقوق المرأة والرجل ولكنه لا يقر تشابه هذه الحقوق.

يضيف شيخنا: إن كلمات مثل كلمة ـ التساوي ـ المساواة لكونها تتضمن مفهوم عدم التمييز قد حازت على قدسية خاصة ولها جاذبية معينة فهي تجتذب احترام السامع وخاصة إذا أضيفت إليها عبارة في الحقوق واقترنت بها.

المساواة في الحقوق! يا لها من تركيبة جميلة مقدسة. من هو الإنسان النظيف الفطرة والضمير الذي لا يخضع ولا ينحني إجلالاً أمام هذه العبارة؟

وحملة العلم عليهم أن يوضحوا للناس الفرق بين المساواة والتشابه حتى لا يقع الناس في لَبْس من هذه المسألة المقدسة والحساسة وحتى لا تقع تحت ضغط نظريات الغربيين وفلسفاتهم لأنه لا يجوز أن يستمر هذا الخلط وتختلط المفاهيم علينا.

ففي الوقت الذي نعتز بفكرة المساواة، نظن أن فكرة التشابه في الحقوق هي نفس فكرة المساواة.

إن هذا يشبه بالضبط شخص يبيع البرتقال وينادي عليه بالحامض.

ومن المسلمات عندنا أن الإسلام الذي وضع قانون المساواة لم يضع حقوقاً متشابهة.

لكن هل أن حقوق المرأة أقل قيمة من حقوق الرجل؟ وبالطبع لا وهو ما سنبرهن عليه.

ويبرز سؤال ثانٍ لماذا شرع الإسلام حقوقاً غير متشابهة للرجل والمرأة في بعض الحالات ولماذا لم يجعلها متشابهة وهل من الأفضل أن تتساوى وتتشابه حقوق المرأة والرجل أم أن تتساوى ولا تتشابه.

هنا يقوم فيلسوفنا الكبير ويقسم البحث إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ نظرة الإسلام إلى المرأة كإنسانة من ناحية الخلقة.

٢ ـ الهدف من وراء الاختلاف بين خلقة المرأة وخلقة الرجل؟

وهل أن هذا الاختلاف يجب أن يؤدي إلى اختلاف في الحقوق الطبيعية والفطرية بينهما أم لا؟

٣ ـ ما هي فلسفة الفروق التي يضعها النظام الإسلامي بين المرأة والرجل والتي يتعامل مع بعضها على أساس عدم التشابه؟ وهل أن هذه الفلسفة والحكمة من الاختلاف سارية المفعول إلى هذا اليوم أم لا؟

## مقام المرأة

أما في القسم الأول: فالقرآن ليس مجموعة قوانين فحسب وأن محتويات القرآن ليست سلسلة مجردة من الأنظمة والقوانين الجافة التي لا معنى لها، وإنما في القرآن نجد القانون كما نجد التاريخ والموعظة وتبيان حكمة الخالق.

القرآن ليس كتاب فلسفة لكنه يعطي رأياً قاطعاً حول الكون والإنسان والمجتمع بشكل واضح وهذه المسائل الثلاث تشكل المواضيع الأساس للفلسفة .

ومن جملة المسائل التي بينها القرآن موضوع خلق المرأة والرجل فهو في هذا المجال لم يدع الجوخالياً للمتقولين كي يصوروا موقف الإسلام بأنه احتقار للمرأة وإنما بادرهم ببيان موقفه بشكل واضح وإذا أردنا أن نعرف نظرة القرآن حول خلق المرأة والرجل وجب علينا أن ننتبه إلى مسألة طبيعية وطينة كل من الرجل والمرأة والتي أشارت إليها جميع الكتب الدينية وكذلك القرآن لم يسكت عن هذا الموضوع .

فللنظر هل يتعامل القرآن مع المرأة والرجل على أنهما من طينة واحدة أم من طينتين مختلفتين .

يذكر القرآن في آيات عديدة بصراحة تامة قول الله تعالى ، أنه خلق النساء من جنس الرجال ومن طينة مشابهة لطينة الرجال فيذكر عن آدم(ع) في أول سورة النساء .

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ .

ويعني بالنفس الواحدة نفس آدم عليه السلام .

كما يذكر في سورة النساء وآل عمران آيات تتضمن خلق الزوجة من جنس الزوج ضمن استعراض نعم الله .

ولا تجد في القرآن أثراً لما تجده في كتب الأديان الأخرى من أن المرأة قد خلقت من مادة أدنى من مادة الرجل .

ونظرية أخرى من النظريات التي كانت تحتقر المرأة والتي كانت سائدة فيما مضى وتركت آثاراً سيئة في أدب الشعوب تلك التي تقول : المرأة هي عنصر الخطيئة ولها يد في كل جريمة وأنها شيطان صغير والرجل مبرأ من العيوب والمرأة هي التي تجره إلى العيب والشر، فالشيطان يوسوس للمرأة وهي توسوس للرجل .

ويقولون أن آدم(ع) الذي خدعه الشيطان وتسبب بإخراجه من النعيم إنما كان عن طريق خداع حواء والتي أغرت هي آدم .

هذا كله موجود في أدب الأديان الأخرى .

وأما القرآن : عندما يتعرض هذه الفكرة فلا يجعل حواء مسؤولاً رئيساً في تلك القصة بل يتحدث عن الاثنين معاً .

يقول سبحانه : ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما﴾ ، وحينما يتطرق إلى وسوسة الشيطان يقول القرآن : ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما . .﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ الأعراف / ٢١ / .

فيدخل القرآن في حرب ضد الأفكار التي كانت منتشرة في ذلك العصر ويبر ىء المرأة مما كان يُنسب إليها.

ثم يواصل القرآن إشادته بدور المرأة وعلو مقامها ويوصلها إلى المرتبة العليا التي ليس وراءها مطمع حيث تتصل بالوحي أو تحدثها الملائكة.

ففي قصة موسى(ع) يقول القرآن في سورة القصص الآية ٧ ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ ولا يخفى ما في العبارة من الدلالة على مكانتها.

كذلك قصة مريم(ع) وقصتها واضحة في سورة مريم حيث تعتزل قومها ويدخل عليها الملاك وتتحدث معه.

وتكون سيدة المحراب في الهيكل ويحتار نبي زمانها في أمرها لكثرة الكرامات الإلهية عليها.

﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله﴾.

كذلك يوجد في التاريخ الإسلامي قدّيسات وجليلات ومن اللواتي لم يبلغ درجتهن كثير من الرجال.

ومن النظريات الأخرى التي كانت تحتقر المرأة تلك التي تتعلق بالرياضة الجنسية وتقدس العزوبة حيث يستقذرون الحياة الجنسية ويرفسونها ويترفعون عنها للوصول إلى المراتب القدسية كما يدعون.

وهذه النظرية عملت عليها الكنيسة وحاربت الاتصال بالنساء واعتبرت الميل نحو المرأة من المفاسد الأخلاقية.

وأدى هذا الكبت إلى انفجار البركان الجنسي في العالم الغربي ولم يسلم من شظاياه المحرقة رجال الأديرة والقساوسة.

وقد ذكر الفيلسوف والكاتب الانكليزي ارنست ارنولود أن محاربة الميول الجنسية أدى إلى أكبر ظاهرة فساد جنسي في الأديرة حيث وقع في فخ الرذيلة أكثر من ثلاثمائة ألف راهب وراهبة كانوا يعيشون في أديرة بريطانيا العظمى.

أما الإسلام فقد حارب هذه الخرافات واعتبر الزواج أمراً مقدساً فقد ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم [من أخلاق الأنبياء حب النساء] وفي رواية أخرى: [حبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة].

يقول برتز راسل «في جميع الأديان نوع من التشاؤم وسوء الظن تجاه العلاقة الجنسية ما عدا الإسلام أنه قد وضع لهذه العلاقة ضوابط وحدود لصالح المجتمع».

كما شجب الإسلام الفكرة القائلة: إن المرأة خلقت من أجل الرجل وهي لعبة بيده.

حيث لم يرد في الإسلام مثل هذا مطلقاً، وإنما ورد فيه أن النبات والأشجار وجميع ما خلق الله إنما كان من أجل الإنسان وأن المرأة والرجل خلق كل منهما للآخر: ﴿وخلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾.

ونص آخر: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهنّ﴾، واللباس له مدلولان أو فائدتان الأول الستر والثاني الزينة فالرجل يتستر بالمرأة ولولاها لكان في عري والمرأة كذلك، والمرأة تتزين بالرجل وتتستر به ولولاه لم يكن لها زينة ولبقيت في حالة العري.

أكتفي بهذا العرض الموجز عما قاله الفيلسوف الإسلامي الكبير المرحوم الشيخ مرتضى مطهري وأترك بقية أجزاء الموضوع والذي وعدناكم الحديث عنه وأحيل المستمع (القارىء) إلى هذا الكتاب الثري وهو كتاب نظام حقوق المرأة في الإسلام والذي يعتبر من أكثر الكتب إحاطة ودقة وتحليلاً لموضوع المرأة في الإسلام.



# الإنسان الكامل من وجهة نظر العلامة المطهري

حجة الإسلام الدكتور مصطفى محقق

**موضـــوع حديثي هوالإنسـان الكـامـل من وجهـة نظـر الشهيـد مرتضى المطهـري، برغم أنّ هذا الموضـوع هوعنـوان لأحـد كتب هذا الإنسـان العظيم إلاّ أن جميع مؤلفاته لا تخلومن وجهة نظره في تبين الإنسـان بشؤونه ووضعه.**

إنَّ مصطلح الإنسان الكامل هومن مبتكرات المفكرين الإسلاميين، وقد استُخدم لأول مرة من قبل محي الدين بن عربي الطائي، ولا شك في أن ذلك يتطابق تماماً مع المصادر الإسلامية، وهومستوحى من الآيات القرآنية والروايات الإسلامية، ولكن سنرى من هو الإنسان الكامل؟ وما هي معايير هذا الكمال؟

للإجابة على هذا السؤ ال قدّمت المدارس الفكرية المختلفة آراء متنوعة. فالشهيد المطهري في كتابه (الإنسان الكامل) يتطرق إلى آراء المدارس الفكرية المختلفة ثم يقوم بنقد كل منها وفي هذه الفرصة القليلة لا يمكننـا التطـرق إلى كل تلك النظـريـات بل سأكتفي بذكـر النظـريـة التي أيّـدهـا الفيلسوف (مرتضى المطهري) ونحى نفس منحاها.

لقد رفض الشهيد نظريات باقي الفلاسفة لأنهم يعالجون الكمال الإنساني في إطار فكري محض فهم يبرّرون غايـة الفلسفـة بأنهـا (صـيرورة الإنسان عالماً عقلانياً مضاهياً للعالم الرباني) أي أن الإنسـان يعرف العالم الخارجي أي أنه يتصرف وكأنه هو العالم كله. أما الفيلسوف المطهري فيعتقد أن هذا (المشرَب) يفتقد الحركة والعشق.

كما يعتقـد أن المـدرسـة العـرفانية رغم اعتقادها الخاطىء بإلغاء دور العقل تماماً، إلاّ أنها برأيه أقرب وأسهـل طريق لبلوغ الهـدف، فمن وجهـة نظـر العارفين الإسلاميين، يعتبر الإنسان موجوداً ذا نفحة إلهية وهـذا هوسر الكـرامـة الإنسانية وبوجود هذه الخصيصة يرى الإنسان نفسه غريباً في عالَم الطبيعة وهويشعر دائماً بمعاناة وعذاب ناتج عن هجرانه لنفسه.

وفي المدرسة العرفانية تُساق عدة أمثلة لتوضيح ما سلف ذكره فمثلاً: يُشبّهون الإنسان بالببغاء التي تُجلب من الهنـد إلى بلاد بعيـدة وتـوضـع في قفص إذ أنهـا ستشعـر بمعـانـاة السجن وتتمنى دائماً أن تكسر القفص وتطير لتعود إلى مكانها الأصلي، وأحياناً يشبّهونه بالفيل الذي يُجلب من الهند ولويُفسح له المجال

لحظة واحدة سيفكر بالفرار والعودة إلى موطنه الأصلي، ولهذا فإنه يُعرّض للضرب على رأسه باستمرار لئلا يتذكر موطنه. أما المولوي فقد شبه الإنسان بالناي الذي يفصل عن حقل القصب ولذا فإنه يئن دائماً بألحانه الحزينة حنيناً إلى مكانه الأصلي .

إن الإنسان هو في النهاية ينشد الكمال المطلق، وعشق كل ما يجده إنما ينطوي على خطأ في التطبيق، ولهذا فإنه وبعد بلوغ معشوقه يكتشف أنه لا يشفي غليله، فيلجأ إلى الهروب منه، ذلك أن المعشوق الحقيقي هو الله وحده .

ومن منظار المدرسة العرفانية الإسلامية فإن الإنسان يصبح كاملاً متى ما اجتاز الأسفار الأربعة وهي :

أولاً: سفر الإنسان من ذاته إلى الله.

ثانياً: سفر الإنسان مع الله في الله.

ثالثاً: سفر الإنسان مع نفسه نحو خلق الله.

رابعاً: سفر الإنسان مع الله بين خلق الله لانقاض خلق الله.

وفي السلوك العرفاني فإن السفر الأول هو ارتقاء من منزلة النفس إلى القلب ومن القلب إلى الروح ومن الروح إلى الهدف المنشود الذي يعبرٍ عنه القرآن بـ (جنة المتقين).

أما السفرُ الثاني فهو من الحق ومع الحقّ باتجاه الحق، وعبارة عن سلوك العارف في الكمال والجمال والجلال وذات الحق وأسمائه وصفاته حتى يبلغ منزلة الفناء المطلق.

السفر الثالث: عودة العارف من الحق ومع الحق نحو الخلق وفي هذه المرحلة يبلغ العارفون الذين بلغوا الفناء المطلق منزلة البقاء مع بقاء الله. وعندما يمكنهم السير في عوالم الجبروت والملكوت والناسوت وأن يجتازوا جميع مشاهد وجودهم ومدارجه من منظارهم العرفاني وعندما يصل هذا السفرُ إلى مقصده تبدأ المرحلة الأخيرة وهي السفرُ من الخلق ولكن مع الحق وهو (الله) نحو خلق الله وفي هذه المرحلة يرى العالِمُ العارف بشهوده الربوبيين وبشكلٍ واحد عالم الوجود من البداية وحتى النهاية، ومن النهاية وحتى البداية وليس هذا فحسب بل يصبح في مقام يعي فيه وبأنواره الإلهية كل المساوىء والمحاسن والخفايا والظواهر في الخلق مع كل سلبياته*** .

وبهذه النظرة المطلقة للعالم يبلغ العارف والسالك مقام الولاية أي يصبح خليفة الله في الأرض، وفي هذه المرحلة يكون عالماً قادراً وبدأ يمتلك حقّ القيادة والأمر.

ويعتقد الفيلسوف المطهري، أن أهم خطر يواجه الإنسان هو السفر الأول والثاني، أي قبل أن يصبح الإنسان إلهياً. وحينما يكون الإنسان في تعامل مباشر مع شؤون الخلق، فقد يرتكب آلاف الممارسات الغير النقية، وربما الخيانات بحق البشرية بينما هو يتصورها خدمة للبشر، فما لم يهذّب الإنسان نفسه لا يحق له

تولي شؤون العباد، والخيانة التي يرتكبها دعاة حقوق الإنسان في عالمنا المعاصر تتم في ظل هذا الشعار المقدس وسببها هو الذي أسلفنا ذكره ذلك أن الأهواء النفسية أومايسمى بـ (أهواء الأنا الحيوانية والشيطانية) لهؤلاء هي التي تحرُكهم ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾.

ومن المناسب أن أضيف هنا إن صدر المتألهين الشيرازي قد سمّى كتابه المعروف (الأسفار الأربعة) على هذا الأساس.

وبرأيه فإن كل عالم الكون لا يتجاوز هذه المراحل الأربعة وإن الفلسفة هي علم يبحث عالم الكون كما هو ولهذا فهو يبني فلسفته في مربّع الأسفار العرفانية العقلانية. وخلافاً للفلاسفة السابقين فهو يعتقد إن الأسفار العقلانية لا يمكن فصلها عن السلوك العرفاني وهذان الإثنان بمساعدة بعضهما يوصلان سالكي الحقيقة والطريق إلى المنزل المقصود.

تنسيق العرفان والفلسفة في كافة مراحل ومشاهد الوجود في كتاب الأسفار لصدرا الشيرازي هو الشيء الذي جعل هذا الكتاب يتميز عن بقية كتب الفلسفة الإسلامية، وأطلقوا اسم هذا التنسيق أو التركيب التحليلي للفلسفة والعرفان (الحكمة المتعالية). وهو يريد أن يجعل هذا التنسيق بين العرفان والفلسفة مستدلاً ولأن هذا العمل لم يكن ممكناً بوجود الاختلاف والتضاد القائم بين هذين الأسلوبين ولهذا فإن صدر المتألهين ابتعد عن اتباع هذه الأساليب المتداولة والمعروفة للحكمة والكلام ومسالك التصوف والعرفان التي قيدته بأصولها ومبادئها بشكل أوبآخر وعزم على إتخاذ طريقة أفضل يمكنها أن تدرس الأساليب والسبل المختلفة بنظر التحليل والنقد وتخلص من اتباع الآخرين وبهذا سمى هذه الحكمة بالحكمة المتعالية.

الفيلسوف المعاصر والأستاذ الشهيد المطهري كان متبعاً للحكمة المتعالية التي تدمج الفلسفة والعرفان والعلم والعمل والشريعة والطريقة، واستطاع أن يروي غليل العطاشى في هذا الطريق ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.



# الفلسفة والعقائد عند العلامة المطهَّري

حجة الإسلام السيد حسن النوري

**ساحة الفلسفة والعقيدة أعقد ساحة فكرية لكل مفكر، والدخول إلى هذه الساحة في فرصة قصيرة صعب وعسير. ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، ولهذا أدخل إلى ساحة علم المطهري في فلسفته وعقيدته معترفاً بالصعوبة والتعقيد، ولكن الأمل يدفعني في أن أوضح بعض الايضاح ما يتعلق بمنهجه وبحوثه في الفلسفة والعقيدة.**

**ومنهجي كالتالي:**

**مقدمة وتمهيد للحديث عن إبداعاته بشكل موجز في مجالي الفلسفة والعقيدة ثم أتحدث عن منهج المطهري في العقيدة وأدخل بعد ذلك إلى بحث التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد ثم ملحق لبحثه في علم الكلام ثم أتحدث عن فلسفته ومنهجه وبحوثه في الجامعة عن الفلسفة.**

**ثم أختم الحديث بموجز عن إبداعاته في مجالي الفلسفة والعقيدة وعن مصادر بحوثه وثقافته.**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾

الفيلسوف والايديولوجي الكبير المطهَّري استطاع أن يفهم بعمق ويعرض أيضاً بنفس العمق فلسفة كاملة تضمنت مسائلها التراث الفلسفي القديم والنتاج الفلسفي الحديث وقد تنوعت فلسفته لتشمل ليس فقط الكليات والمفاهيم العامة بل لتترشح إلى مسائل لم تكن الفلسفة لتدرسها.

واستطاع المطهري أيضاً ابتكار طرق عديدة لتقريب الدارسين من الفلسفة ذلك الحصن العصي على الادراك، فمرة يدرس نصوصاً قديمة وأخرى يشرح ويناقش نصوصاً حديثة وثالثة يتحدث بلغة جديدة عن مسائل الفلسفة وكان عرضه للفلسفة منهجياً غير مشوش يسير بشكل مرتب وطبيعي مستفيداً من المنهج المقارن، ومن ضرب الأمثلة والشواهد.

وكـان يهيأ الأذهـان للاقتنـاع بما يتحلى به من أخـلاق علمية، فهومتواضع لا يستحي من أن يجاهر بعدم اطلاعه على بعض المسائل وكان يستمع لكل أشكال أو سؤال . . .

وكـان مبـدعـاً في خلق موضـوعات جديدة مكثراً من مطالعة الكتب والدراسات المتعلقة بموضوعه، استطـاع لطـول باعـه في الفلسفـة واحـاطته بها أن يعرض المنهج العقلي الذي يستخدمه الفلاسفة والمناطقة الصوريون بشكل قوي واضح مبيناً الردود الموجهة إليه، مجيباً عن بعضها وعرض بحوثاً جديدة حول موانع المعـرفـة وأهمهـا الـدوافع نحو المادية أشرف على رسائل جامعية عديدة في الفلسفة، وساهم في كتابه مناهج جامعية في علم الكلام والعرفان، والفلسفة والمنطق، وغيرها.

لم يستطع غيره أن يضاهيه في عرض الحكمة المتعالية التي توفق بين المناهج الفلسفية والعرفانية . .

لم يدخـل في جزئيـات البحوث العقائدية ليتجنب الخلاف واعتمد المنهج المقبول لدى جميع المسلمين في البحـوث المختلف فيها كبحث الإمامة وكان مبدعاً في ربط البحوث الفلسفية والعقائدية بحياة الناس، وقـد جدد في عرضـه وبحثـه لمسـائـل عقـائـديـة متر وكـة مغفـول عنهـا كفلسفـة الحيـاة وهدفها والإنسان والايـديـولـوجية وعلاقة الايديولوجية بالمعرفة والفلسفة وقد تجنب تأويل الآيات قدر الإمكان طرح الفلسفة والعقيدة طرحاً مترابطاً شاملاً غير مفكك.

وقـد كان أستـاذاً بارعـاً لأعقـد كتـاب فلسفي الأسفـار الأربعة وشرح المنظومة على مستويين بسيط ومفصل كتب حواشي هامة وشروح على كتاب أصول الفلسفة.

استطـاع أن يفهم بدقـة ما لم يفهمـه بعض معاصري هيجل من كلماته وبحوثه نقد المادية بمدارسها المتعددة وعلى رأسها المادية الديالكتيكية ولن نتعرض هنا إلى إبداعاته في المجالات العلمية الأخرى.

## مناهجه في الفلسفة والعقيدة:

درس المطهّـرى المنـاهـج بعناية ودقة وعرضها في كتبه المفصلة والمبسطة وناقش الأسس التي تعتمدها منـاهـج البحث الفلسفي والعقائدي فهناك الأسس المنطقية للدليل الاستقرائي والاستنباطي القياسي وقد تعرّض إلى الإشكالات على الأسس المنطقية وردها وأثبت صحة الاستدلال بالمنطق وضرورته لكل عملية معرفية واستدلالية.

وقد جمع بين المناهج الأربعة في بحثه المنهج الإشراقي والمشائي والكلامي والعرفاني ونستطيع أن نقول أنه اعتمد نفس المنهج التكاملي التوفيقي الذي سار عليه أستاذ الفلاسفة صدر الدين الشيرازي.

وفيـما يلي نتعـرّض إلى لمحـة عن تاريـخ المنهج وضرورته وأقسامه ثم نعرج على الإشكالات والردود على علم المنطق والتي تهدف إلى اسقاط كل العمليات الاستدلالية وبالتالي كل معرفة.

عرّف علماؤ نا المنهج من غير أن يفردوه بالدرس والبحث، وذلك حين يذكرون تعريف العلم وتحديد

موضـوعـه وهـدفـه ورتبتـه بين العلوم والمبادىء التصـورية التي تعين على شرح المسائل وتعريفها والمبادىء التصديقية التي تمد عملية الاستدلال بعناصرها المشتركة . .

أليس المنهـج هو الطـريقـة التي يعتمـدهـا البحث والأسلوب الـذي ينظم الـدراسـة ويبني عليـه الاستنتاج . . وهذه الطريقة والأسلوب هما نفس ما ذكرناه ، والدراسة من غير منهج مجموعة مسائل ومعارف مشوشة غير مترابطة وقد تتناقض نتائج هذه الدراسة وعند ملاحظة الدراسات المنهجية كالرسائل الجامعية والدراسات غير المنهجية ككثير من الكتب التي تملأ مكتباتنا اليوم تعرف قيمة المنهج .

وليست مسألة المنهج مسألة انتقائية بل الضرورة قاضية بأن لكل علم منهج خاص به فليس بإمكاننا أن نجرب اليوم إن كان نابليون موجوداً حقيقياً أو اسطورياً لأن التاريخ لا يقبل التجربة كما لا يصح إثبات الفعل وقوة الفكر بالتشريح لأن العقل والفكر ليس مادياً . . وهكذا لا يصبح أن ننتقي المنهج حسب رغباتنا بل المنهج مسألة موضوعية علينا أن نعرفها وندقق في تطبيقها . .

وكثـير من المـذاهب والمـدارس الفكـريـة إنـما أخطأت لأنهـا لم تصل إلى المنهج الصحيح فمن يقول بالتجسيم اعتمـد في العقيـدة منهـج الظـاهر والنص غير قطعي الدلالة ، في حين أن المسألة عقلية ومنهجها عقلي . . وكذلك من يرى أن التاريخ يتحرك آلياً من غير اختيار للإنسان في حركته اعتمد منهجاً خاطئاً في استنتاج هذه المسألة . . والمثاليون على أقسامهم اعتمدوا منهجاً غير صحيح للوصول إلى المثالية .

ويـوضـح المطهَّـري أن القـرآن الكـريـم يرشد العقل إلى ضوابط التفكير السليم ويعرّف الفكر على أسباب الوقوع في الخطأ وهي :

١ ـ الاعتماد على الظن ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ .

٢ ـ اتباع الأهواء والميول ﴿إن يتبعون إلاّ الظن وما تهوى الأنفس﴾ .

٣ ـ العجلة والتسرع في الاستنتاج والحكم .

٤ ـ عدم الجـرأة على مخالفـة المألـوف والمـوروث وإن كان باطـلاً ﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ولو كان آباؤ هم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ .

٥ ـ التعصب .

٦ ـ عدم الحفاظ على حالة الحياد .

## المناهج العقائدية :

ويقسمها العلماء ومنهم الشهيد مطهَّري إلى المناهج العقلية والمناهج النقلية السماعية .

وتستخـدم المنـاهـج العقليـة لمعرفة كبريات العقائد وأمهاتها وإذا ذكر معها المنهج النقلي فهو للإرشاد والتدعيم والاستشهاد لا للمعرفة والاستنباط لأن حجية هذه المناهج النقلية لم تثبت بعد ،

فالتـوحيـد والنبـوة وبعض مسائل المعاد لا يصح الإيمان بها عن طريق القرآن أو السنّة ما لم يثبت بعد

وجود الله ونبوة النبي أمّا المناهج السماعية فيشترط أن تكون قطعية وإنما يصح الاستدلال بها لأن المفروض ثبوت النبوة فهي متفرعة على النبوة مثلاً مسائل الإمامة وكثير من مسائل المعاد تثبت عن طريق الوحي الإلهي والحديث القطعي.

ولم يعلم هؤلاء أن مطالعة نظام الخلقة تعتبر الخطوة الأولى لا الأخيرة! فإن أقصى ما نصل إليه بهذه الخطوة هو الحد الفاصل بين الطبيعة وما وراء الطبيعة لا أكثر.

وقد ذكرنا في هوامش الجزء الخامس من كتاب (أصول الفلسفة والمذهب الواقعي) طرقاً مختلفة للإيمان بالله تعالى ومنها طريق الحس والعلم بمعنى أننا قيّمنا أسلوب دراسة الطبيعة وبيّنا حدوده وأثبتنا أنه:

أولاً: إن الباب مفتوح لتحصيل المعارف الإلهية ومعارف ما وراء الطبيعة بالأسلوب العلمي البرهاني المتقن.

وثانياً: إن الناس مكلفون إسلامياً - أو على الأقل مسموح لهم بمعرفة حقائق ما وراء الطبيعة كما يتعرفون على المعلومات التحقيقية والاستدلالية والبرهانية لا التقليدية.

وثالثاً: إن طريق الحس والعلم أو طريق الطبيعة طريق توصلنا إلى الحد الفاصل بين الطبيعة وما وراءها. فليست توصل الإنسان من الطبيعة إلى الألوهية أو كما يقول الفلاسفة (من الخلق إلى الحق) بل تنتهي عند حدود الطبيعة بمعنى أنها تثبت فقط أن للطبيعة شيئاً خارجاً عنها يسخرها. أمّا مسألة كون ذلك الخالق مخلوقاً ومسخراً لغيره أم لا؟ وإذا لم يكن هناك شيء وراءه فهل هو بسيط أو مركب؟ وهل هو واحد أو كثير؟ وهل يتناهى علمه وقدرته أم لا؟ وهل ينتهي فيضه أم لا؟ وهل إن الإنسان مجبور أم حر؟ كل هذه التساؤلات وعشرات الأسئلة أمثالها لا يمكن لطريق دراسة الطبيعة لوحده أن يجيب عنها.

ويشير مطهَّري هنا إلى مسألة هامة أهمية بالغة وهي أن الاختلاف المذهبي في الفقه والمسائل الكلامية لم يصل إلى درجة تنسف قاعدة الوحدة فالمسائل المشتركة والمتفق عليها أكثر من مسائل الخلاف والاختلاف الفكري في المجتمعات مع وحدة هذه المجتمعات لا بد أن يقع وحين يكون منشأ الخلاف هو المنهج فسوف تتحرك الأفكار وتنمو وتنضج بخلاف ما لو كان منشأ الخلاف هو الأمراض النفسية والميول والتعصب.

ويشير المطهَّري إلى الأشاعرة وإصرارهم على الاعتماد على المنهج النقلي - وأن هناك أشاعرة محدثين.

ومما يؤسف له أن نشاهد اليوم بعضاً من الكتّاب العرب الواعين (كما يدّعى) قد وقعوا تحت تأثير الفلسفة الحسية الأوروبية من جهة وتأثير السوابق الأشعرية من جهة أخرى فراحوا يروجون لنوع من الجمود الفكري واللاادرية في الألهيات - وهو يعبر عن شكل من أشكال الترابط بين المسلك الأشعري والفلسفة الحسية.

وقد حاول هؤلاء أن يغلقوا باب المعارف بعنوان أن ما وراء الطبيعة عالم مجهول وغير معروف للإنسان وخارج عن طاقة العقل والتفكير ونحن غير مكلفين شرعاً بورود هذا الوادي المجهول. وتخيلوا أن الحد الأعلى لفهم الالهيات أن نطالع النظام الكوني ثم نعض على أصابعنا من الحيرة والدهشة وهذا هو الحد الأكثر من الإيمان بالله. فتكفي مطالعة دورة كاملة من التاريخ الطبيعي لمعرفة كل المسائل الإلهية فكتب أمثال «موريس مترلنك» تعتبر «دراسة إلهية كاملة»!!

## المنهج العقلي:

وقد استخدم هذا المنهج لاثبات وجود الله ووحدانيته ونذكر هنا ثلاثة براهين اعتمدت هذا المنهج:

١ ـ البرهان الأرسطي ويسمى برهان المحرك الأول.

٢ ـ البرهان السينوي (السينائي).

٣ ـ برهان الصديقين لصدر الدين الشيرازي.

## المنهج العلمي:

ويمكن الاستفادة لاثبات بعض المسائل المتقدمة عن طريق استخدام الدليل العلمي الاستقرائي وله صور ثلاث:

١ ـ دليل النظام.

٢ ـ دليل الهداية.

٣ ـ دليل الحدوث.

### ١ ـ دليل النظام:

ويعتمد دليل النظام على مشاهدة النظم في المسرح الكوني والخلقة ويعتبر المطهَّري أن أقوى عمل للفكر هو التوصل من هذا الدليل إلى وجود الله ووحدانيته حيث ينتقل الذهن من المرحلة الحسية حين يشاهد الآثار إلى المرحلة العقلية من غير أن يشعر بعملية الانتقال والحركة من مرحلة إلى مرحلة فنحن نؤمن بأن مؤلف كتاب جواهر الكلام [٤٤ جزء] عالم وفقيه ونعرف أن سعدى شاعر وذواقه وابن سينا فيلسوف وطبيب من خلال الآثار والمؤلفات.. وأكثر معلوماتنا ليست حسية مباشرة أي سطحية وليست منطقية تجريبية مباشرة وإنما هي ناتجة من قراءة الآثار والآيات.. وبهذه النتيجة يلتقي المطهَّرى مع الصدر في اتحاد طريق العلم والإيمان..

فيقول المطهَّري علينا أن نطرح ٩٠ بالمائة من معلوماتنا إذا لم نعتمد هذا الطريق ويقول الصدر نفس النتيجة حيث يقول (استطاعت «دراسة الصدر في الأسس المنطقية للاستقراء» أن تقدم اتجاهاً جديداً في نظرية المعرفة يفسر الجزء الأكبر منها تفسيراً استقرائياً)(1).

ولكن ينبغي الإشارة هنا إلى أن مطهَّري يناقش النتيجة التي انتهى إليها السيد الشهيد الصدر في

الأسس ولمزيد الإيضاح راجع الدوافع نحو المادية ص ٩٨ وقارن ذلك بالأسس المنطقية للاستقراء ص ٥٠٧.

### دليل الهداية :

وفقرات هذا الدليل ومنهجيته بالشكل التالي :

١ ـ قدرة المخلوقات الحية على الانسجام مع المحيط والتغير المناسب.
٢ ـ تقسيم العمل وانتخاب الوظيفة.
٣ ـ الابتكار في تجديد أو تعويض الأجزاء المفقودة.
٤ ـ اكتشاف الحاجات من غير تربية وتعليم.

### الدليل الفطري :

ويشير المطهَّري إلى الدليل الفطري متوسعاً فيه ويقصد منه الفطرة القلبية التي تميل بذاتها إلى خالقها مثل ميل الولد إلى أمه وقد فصل البحث عن الفطرة والفطريات في كتابه الفطرة ـ كما شرح كيفية استخدام هذا الدليل في كتاب أصول الفلسفة الجزء الخامس ويرى الشهيد أن الإنسان مفطور على غرائز ومعارف أمّا الغرائز فهي :

| | |
|---|---|
| حب المعرفة | أنتجت كل المعارف بما فيها الفلسفة. |
| حب الجمال | أنتجت الفنون. |
| حب الخلق | أنتجت علم الأخلاق. |
| حب الابتكار | أنتجت كل الاكتشافات والاختراعات |
| حب التقديس والعبادة | وهي التي تنتج التدين واللجوء إلى الله |

ويشير المطهري هنا إلى أن المعرفة الفطرية بالله أطلقت في استعمالات العلماء على معنيين الفطرة الإدراكية والفطرة الإحساسية.

الفطرة الإدراكية هي القول بأن الدين، أو التوحيد على وجه الخصوص، من حيث الإدراك الفكري، أمر فطري عند الإنسان. إنه فكرة يتقبلها عقل الإنسان بالفطرة. أي لا حاجة لقبولها إلى التربية والتعليم في المدرسة. إن كل ما نصفه بأنه إدراك فطري نعني به كل ما لا يحتاج إلى دليل أوبرهان، لأنه بدهية أولية، أو إنه من القضايا التي إذا احتجنا فيها إلى دليل نجد الدليل عليه معه. هذا هو الإدراك الفطري، وهو ذو علاقة بعالم الفكر والإدراك العقلي.

الضرب الثاني من الفطرة هو الفطرة الإحساسية، أو فطرة الأحاسيس، وهي التوجه نحو الله والدين

بالمشاعر والأحاسيس الفطرية. فمرة نقول: إنّ الإنسان يدرك الله بالفطرة، ومرة نقول: إن الإنسان بفطرته يميل إلى الله.

ويشير المطهري إلى أن الفطرة عند أفلاطون وكَانْت يقصد منها أن النفس تملك معلومات فطريقة بالفعل. بينما يؤكد المطهري أن النفس الإنسانية لا تملك مثل هذه المعلومات فعلاً وإنما تملكها على مستوى الاستعداد والقوة والقابلية. . ويذكر مطهري أن الفطرة تعني الخلقة والإبداع والأمور الفطرية على قسمين الميول الدوافع الفطرية والمعارف الفطرية.

تقسم الميول والدوافع على قسمين جسدية وروحية.

وغرائز الحيوانات للحفاظ على النوع بينما في الإنسان انتخابية غير قهرية وهذه الغرائز المعنوية هي الغرائز الخمس المتقدمة أمّا العلوم الفطرية فهي أصول التفكير وبديهياته التي يدركها الذهن ويجزم بها من غير أن يحتاج إلى برهان بل يكفيه تصور الموضوع فيها والمحمول كما نقول الكل أعظم من الجزء.

## برهان الصديقين:

سمي هذا البرهان ببرهان الصديقين لأنه لم يستخدم الطريق المعهود في الاستدلال فهو خاص بالبعض.

وهو برهان لم يعتمد أي واسطة لاثبات وجود الله. . وبرهان المتكلمين (الحدوث) وبرهان الأرسطيين (المحرك الأول) يعتمد على مطالعة المخلوقات فيستدل من الشاهد على الغائب ولأجل تقريب المعنى هذا يستشهد بالآيات: القرآن الكريم يقول عن الله سبحانه ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾

﴿الله نور السماوات والأرض﴾

﴿شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وألوا العلم﴾ ﴿أينما تولوا فثم وجه الله﴾

وعلي (ع) يقول كل ظاهر غير الله باطن وكل باطن غير الله غير ظاهر لا يجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون الظاهر لا يقال مما والباطن لا يقال فيما ثم يتحول إلى الفلسفة فيقول الحكمة المتعالية تثبت أن منشأ الظهور والبطون واحد وهو الفعلية الكاملة غير المتناهية للوجود الإلهي قال السبزواري:

| | |
|---|---|
| يا من هو اختفى لفرط نوره | الظاهر الباطن في ظهوره |
| جمالك في كل الحقائق سائر | وليس له إلاّ جلالك ساتر |

وقد سئل ابن الجنيد عن الدليل على وجود الله فقال أغنى الصباح عن المصباح.

والصورة الأولى لبرهان الصديقين ما ذكره ابن سينا:

إن الله سبحانه عندما يقول سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق قال ابن سينا أقول هذا حكم لقوم ثم يقول الله ﴿أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ وهذا حكم للصديقين

الذين يستشهدون به لا عليه الإشارات النمط الرابع.

ويعلق مطهري على هذا البرهان بأنه بديع ومبتكر.

## صورة البرهان:

اعتمد البرهان على إثبات مطلق الوجود فقسّمه إلى واجب وممكن، والممكن يحتاج إلى مرجح والدور والتسلسل في العلل والأسباب مستحيلان.

الصورة الثانية لبرهان الصدّيقين

وهو البرهان الذي ذكره صدر الدين الشيرازي

ويعتمد هذا البرهان على عدة مقدمات:

١ ـ أصالة الوجود فالموجود أساساً هو الوجود لا الماهية.

٢ ـ الوجود واحد لا يتكثر كثرة تباينيه بل الاختلاف في الوجود اختلاف في درجاته ومراتبه كالشدة والضعف والكمال والنقص.

أو أن الاختلاف بامتدادات الوجود كالوجود والعدم فالكثرة هنا توأم الوحدة.

٣ ـ حقيقة الوجود تطرد العدم وحقيقة العدم تحديد الموجودات لا أن الوجود يقبل العدم، فالعدم نسبي.

٤ ـ حقيقة الوجود تساوي الكمال بما هو وجود وتساوي الغنى والإطلاق والعقلية الشديدة والعظمة والجلال اللا متناهي.

٥ ـ سريان العدم إلى الوجود يأتي عن طريق المعلولية وهذه مسألة طبيعية بسبب التأخر لأن المعلولية عني التعلق والربط بالعلة فلا يمكن أن ترقى إلى مرتبة العلة.

## برهان الحدوث:

يعتمد إثبات التغير في العالم وإثبات أن كل متغير حادث ويستنتج من المقدمتين أن العالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث

والعلوم الحديثة اليوم تثبت بكل وضوح هذه المسألة وهي حدوث العالم عن طريق قوانين الديناميكيا الحرارية ولهذا حاول بعض الديالكتيكيين الرد على هذا الاستنتاج بأن هذه القوانين لم تجرب إلا ضمن مجال محدود فلا يمكن الانتهاء من خلالها إلى نتيجة كلية تعم العالم كله ولكن العلماء ردوا على هذا التشكيك بأن القانون العلمي يكفي فيه هذا القدر الموجود من الاستقراء ولا يشترط فيه الاستقراء الكامل وإلا تحول نوع الدليل من الاستقراء إلى الاستنباط ولما استطعنا الوصول إلى أي قانون فنحن لم نجرب كل حديد العالم لنجد أنه يتمدد بالحرارة، ويقول العالمان روبرت م اغروس وجورج ن ستانسيو في كتابهما العلم في منظوره الجديد ص٦٤ ـ ٦٥.

[يبدو إذاً أن المادة ليست أزلية بالرغم من كل شيء. وكما يعلن عالم الفيزياء الفلكية جوزف سلك (Joseph Silk) فإن (بداية الزمن أمر لا مناص منه). كما يخلص الفلكي روبرت جاسترو (Robert Jastrow) إلى أن «سلسلة الحوادث التي أدت إلى ظهور الإنسان بدأت فجأة وبعنف في لحظة محددة من الزمن، وفي ومضة ضوء وطاقة».

فهل من مكان لإله في كون كهذا؟ الفيزيائي ادموند ويتيكر (Edmund Whittaker) يعتقد كذلك. فهو يقول: «ليس هناك ما يدعو إلى أن نفترض أن المادة والطاقة كانتا موجودتين قبل الانفجار العظيم وأنه حدث بينهما تفاعل فجائي. فما الذي يميز تلك اللحظة عن غيرها من اللحظات في الأزلية؟ والأبسط أن نفترض خلقاً من العدم، أي إبداع الإرادة الإلهية للكون من العدم». وينتهي الفيزيائي ادوارد ميلن (Edward Milne)، بعد تفكره في الكون المتمدد، إلى هذه النتيجة: أما العلة الأولى للكون في سياق التمدد فأمر إضافتها متروك للقارىء. ولكن الصورة التي لدينا لا تكتمل من غير الله».

أما النظرة العلمية الجديدة فترى أن الكون بمجموعة ـ بما في ذلك المادة والطاقة والمكان والزمان ـ حدث وقع في وقت واحد وكانت له بداية محددة. ولكن لا بد من أن شيئاً ما كان موجوداً على الدوام، لأنه إذا لم يوجد أي شيء من قبل على الإطلاق فلا شيء يمكن أن يوجد الآن. فالعدم لا ينتج عنه إلا العدم. والكون المادي لا يمكن أن يكون ذلك الشيء الذي كان موجوداً على الدوام لأنه كان للمادة بداية. وتاريخ هذه البداية يرجع إلى ما قبل ١٢ إلى ٢٠ مليار سنة. ومعنى ذلك أن أي شيء وجد دائماً هو شيء غير مادي. ويبدو أن الحقيقة غير المادية الوحيدة هي العقل (انظر الفصل الثاني). فإذا كان العقل هو الشيء الذي وجد دائماً فلا بد من أن تكون المادة من خلق عقل أزلي الوجود. وهذا يشير إلى وجود كائن عاقل وأزلي خلق كل الأشياء. وهذا الكائن هو الذي نعنيه بعبارة «الله».

ويرى المطهري في الموازنة بين الأدلة والمناهج العقائدية العقلية والعلمية والفطرية أن طريق الفطرة والقلب هو من الناحية الفردية والشخصية أكمل الطرق فهو أفضل وأكثر لذة وتأثيراً.. ولكن لا يمكن طرحه بشكل علمي فيظل شخصياً لا ينقل عن طريق التعليم العام وكل من سلك هذا الطريق عرفه لكنه لا يستطيع الاخبار عنه لغير سالكه على حقيقته فهو تذوّق وعمل لا سماع وعلم أما الطريق العلمي والفلسفي فيمكن تعلمه وتعليمه.

والطريق الحسي العلمي أبسط وأوضح وأكثر قبولاً فهو من هذه النواحي أفضل الطرق ولا يحتاج سلوك هذا الطريق إلى قلب صافي وإحساسات رفيعة ولا إلى عقل مجرد واستدلالي ناضج بالأصول البرهانية.. ولكن هذا الطريق يوصلنا إلى أول المراحل والمنازل فهو يفهمنا أن الطبيعة مسخرة لقوة فوق الطبيعة، وهذا المقدار لا يكفي لمعرفة الله..

فهو يفهمنا أن هناك قوة خلقت الكون تتصف بالحياة والعلم والحكمة أما أن هذه القوة هل هي واجبة الوجود ليس لها صانع.. والعلوم التجريبية والحسية عاجزة عن نفي أو إثبات هذا الموضوع ومع ذلك

الاحتمال لا بد من إثبات أن تلك القوة صانعة غير مصنوعة وهذا بنفسه استدلال فلسفي.

ثم مسألة التوحيد لا بد من الاعتقاد بها ولا يكفي إثبات أن تلك القوة واجبة الوجود مدبرة وحكيمة ثم هناك مسألة كون هذه القوة خير محض مطلق وكمال مطلق ووجود مبرأ من كل إضافة (وجود صرف) وله المثل الأعلى عالمة بكل شيء قادرة على كل شيء صفاتها عين ذاتها ومسائل عديدة أخرى هذه المسائل كلها تشكل هيكل معرفتنا عن الله كيف نثبتها مع أن البشر ليسوا في غنى عن معرفتها ومع ترك البحث في هذه المسائل والتفكير فيها يتحول الخالق سبحانه إلى فرضية مجهولة تعترضها آلاف المشكلات المستعصية على الحل..

ومعرفة الله وما يرتبط بهذه المعرفة لا بد فيها من سلوك طريق الفلسفة والعقل..

## مطهري إمام منطق حساب الاحتمال:

إن دليل النظم والهداية مع أنه يولّد الجزم والقطع ولكنه من ناحية منطقية لا يقطع الطريق أمام احتمال الصدفة والاتفاق ولو كان رقم الاحتمال ١ من عدد لا يحصيه ذهننا.

ولكن الفلاسفة يهيؤون مقدمات للبرهنة ضرورية ودائمة وكلية لا يسرى إليها أي احتمال للخلاف أو الخطأ.

ولهذا فإن القرآن الكريم يعبر عن الآثار والمخلوقات بالآيات وهي تؤدي وظيفة التذكير فمطالعة الآثار وسيلة للتنبيه وإيقاظ الفطرة أي أن مطالعة الآثار مؤيدة لطريق الفطرة فالهدف ليس الاستدلال والاستنتاج بل التنبيه والتذكير ثم أن القرآن الكريم لم يختر السكوت حول تلك المسائل فهل القرآن ذكرها من غير هدف ولأجل إثارة الحيرة وهل يطالبنا الله بالتقليد والتعبد فيها مع أنها عقلية كما فعل المسيحيون مع التثليث والقرآن يأمرنا بالتدبر ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ /محمد ٢٤/ ﴿كتاب أنزلناه إليك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾ /ص٢٩/ بل هناك مسائل استدل عليها القرآن بالمنهج العقلي ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ /الأنبياء ٢٢/.

## التوحيد:

وينقسم إلى التوحيد الذاتي أي أن ذات الله واحدة ولا شريك له

الصافي أي أن صفاته عين ذاته

الافعالي أي لا إستقلالية لأي فاعل غير الله

العبادي لا أحد يستحق الطاعة والعبادة غيره

**براهين التوحيد الذاتي:**

**البرهان الأول:** إثبات التوحيد عن طريق وحدة العالم

ويتألف من المقدمات الأربع التالية:

١ ـ وحدة العالم واقعية وطبيعية.

٢ ـ لا يوجد غير هذا العالم.

٣ ـ المعلول الواحد لا يصدر إلا عن علة واحدة.

٤ ـ واجب الوجود واجب من جميع الجهات والحيثيات.

**البرهان الثاني:** وهو برهان صدر الدين الشيرازي.

كل محدودية في الوجود ثابتة من الخارج أي من انضمام العدم ومن كونه معلولاً ومتأخراً عن العلة وبما أن الله وجود محض فهو لا ثاني له..

صرف الشيء لا يتثنى ولا يتكرر فالإنسان إنما يتكرر بواسطة المادة أو الزمان أو المكان..

**البرهان الثالث:** برهان التمانع لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا.

ويرد مطهري على التصور السطحي لهذا البرهان حيث أن فرضنا تعدد واجب الوجود العليم الحكيم فلا تتعارض رغباتهما أو حكمتهما بل البرهان لا يعتمد على تضاد الرغبات والإرادات، بل يعتمد على أن الممكن لن يصدر حتى مع توافق الإرادات وانسجام الرغبات ما دامت متعددة فلا بد لصدور الممكن من إرادة واحدة.

**البرهان الرابع:** لو كان هناك آلهان فلا بد من وجود الامتياز بينهما والمائز، وهذا المائز يأتي من إله ثالث وهذا يمتاز عنهما وهكذا يحتاج إلى علة للمائز إذن وجود التعدد يستلزم اللا نهائية في الآلهة.

**البرهان الخامس:** شواهد الاله الثاني غير موجودة.

**«يا بني لو كان لربك شريك لأتتك رسله..».**

## النبوة:

هناك ارتباط بين الاعتقاد بالوحي والنبوة وبين التصور والمفهوم الكوني عن العالم الذي يعتقد بالهداية العامة في جميع أنحاء الوجود.

وأن أرقى درجات الوحي هي التي تكون للأنبياء لضمان وصول البشر إلى غاياتهم وتحقيق القانون الذي له ضمان إلهي، ويترك الوحي أثراً عظيماً على حامل الوحي أي النبي ويطوره لصالح البشرية ويعمل بنظرة واقعية ويمنحه جزماً وتصميماً لا مثيل له في التاريخ..

**خصوصيات النبي:** العصمة، الإعجاز، القيادة، إخلاص النية، البناء، الصراع والجهاد مع الجهل والشرك والظلم.

الجانب البشري :

الأنبيـاء كالبشـر في الأكـل والنوم والمشي والتـوالد والتكليف والوحي يجعل الأنبياء نموذجاً للإنسان الكامل وأسوة للآخرين ولا يخرجهم عن بشريتهم .

ويرى المطهري أن دور الأنبياء التاريخي يتمثل في :

١ ـ التربية والتعليم قبل حصول التكامل الاجتماعي لدى الإنسان .

٢ ـ تحكيم المواثيق والعهـود يقـول (ويـل ديـورانت) في كتـابه دروس من التاريخ أن الدين بالاستمداد من شعائره قد جعل المواثيق البشرية بصورة علاقات مقدسة بين الله والإنسـان وأوجد الثبات والاستحكام عن هذا الطرق .

٣ ـ التحرر من القيود الاجتماعية الضارة .

هدف الأنبياء :

١ ـ معرفة الله ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ .

٢ ـ إقامة العدل ﴿ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ .

وكلا الهدفين ضروريان لا أن أحدهما فقط مقدمة للآخر .

النبوة الخاتمة :

جعـل ختم النبـوات بنبـوة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن البشرية وصلت إلى مستوى فكري وإجتماعي متكامل ولهذا استطاع البشر أن :

١ ـ يحافظوا على القرآن بعيداً عن التحريف .

٢ ـ تلقوا المنهج الرباني دفعة واحدة لا مرحلة مرحلة .

٣ ـ قام البشر بأنفسهم لا الأنبياء فقط بإقامة الدين والدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤ ـ نضج الإنسان في عصر ختم النبوة فكرياً واستطاع تفسير الوحي بالاجتهاد . . بهذا التفسير للخاتمية لم تلغ النبوة ووظيفتها ودورها نعم زالت الحاجة إلى نبوة جديدة ووحي جديد .

## المعجزة ودورها في إثبات النبوة :

المعجزة ترجع إلى الدلالة العقلية حسب تقسيم علماء المنطق للدلالات راجع ص٤٧ الوحي والنبوة راجع التعرف على القرآن ج٢

ولا يكفي لإثبـات النبـوة أن يكـون كلام الأنبياء ودعوتهم ورسالتهم موافقة للمنطق والعقل بل لا بد من الإتيـان بآيـة كما يعـبر القـرآن . . وكثير من الناس قد يكون كلامه موافقاً للمنطق والعقل ولكن هذا لا يصحـح أن نقـول أنـه نبي أو ولي لله بل لا بد من دليـل على ذلك والدليل هو المعجزة إذن فكل العصور لا

يستغني فيها الإنسان عن البحث عن المعجزة وفي هذا رد على إقبال اللاهوري في تصوره أن المعجزة ترتبط بمرحلة طفولة البشر ـ وعن طريق ما قاله المطهري نستطيع التفريق بين رسالة النبي وبين ما نفترض من وجود رسالة أخرى صحيحة أيضاً لكنها ليست لنبي والفرق هو أن رسالة النبي يمكن في كل العصور إثباتها بالدليل وليس الدليل منطقية الرسالة وصحة ما فيها فإن الرسالة الثانية صحيحة حسب الفرض بل الدليل هو المعجزة ـ ولا تستطيع الرسالة الثانية إثبات انتسابها إلى الله لعدم وجود المعجزة ـ وهناك تصوران عن كيفية دلالة المعجزة:

**الأول**: كونها دالة على صدق صاحبها كدلالة أوراق اعتماد والمبعوثين والسفراء مثلاً هذه الأيام من غير أن تكشف عن كمال في شخصية النبي.

**الثاني**: كونها دالة على درجة عظيمة من الإيمان والإخلاص والكمال بحيث يستطيع صاحبها الاتصال بعالم الواقع والأسباب الحقيقية ولهذا نجد في القرآن الكريم أن هناك إشارات إلى أن النبي عيسى ـ ع ـ كان ينسب عمل إحياء الموتى إلى نفسه لكن بإذن الله مما يدل على أن له دوراً ما في التأثير. .

والفرق بين التصورين مع أن كليهما يدل على صدق النبي في نبوته إن الثاني يظهر كمالاً في شخصية النبي دون الأول والمطهري يثبت أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانت له معاجز غير القرآن الكريم وله حديث واسع حول وجود إعجاز القرآن.

مصادر بحث المعجزة عند المطهري:

١ ـ معرفة القرآن الجزء الثاني.

٢ ـ الوحي والنبوة.

٣ ـ العدل الإلهي.

إن من جملة مختصات الأنبياء هي العصمة، والعصمة تعني الصيانة من الذنب والخطأ. أي أن الأنبياء لا يقعون تحت تأثير أهوائهم النفسية، ولا يرتكبون ذنباً، ولا يخطؤون في أعمالهم. وتجنبهم هذا للأخطاء والذنوب يضفي عليهم أسمى مرتبة من قابلية الاعتماد. والآن لنرى كيف تكون هذه الصيانة:

١ ـ هل أنها بحيث عندما يريدون أن يرتكبوا ذنباً يأتي مأمور غيبي ويمنعهم من ذلك كالأب الذي يمنع ولده من الانزلاق (في المعاصي)؟ أو بهذه الصورة، وهي أن جبلة الأنبياء وطينتهم هي بصورة بحيث لا يتمكن منها الخطأ والاشتباه، كما أن الملك لا يزني لأنه خال من الشهوة الجنسية، أو أن الآلة الحاسبة لا تخطأ لأنها لا ذهن فيها؟

٢ ـ أو أن عدم ارتكاب الأنبياء للذنوب وعدم اشتباههم معلول لنوع من نظرتهم ودرجة يقينهم وإيمانهم. وبالطبع فإن هذا الشق وحده هو الصحيح. والان نذكر كلاً من هاتين الصيانتين على حدة:

أما الصيانة من الذنب: أن الإنسان موجود مختار ويختار أعماله على أساس المنافع والمضار والمصالح

والمفاسد التي يميزها، لذا فإن للتمييز الدور المهم في اختيار الأفعال. ومن المستحيل أن يختار الإنسان شيئا عديم الفائدة، أو أنه ضار من جهة أخرى بناء على تمييزه ـ فمثلاً ـ إن الإنسان العاقل الذي يهوى الحياة لا يرمي نفسه من الجبل عالماً، ولا يتجرع السم القاتل.

إن الأشخاص يختلفون من ناحية الإيمان والانتباه إلى آثار الذنوب، فكلما كان إيمانهم أقوى وانتباههم إلى آثار الذنوب أكثر كان اجتنابهم عن الذنب أكثر وارتكابهم له أقل. وإذا كانت درجة الإيمان تصل إلى حد الشهود والعيان إلى الحد الذي يتصور الإنسان نفسه حين ارتكاب الذنب كالشخص الذي يريد أن يرمي نفسه من الجبل أو أن يتجرع السم القاتل. فاحتمال اختيار الذنب هنا يصل إلى الصفر. أي أنه لا يتجه نحو الذنب أبداً. ومثل هذه الحالة نسميها العصمة إذاً فالعصمة من الذنب ناتجة من كمال الإيمان وصلابة التقوى. ولا ضرورة للإنسان في قوة خارجة تصده عن الذنب جبراً من أجل وصوله إلى حد «الصيانة» و«العصمة» من الذنب، أو أن يكون الشخص المعصوم بحكم جبلته وطينته مسلوب القدرة. فإذا كان الإنسان لا يتمكن من ارتكاب الذنب أو أن قوة تصده عن الذنب دائماً، فعدم ارتكابه للذنب لا يعتبر له كمالاً، لأنه يشبه الشخص السجين الذي لا يتمكن من المخالفة، وعدم مخالفة مثل هذا الشخص لا يمكن أن تضعه في سجل الصدق والأمانة.

أما الصيانة من الخطأ: إن الصيانة من الخطأ وليدة نوع من نظرة الأنبياء أيضاً. فالخطأ يحدث دائماً من حيث يواجه الإنسان واقعية عن طريق الحس الباطني أو الخارجي. ويكون لها عدد من الصور الذهنية في ذهنه، ويقوم بتحليلها وتركيبها بقوة عقله، ويتصرف فيها بصور مختلفة فيخطأ أحياناً في مطابقة الصور الذهنية مع الواقعيات الخارجية، وفي ترتيب تلك الصور. ولكن عندما يواجه الإنسان مباشرة واقعيات عينية عن طريق حس خاص، وأن إدراك الواقع هو نفس الاتصال بالواقع. لا صورة ذهنية عن الاتصال بالواقع. فلا معنى للخطأ والاشتباه بعد ذلك.

والأنبياء الالهيون لهم اتصال بواقع الوجود في باطنهم، فلا يفترض الخطأ في نص الواقع، فمثلاً لو وضعنا مائة حبة من عقد «سبحة» في إناء، ثم مائة حبة أخرى ونعيد هذا العمل مائة مرة فمن الممكن أن يخطأ ذهننا ويتصور أن هذا العمل تم لتسع وتسعين مرة أو مائة مرة ومرة، ولكن من المستحيل أن يخطأ الواقع نفسه، وبالنظر إلى كون العملية قد تكررت مائة مرة فيكون مجموع الحبات أكثر أو أقل، فالأشخاص الذين يكونون في نص مجرى الواقع من حيث الوعي، ويتصلون بأصل الوجود وجذره والحوادث ويكونون وحدة واحدة سيعصمون من كل أنواع الأخطاء ويصانون. (كتاب الوحي والنبوة / المطهري ص٩ ـ ١١)

## الإمامة:

**تعريفها:** رئاسة عامة في أمور الدنيا والدين.

لماذا اعتبرناها من أصول الدين. هناك مقاييس ثلاثة لمعرفة أصول الدين:

١ ـ ما كان شرطاً للإسلام وعلى هذا المقياس ليس من أصول الدين إلا التوحيد والنبوة فهما مفاد لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ومن قالها أصبح مسلماً ، ثم إن الشهادة الثانية خاصة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع أن الإسلام لايتحقق إلا بالإيمان بالنبوة العامة لكافة الأنبياء (ع) .

٢ ـ الأمور الإيمانية والاعتقادية لا الأمور العملية هي أصول الدين ويرد على هذا المقياس أن الإيمان بالملائكة من الأمور الاعتقادية الواجبة كما صرح القرآن الكريم .

٣ ـ ما كان مميزاً للرؤية الخاصة نحو الإسلام وما كان من الأصول التي يجب الإيمان بها واعتقادها ، فالتوحيد والنبوة والمعاد من أصول الدين حيث يجب إسلامياً الاعتقاد بها . ومن أهداف الإسلام حصول الإيمان بها لدى الناس .

أما أصل العدل فهو مميز لمذهب الإمامية .

أما الإمامة ففيها ـ كما يرى الشيعة ـ كلا الملاكين .

لأنها من الأمور التي يجب الاعتقاد بها وما جاء الإسلام للهداية إليه وهي من مشخصات رؤية الشيعة نحو الإسلام .

وعلى هذا فالمقياس الصحيح هو الثالث وعليه فلا يكون الإيمان بالملائكة من أصول الدين لأنه من لوازم الإيمان لامن أهداف الاسلام والإمامة لا تدخل في الأمور الإيمانية عندما ننظر إلى جانبها الاجتماعي والسياسي لكن الجانب الآخر في الإمامة وهو الأهم هو الجانب المعنوي أن الاعتقاد بأن الإمام حجة الله وخليفته وهو المشرف على الشريعة وتطبيق الناس لها بناء على هذا الجانب تدخل الإمامة في الأمور الإيمانية .

**مراتب الإمامة :**

١ ـ بيان الأحكام الشرعية .

٢ ـ قيادة الأمة .

٣ ـ الولاية .

ثم يبحث الشهيد الإمامة في القرآن وفي السنة وعلى ضوء العقل فهذه ثلاثة بحوث مترتبة :

**١ ـ الإمامة في القرآن ويذكر الآيات التالية :**

١ ـ ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ /المائدة (٥٥)/ .

ويعلق على الآية بالملاحظات الآتية :

أ ـ سورة المائدة آخر سورة نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ب ـ الآية تتحدث عن حادثة خاصة ذكرها المفسرون وهي تصدق علي ـ ع ـ بخاتمه وهو يصلي .

٢ ـ ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ والآية في سورة المائدة /آية ٦٧/ وهي آخر سورة نزلت على النبي ومفاد هذه الآية نفس مفاد الحديث القائل [من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية].

ما هو الشيء الهام الذي تريد الآية بيانه خصوصاً أن هذه الآيات نزلت في آخر أيام النبي ، ويعني هذا أن الرسول بعد ٢٣ سنة من الجهاد والدعوة لا يكون مبلغاً للرسالة إذا لم يبلغ هذا الأمر الهام ثم ورد في سورة المائدة أيضاً [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً] بل ورد مقطع قرآني متصل بالآية السابقة يقول اليوم يئس الكفار من دينكم فهل هذا اليوم هو يوم البعثة أو فتح مكة أو يوم قراءة سورة براءة في منى كل هذا مردود لعدم وجود دليل على هذا التفسير ولأن القرائن التاريخية والقرائن السياقية في الآية تشير إلى يوم الغدير ويذكر المطهري أن للآية الكريمة وأنذر عشيرتك الأقربين عندما نزلت دعا النبي عشيرته وأولم لهم وقال فيها قال أيكم يؤمن بي ويؤازرني على هذا الأمر ويكون خليفتي ووصيّ عليكم . . حتى قال أبو لهب لأبي طالب أمرك أن تسمع لابنك وتطيع وقد ذكر ابن هشام في سيرته قصة يوم الإنذار.

ويذكر الشهيد أيضاً آية التطهير والآيات التي تتحدث عن إمامة إبراهيم خليل الرحمن.

**الإمامة في السنّة:** ويتعرض المطهري إلى حديث الثقلين الذي ورد في حدود مائتي كتاب من كتب السنة ويستنتج منه عصمة أهل البيت ويقول لا تنافي بينه وبين حديث إني تارك فيكم كتاب الله وسنتي لأن الأئمة هم الناقلين للسنّة ، وإنما لم يعمل الشيعة بالقياس في استنباط الحكم لأن السنّة مستمرة عندهم بالأئمة بمعنى أن الإمامة تقوم بدور بيان الأحكام ويتعرض إلى حديث الغدير ودلالته المستفادة من نفس النص ومن القرائن التي وقعت فيها الحادثة .

ويتعرض إلى حديث سلموا على علي بإمرة المؤمنين.
وكذلك حديث المنزلة يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى .

**الإمامة على ضوء العقل:** استدل المطهري بالدليل العقلي على الإمامة مستفيداً من منهج نصير الدين الطوسي (تجريد الاعتقاد) الذي يعتبر أهم كتاب كلامي شرحه علماء الفريقين كالعلامة الحلي والقوشجي .

**والدليل كما يلي:** الإمامة لطف بمعنى أن الله سبحانه يقرب العباد إلى الهداية ولا يتم الدين ولا يكمل ما لم يبين النبي عن الله من هو الإمام من بعده لأن هذا الدين كامل شامل لكل شؤون الحياة ولم يتهيأ للنبي فرصة تربية الأمة بالشكل الكامل لانشغاله بالحروب ومواجهة الأعداء في خارج المجتمع الإسلامي وفي داخله ويمكن مراجعة (بحث حول الولاية) لمعرفة ذلك.

والنبي لم يترك اية فرصة ممكنة لتربية الأمة ولكن بيان تمام أحكام الإسلام ومفاهيمه لكل الأفراد ليس ميسوراً للنبي فهل يبقى الدين ناقصاً . . اللطف الإلهي يقتضي إتمام هذه المسيرة الربانية بتعيين

الأئمة ويقول علي ـ ع ـ مستنكراً (أم أنزل الله ديناً ناقصاً) حتى يأتي هذا وذاك لإكماله بالقياس وبالآراء الشخصية . .

إذن يتفق المسلمون جميعاً على أن النبي لم يبين كل الأحكام ولو بشكل عام وكلي لانشغاله بما هو أهم وهو الحفاظ على الرسالة الجديدة من المؤامرات والمخاطر الخارجية والداخلية ولهذا نجد أن من أدلة الأحكام عند السنة أو عند بعضهم القياس وهذا يعني أن كثيراً من المسائل لم ينص على أحكامها . . وهل بعث الرسول إلا لهداية الناس وبيان الشريعة لهم ولهذا نقول أن النبي عين من بعده من يقوم بالمهمة . . ويقول علي مكرراً سلوني عن كل شيء في الإسلام وأنا أجيب .

والإمام هو الخبير العالم بشؤون الدين واللطف الإلهي يقتضي تعيين هذا الإمام . .

وما دامت الإمامة بهذه الخطورة فلا بد أن يكون الإمام معصوماً لا يقع منه الخطأ لأن الإمام يكمل دور النبي ويسير على خطاه وأهدافه فيتصف بصفاته باستثناء ما دل الدليل على استثنائه كالوحي وبعض الأحكام .

وبما أن الإمام معصوم فلا بد من تعيينه والإشارة إليه لأن تعيين المعصوم ليس بمقدور البشر، وكما تحتاج النبوة إلى دليل ومعجزة كذلك الإمامة تحتاج إلى تعيين مع فارق أن النبوة لا يبينها غير الإعجاز بينما الإمامة توضحها النبوة وتثبتها ولم يدع أحد من المسلمين أن العصمة والنص ثابتان لشخص من الصحابة غير علي بمعنى أن الشيعة تقول باختصاصهما بعلي ولم يقل السنة بأنهما خاصين بشخص غير علي .

خلاصة هذا البرهان الانتقال من معرفتنا باللطف الإلهي إلى مسألة الإمامة وتعيينها ثم إلى العصمة ثم إلى النص . .

## المعاد :

تحدث الشهيد المطهري عن المعاد معتبراً إياه من أصول وأساسيات التصور التوحيدي ومن أصول الدين التي يلزم الاعتقاد بها والقرآن الكريم قسم الحياة إلى قسمين هما الدنيا والآخرة ـ وبالرجوع إلى القرآن ننتهي إلى نتيجتين :

**الأولى** : أن حياة الإنسان بل مسيرة الكون تنقسم بمجموعها على مرحلتين أو «يومين» المرحلة الأولى الفانية (مرحلة الحياة الدنيا)، والمرحلة الأخرى الخالدة (مرحلة الحياة الأخروية)، وورد في القرآن تعبير «الأولى» و«الآخرة» ليعبر عن الحياتين الدنيوية والأخروية . ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ / الليل ١٣ / ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ / الضحى ٤ / .

**الثانية** : إن سعادتنا في هذه الحياة المعاشة، وفي الحياة الآخرة المحجوبة عنا تكمن في «الإيمان» باليوم الآخر.

الإيـمان بالحيـاة الأخـرى يوفـر لنـا السعـادة في هذه الدنيا لأن هذا الإيمان ينبّهنا على نتائج أعمالنا، ويُفهمنا أن أعمالنا وأقوالنا صغيرها وكبيرها لها، مثل مالنا، يومان: يوم أول ويوم آخر، أي إنها لا تنعدم ولا تنتهي في الحياة الدنيا، بل تبقى لتُحتسب في الميزان في اليوم الآخر. من هنا فإن هذا الإيمان يحثنا على أن نكون خيّرين في أعمالنا ونوايانا وأن نبتعد عن أفعال السوء، أي يحثنا على أن نطوي باستمرار طريق فعل الخيرات. كما أن الإيـمان بالحيـاة الأخرى يوفر لنا السعادة أيضاً في تلك الحياة الأخروية لأن أعمالنا في هذه الدنيا سوف تكون ـ كما سنبيّن ذلك ـ أساس سعادتنا وشقائنا في تلك الحياة.

من هنا أكد القرآن الكريم على أن الإيمان باليوم الآخر أمر ضروري ولازم لسعادة البشر.

## مصدر الإيمان بالحياة الأخرى:

المصدر الأول والأساس في الإيمان بالحياة الخالدة والحياة الأخرى هو الوحي الإلهي المنقول إلى البشر عن طريق الأنبياء.

بعد أن يؤمن الإنسان بالله وبرسله وبما أنزل الله على رسله عن طريق الوحي فإنه يؤمن أيضاً بيوم القيامة والحياة الخالدة كأهم أصل دعا إليه الأنبياء بعد أصل التوحيد.

من هنا فإيمان الفرد بالحياة الأخرى يتوقف أولاً على درجة إيمانه بأصل النبوة وبصدق أقوال الأنبياء، ويتوقف ثانياً على مستوى معلومات الفرد وعلى صحة تصوره في أمر المعاد والعالم الآخر، ومدى ابتعاد هذه التصورات عن الأوهام والتخيلات الساذجة.

إضـافـة إلى طريق الـوحي الذي بشر به الأنبياء، ثمة طرق أخرى، أوعلائم وقرائن أخرى للإيمان بالمعـاد. وهـذه الطـرق حصيلة الجهود الفكرية والعقلية والعلمية البشرية وهي ـ على الأقل ـ تأييد لصحة أحاديث الأنبياء بشأن المعاد والعالم الآخر. هذه الطرق عبارة عن:

١ ـ طريق معرفة الله.

٢ ـ طريق معرفة العالم.

٣ ـ طريق معرفة الروح والنفس الإنسانية.

الحياة الأخرى ص ٦ ـ ٧

من خلال بحث مطهري في المعاد ننتهي إلى ما يلي:

لا ينحصـر الـدليـل على المعـاد بالـدليـل النقلي بل يمكن الرجوع إلى الفلسفة لإثبات تجرد النفس وعلاقتها بالبدن، ومعرفة العالم ورتبته بالنسبة إلى الوجود، ومعرفة الله سبحانه. . ويعد معرفة هذه الأمور يبرهن على المعـاد. . وقـد نقـل الطنطـاوي عن سقراط قوله عندما قرروا قتله (كل شيء يظهر من ضده، الموت والحياة، الوجود والعدم، مشمولان أيضاً بهذه القاعدة الكلية وبهذا الدليل فلا بد أن توجد بعد الموت حياة أخرى وإلا لانفضت القاعدة العامة للطبيعة). العدل الإلهي ص٢٠٧

ويقول المولوي الفاكهة الحلوة تختفي بين الأغصان والأوراق والحياة الخالدة تحت الموت.

نفس المصدر والصفحة

ويحلق المطهري في تحليل الموت وتفريقه عن الوفاة وكونه مرحلة من المراحل التي يمر بها الإنسان لتتوسع الحياة له.

الخوف من الموت لا يوجد إلا عند الإنسان دون سائر الحيوانات وهو وليد الرغبة والميل إلى الخلود وهذه الرغبة والميل دليل على أننا سوف نخلد ولسنا كالأزهار والنباتات، والرغبة في الخلود تجلٍ لواقعنا الخالد الذي فطرنا عليه وهو الخلود.

والموت ليس عدماً وإنما هو تطور وتحول من نشأة إلى أخرى فهو عدم نسبي إلى عدم لنشأة معينة وفي نفس الوقت هو تحول إلى نشأة ثانية.

بالموت لا يفقد الإنسان إلا حالة خاصة من حالات وجوده كما يتحول التراب إلى نبات وكما تكون للإنسان رحم يتضي فيها أيام وجوده الأولى، كذلك الحياة فإنها رحم للروح، والاستعدادات الروحية للإنسان من بساطة وتجرد ورفض للتجزئة والثبات النسبي للأنا الإنسانية والآمال العريضة غير المنتهية والأفكار الممتدة اللا متناهية كلها خلقت لتتناسب مع حياة أوسع وأطول وأعرض من حياتنا الدنيا قال الله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ / المؤمنون ١١٥ /، والمطهري يقول أن الدنيا مدرسة الإنسان يتهيأ من خلالها للكمال، قال الله تعالى: ﴿الذي حلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ / الملك ٤ /، وعندما يتحدث مطهري عن الجزاء الأخروي يعتبره تجسماً لأعمال الإنسان والجزاء الأخروي يتحد مع الذنوب وهو عينها بشكل آخر ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ / الكهف ٤٩ /. ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ / البقرة ٢٨١ /. ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله﴾ / الحشر ١٨ /.

وحتى لا نطيل نقول أن الشهيد المطهري بحث في بعض ما يحدث في الآخرة كالشفاعة وأجاب عن ردود الرافضين لها. فصّل كل ذلك في كتابه العدل الإلهي..

المعاد أو الحياة الأخرى / المطهري

العدل الإلهي / المطهري

## خلاصة لمنهجية المطهري في كتابه علم الكلام

**تعريف علم الكلام:** هو علم العقيدة الإسلامية أو علم أصول الدين أو علم التوحيد والصفات.

متى بدأ البحث في علم الكلام ليست هناك نظرية دقيقة وواضحة حول هذه المسألة ولكن من الواضح أن القرآن الكريم دفع المسلمين نحو التفكير في الأمور العقائدية بما أمر به من التدبر والتفكير وبما

طرحه من مفاهيم عصية على الإدراك مالم يستعن الإنسان بعقله ومن الواضح تاريخياً أيضاً أن الأحاديث الواردة عن النبي وعن علي وعن الأئمة طرحت مسائل عميقة عن عالم ما وراء الطبيعة وكذلك طرحت مسائل إجتماعية كانت مورداً للتجزئة والتحليل فيمكن القول إذن أن طرح المسائل العقلية العميقة في المفارق الإسلامية كان بواسطة الإمام علي بن أبي طالب في خطبه ورسائله ومحاوراته. وليس صحيحاً القول بأن نشأة علم الكلام كانت لأول مرة عندما طرحت مسألة كفر الفاسق ثم أعقبتها مسألة حرية الإنسان واختياره التي طرحها معبد الجهني وغيلان الدمشقي ثم طرحت في النصف الأول من القرن الأول عقيدة وحدة الصفات والذات من قبل جهم بن صفوان.

ثم أسّس واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد مذهب المعتزلة القائم على مسألتين عدم كفر الفاسق بل له منزلة بين المنزلتين، وآمنا بحرية الإنسان، ثم يتعرض الشهيد إلى أن الإيمان بالعقيدة يحتاج إلى بحث وتفكير واستدلال ولا يكفي التقليد.

ويبحث بعد ذلك عن أول مسألة طرحت فيقول يظهر أن أول مسألة عقائدية طرحت هي مسألة الجبر والاختيار وسبب هذه الأسبقية لهذه المسألة أمران ارتباطها بالحياة الإنسانية وطرح القرآن الكريم لها، ولا داعي للبحث عن منشأ آخر. .

ويبحث ضمناً في تلك المسألة عن مسألة القضاء والقدر فالمسألة الأولى ترتبط بالإنسان والثانية ترجع إلى الله سبحانه وطبيعي أن تطرح بعد ذلك مسألة العدل والحسن والقبح الذاتي والمستقلات العقلية ثم بحث الحكمة جر إلى بحث التوحيد الافعالي ثم الصفاتي.

واختلاف العلماء في البحوث الكلامية توسع كثيراً وجر إلى بحث مسائل فلسفية عديدة كالجواهر والأعراض والتركيب في الأجسام. . وأثر الكلام الفلسفة على بعضهما البعض حيث طرح الكلام مسائل جديدة على الفلسفة ووسعت الفلسفة دائرة علم الكلام.

**ثم يقسم الشهيد الكلام إلى عقلي ونقلي**

مع أن علم الكلام استدلالي لكن مقدماته تختلف فإن كانت عقلية فهو من القسم الأول وإن كانت نقلية وقطعية كانت من الثاني ويصح الاعتماد على النقل في المسائل المتفرعة على النبوة. . كالإمامة وبعض مسائل المعاد.

**تعريف علم الكلام وموضوعه:** هو العلم الذي يبحث عن أصول الدين الإسلامي ولا موضوع واحد لهذا العلم لأن وحدة مسائله ليست ذاتية بل انتزاعية فيمكن تداخل مسائل هذا العلم مع مسائل علم آخر.

**لماذا سمي بهذا الاسم:**

١ ـ لأن هذا العلم يمنح صاحبه القدرة العلمية وعندئذ يستطيع التحدث بكل يسر عن العقيدة.

٢ ـ لأن بحوثهم تبدأ بالشكل التالي (الكلام في كذا).

٣ ـ لأن مباحثها لا يصح الكلام فيها وإنما يتعبد بها على بعض الآراء.
٤ ـ المحنة التي مر بها المتكلمون أيام المأمون كان سببها البحث عن كلام الله هل هو حادث أو قديم.

ثم يبحث الشهيد عن المذاهب والفرق الكلامية ويذكر كل فرقة مع عقائدها الخاصة:

أ ـ المعتزلة وعقائدهم الخاصة التي ميزتهم عن باقي الفرق هي:

١ ـ التوحيد بمعنى عدم الصفات.
٢ ـ العدل وعدم الظلم عند الله.
٣ ـ الوعد والوعيد وعدم تخلف الله عنهما.
٤ ـ المنزلة بين المنزلتين للفاسق فهو ليس كافراً ولا فاسقاً بل حالته حالة بين الكفر والإيمان.
٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وظهر المعتزلة في أواخر القرن الأول الهجري ومن علمائهم القاضي عبد الجبار.

ثم يتعرض الشهيد لأصل التوحيد لتقسيمه إلى أربعة أقسام:

التوحيد الذاتي أي أن ذات الله لا تتعدد وليس لها شبيه أو شريك ﴿ليس كمثله شيء﴾ ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾.

التوحيد الصفاتي يعني أن كل الصفات الإلهية ليست غير الذات الإلهية أو منفصل عنها أي أن الآثار تترتب عليه.

التوحيد الافعالي كل الأشياء وكل الأفعال تصدر عن مشيته وإرادته أي لا تخرج عن قدرته ورغماً عليه.

التوحيد العبادي يعني أن الذات الإلهية تنحصر فيها العبادة فلا معبود غيرها وهذا القسم يرتبط بالعباد بخلاف تلك الأقسام المرتبطة بالله على بعض الآراء واستحقاقه للعبودية وكلمة لا إله إلا الله تشمل كل أقسام التوحيد ثم يرد على الوهابية في تصورهم أن الشفاعة والتوسل ضد التوحيد.

ويؤكد المطهري أن المسلمين جميعاً وليس الوهابيين فقط يؤمنون بأن الله سبحانه هو وحده المستحق للعبادة ولكن الكلام في أن هذه الأمور (الشفاعة والتوسل والنذر) هل هي عبادة لغير الله أم لا.. فالخلاف صغروي..

ثم يتعرض الشهيد إلى أصل العدل عند المعتزلة

ويقول أن المسلمين جميعاً يعتقدون بعدل الله ولكن اختلاف علماء الكلام حول تفسير العدل وتكييفه فالمعتزلة يؤمنون بأن الأعمال على قسمين بغض النظر عن فعل الله لها تتصف بالعدل أو الظلم بينما الأشاعرة لا يعتقدون ذلك.

ولهذا اعتقد المعتزلة بالعدل وحرية الإنسان ونفي التوحيد الأفعالي بينما آمن الأشاعرة بالتوحيد الأفعالي.

ثم يتعرض الشهيد لباقي معتقداتهم ورجالاتهم . .

بعد ذلك يتعرض للأشاعرة الذي ظهروا في أوائل القرن الرابع وساعد على ظهورهم بقوة عاملان كراهية عامة الناس للمعتزلة بسبب المحنة التي مر بها الناس بسبب طرح المعتزلة لمسألة حدوث أوقدم كلام الله وثانياً لأن الأشاعرة أجازوا دراسة المنطق واستخدامه في العقائد واعتمدوا الرجوع إلى القرآن والسنة أيضاً .

ومن عقائدهم وآرائهم الخاصة :

١ ـ التوحيد الأفعالي .

٢ ـ عدم وحدة الذات والصفات .

لا تجب رعاية الأصلح على الله .

لا وجود للتنزيه المطلق بل هناك تشابه بين الله وعباده .

لرؤية البصرية لله ممكنة .

الشفاعة ممكنة .

كلام الله قديم (الكلام النفسي) .

لا هدف في الأفعال الإلهية .

العالم حادث زمانياً وذاتياً .

الفاسق ليس مؤمناً .

أفكار الحسن والقبح الذاتي .

الشرور من الله والقضاء والقدر عامان .

عدم اختيار البشر وخلق الله لكل الأعمال .

المغفرة يمكن أن تقع بلا سبب .

ثم يتعرض إلى عقائد الشيعة .

فيقول أنها :

١ ـ التوحيد بأقسامه .

٢ ـ العدل في الله وفي الخلقة .

٣ ـ الاختيار بمعنى الأمر بين الأمرين لا التفويض .

٤ ـ اللطف واختيار الأصلح .

٥ ـ الهدفية في الفعل الإلهي .

٦ ـ البداء .

٧ ـ حجية العقل وأصالته واستقلاله .

٨ ـ رؤية الله بالقلب فقط وهي منزلة عين اليقين لا إدراكه بالعين أو العقل.

٩ ـ إيمان الفاسق.

١٠ ـ عصمة الأنبياء والأئمة.

١١ ـ المغفرة والشفاعة الإلهية.

١٢ ـ الحسن والقبح العقليان.

## مطهري فيلسوف وصاحب منهج:

**قد يقول قائل**: أن انتقاء المنهج أمر سهل ميسور لكل احد.. وهذا صحيح لكن محاكمة المناهج ومناقشتها وإثبات الصحيح منها يدل على التفلسف والقدرة الفكرية العميقة ولا يقصد بالفيلسوف المبدع والمؤسس. بل يراد به من يستطيع من خلال دراسة الفلسفة أن يستدل على آرائه وفلسفته ويناقش ما لا يختاره من الفلسفات ويرد الفرع إلى أصله ومطري رجل قد يرخي هذا الشأن حاول كشف بدراساته عن معرفته بمختلف الفلسفات فهو يقرأ الفلسفة القديمة اليونانية منها والإسلامية ويقرأ المثالية والمادية والوضعية المنطقية ثم هو فيلسوف عملي عرض من الفلسفة ما ينفع في جانب العمل والتربية ولهذا فهو يطعم فلسفته باللمحات التربوية.

وتظهر على شخصية مطهري آثار دراسة الفلسفة والعقيدة فحين يدرس صفات الله وجلاله وجماله يتملى عقله بهذه الصورة الكاملة وحين يدرس فلسفة الأخلاق يزين روحه وشخصيته بالأخلاق السامية وحين يدرس جوهر الإنسانية يرتفع أفقه فوق الزمان والمكان وكتلة التراب فهو يرى أن علاقة الفلسفة بالمعنويات أقرب من علاقتها بالطبيعات ولهذا علينا أن نظهر أن الفلسفة يمكن لها أن تخلق شخصية كاملة يحتاجها عالمنا اليوم ولا تضر دراسة الفلسفة بالجوانب الهامة من حياة الإنسان فالفيلسوف يمكنه أن يكون قائد ثورة، فالخميني والصدر ومطهري (رضي الله عنهم) فلاسفة ولكنهم في الخط الأول من الثورة ويمكن للفلسفة أن تخدم الفكر والثقافة وهذه نتاجات الصدر ومطهري في طليعة الكتب التي يتثقف عليها الجيل الرسالي كما يمكن للفلسفة أن تسلح دارسيها بالقدرة على مواجهة المصاعب الفكرية والشبهات والعقائد، والأيدولوجيات الضالة. فلم تستطع فتاوى الفقهاء لوحدها الوقوف بوجه التيارات الكافرة، بل دعمتها دراسات المفكرين والفلاسفة الإسلاميين في العراق وإيران مثلاً كما أن التفلسف لا يقنع الفيلسوف بمعزل عن الناس بل يضعه في خضم حركة المجتمع.. والفلسفة تعين أهلها على دراسة كل الثقافات ومختلف المدارس الفكرية..

ثم إن الفلسفة تعلم الناس المنهج في دراستهم للوجود وآثاره ولا يستطيع إنسان أن يستغني عن هذه الدراسة فكل إنسان يتساءل عن وجوده ووجود الكائنات ووجود الحياة وجود العلل وعلاقته بالطبيعة من يجيب على هذه الأسئلة إنها الفلسفة.

نستطيع إذن أن نقول أن الفلسفة يجني عليها من يعزلها عن حركة المجتمع وحركة الفكر وحركة التاريخ . . صحيح أن هناك فلسفات لم تؤثر في التاريخ بل ساهمت في رسم صفحات سوداء فيه ، ولكن أين تجد شيئاً خالياً من السلبيات بشكل كامل هل المدرسة أو الجامعة أو الحوزة أو المرجعية أو الأعلام أو الأحزاب فهل تغلق هذه الأبواب حتى لا يقع سلبيات . . الصحيح هو دراسة الفلسفة والتسلح بها تكميل النفس وعرض الفكر الصحيح ومواجهة الفكر المضاد وكما أن للضلالة مناهجها كذلك الهدى له مناهجه .

إن الإسلام كما يرى مطهري يدعو إلى التفكير وهل الفلسفة إلا التفكير والمواضيع التي يرى مطهري أن القرآن يدعو إلى التفكير فيها هي الطبيعة ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ ، والتاريخ ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ ، وضمير الإنسان والوجدان ﴿سنريهم . . .﴾ ، فهل يبقى شيء . . للفلسفة . .

والفلسفة العملية تدرس الأخلاق والسلوك وارتباطها بالإرادة والنفس البشرية ، والفلسفة النظرية تدرس الوجود بأقسامه الطبيعي منه والمجرد وجود الفرد والمجتمع . .

والإسلام بدأ بالدعوة إلى التوحيد فهو كما يقول مطهري لا يمكنه إثبات ما بدأ به إلا بالتعقل والتفلسف والاستدلال أما لو كان يؤمن بالثنوية والتثليث لمنع من البحث لهذا لم يسمح فقط بالبحث عن التوحيد بل أوجبه ، ماذا وكيف نصنع مع من يسأل عن مصدر الوجود وماهيته وحقيقته وأقسامه وعلاقته بالماهيات وعن أحكام الوجود . . ونحن نعلم أن السؤ ال مفتاح العلم وشفاء العمى طول السؤ ال ، وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل .

والتاريخ يعيب على إجابة ذلك العالم عمن سأله عن آية ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فقال : الكيفية مجهولة والسؤ ال بدعة ، لهذا يقول مطهري إن وظائف الفلسفة ثلاث : ١ ـ إثبات الوجود للماهيات ٢ ـ شرح الماهيات الموجودة وإيضاح حقائقها ٣ ـ بيان أحكام الوجود وآثاره . . الفلسفة عند مطهري لا تطلب لغاية وليست من العلم الآلية وإن كانت ذات آثار نافعة ولكن يكفيها أنها تملأ منطقة الفكر والعقل . يقول أرسطو: ـ لنتفلسف إذا اقتضى الأمر أن نفعل وإن لم يقتض ذلك التفلسف حتى تثبت أن الفلسفة لا ضرورة لها ـ ويقول أرسطو أيضاً : ـ إن من ينكر الميتافيزيقيا فهو يتفلسف ميتافيزيقياً ـ قال مطهري : أن اللا متدين هو ذا فلسفة في الحياة .

فهي تملأ فراغاً في منطقة العقل لا يسده الغنى والجاه ولا الصحة والعافية ولا التملي من الطعام والشراب . . إن البحث عن فلسفة في الحياة وعقيدة عن الوجود مسألة فطرية ذاتية لا يندفع إليها الإنسان بالتربية فهي تشبه ميل الشباب إلى الزواج واندفاع الإنسان إلى الحياة الاجتماعية والذاتي عند المناطقة لا يعلل من يمنع الفلسفة يمنع تكامل الوجود الإنساني .

ولكن سائلاً يسأل عن جنايتين للفلسفة القديمة والحديثة فيقول أن الفلسفة تنتهي بالفلاسفة إلى المثالية وأحياناً تنتهي بهم إلى الإيمان بالواقع المادي فقط بينما عالم المادة لا يقوم بنفسه ولا يعتمد على ذاته . .

والجـواب على ذلـك بالشكـل الإجمـالي أن الفلسفـة تفكـير والتفكـير لا بد فيـه من ضبـط وسائل التفكير ومناهجه ومقدماته والمثالي كما ندعي أخطأ في تطبيق هذه القواعد وكذلك المادي قصّر في اختيار المنهج الصحيح.

وهل يحق لنا أن نمنع دراسة الطب لأن كثيراً من المعلومات التي تدرس في هذا العلم ثبت خطاؤها وتأثيرها السلبي على صحة البشر. . .

الفلسفة استجابة لغريزة ودافع فطري هو حب المعرفة فقد أنتجت الغريزة كل المعارف التي امتاز بها الإنسان على كل المخلوقات بما فيهم الملائكة والقرآن يعرض الكون أما الإنسان فيبين أن للإنسان علاقتين مع هذا الكون علاقة التسخير وعلاقة التأمل والتفكير. . والعلاقة الثانية وردت في هذه الآية.

ويطـرح الكـون كصفحـة يتعمق الإنسـان في دراستهـا وتأملها ليصل إلى اللب والخلاصة وما وراء السطور قال تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾.

وإن وجود المتشابهات في القرآن يعتبر منبه ومثير إلى التفكير. . وقد حارب القرآن القشريين والمقلدة وضعاف العقول والمعتمدين على الظن والمتعجلين في استخلاص النتائج وغير القادرين على ترك العادات وموروث الآباء والأجداد واعتبر هذه من موانع الفكر ودليلاً على خلل في شخصية الإنسان.

والفلسفـة عنـد مطهـري ترتفـع بالإنسان إلى الأفق السـامي الذي أراده الله له فهو أرفع من الحيوان الـذي يكتفي بالصـور المحسـوسـة وبغـرائـزه التي فطـر عليها ليدبر أمره فعلمه سطحي وظاهري، وجزئي فردي، ومحدود في المكان والزمان بينما العلم الإنساني عميق وكلي وفوق الزمان والمكان.

الإنسان من دون فلسفة كالحيوان بل أضل سبيلاً.

وكـذلـك الفلسفـة ترفع هموم الإنسـان وتعلقاته وآماله إلى المستوى اللائق به فهو ليس كالحيوان يهمه طعـامـه وشـرابـه ولا مهتم بغـير وكـره وفراخه أو مربطه وذريته بل الإنسان يفكر بعالم فوق عالم المادة ويفكر بمجتمعه وعلله وهمه يرتفع فوق إقليمه وزمانه. .

والعقيـدة والفلسفـة عنـد مطهـري تشيع في النفس أجواء المحبة والمودة والولاء لكل الموجودات لأنها تشترك مع الفيلسوف في أنها من خلق الله وملك لله خلقن لينسجم معها لا ليصارعها. .

والعقيدة والفلسفة عند مطهري هي مقدمة لكل ايديولوجية وتشريع وقانون، والحياة من غير قانون غابة مملوءة بالوحوش الكاسرة.

لأن الإيـديـولـوجية ثمرة الرؤية والتصور والمفهوم الكامل عن الكون والحياة أي التغير والتحليل عن الوجود وهذه الرؤية بدورها تعتمد على البحث في حقيقة المعرفة ومنهجها. .

واليوم يشعر الإنسان بأهمية المعتقد والمدرسة الفكرية في حياة الإنسان ولا يمكن الوصول إلى العقيدة الصحيحـة من غير تفكـير وفلسفـة وفي هذا العصـر تعـرف الإنسـان على ضرر الصراع العقائدي فكيف

تتوحد البشرية . . لا سبيل إلى ذلك من غير التفكير في أن يلتقي الفكر عند عقيدة واحدة . . ذلك . .

العقيـدة والفلسفـة عنـدما نجمع الناس عند عقيدة واحدة تؤلف القلوب وترفع الحياة الإنسانية عن نزوة البهيمية وطمـع التـاجر وتفاهة الفارغ ، والتاريخ يشهد على ذلك فالأديان كلها تخلق المحبة والمودة بين معتنقيها لأنهم يعتقدون بعقيدة واحدة . .

وعن طريق الفلسفـة والعقيـدة تتـوحـد البشـرية على صعيد واحد لتعرف الملاك الواقعي للتفاضل وتلغي الاختـلافـات وتعـرف المصير البشري وتدرس الحقائق الكبرى الإنسانية وعن طريق الفلسفة تنشد الإنسـان إلى واقعـه وحقيقتـه فهـل هو كتلة من اللحم والـدم والأعصـاب أو هو عقـل وروح احتوتها تلك الكتلة . . إن الفكر والفلسفة بتجردهما يثبتان أن الرأي الثاني هو الصحيح .

إن الفلسفـة والعقيـدة تبـين حقيقـة الحياة والوجود وتوضح للإنسان أن هذه الحياة لدينا معبر وقنطره توصل إلى الحياة الحقيقية وأن الموت ليس فناء وإنما هو انتقال وبذلك تشيع أجواء التفاؤل وتموت أجواء التشاؤم .

والهـدفيـة والمسؤوليـة هي أيضاً نتاج العقيدة السليمة والفلسفة الواقعية من خلال العقيدة والفلسفة الإلهية تكون للإنسان مقدسات وأمور محترمة . .

والعلوم لا تغني عن الفلسفـة لأن العلوم تتحـدث عن أحكـام الـوجود الجزئي كالفيزياء والطب بينما الفلسفة تتحدث عن أحكام الوجود العامة كالعلية والسببية والقصد والهدفية فهل الأشياء تصدر صدفة أو ضمن قانون أو من تلقاء نفسها أو من علل خارجة عنها وهل وراء هذا العالم عالم آخر . . وهل الوجود مادي صرف أو روحي خالص أو مزيجاً منهما والفلسفـة عند أهلها تنقسم إلى الوجود ونظرية المعرفة ومبحث قيمة المعرفة والقيم بشكل عام وهي الحق والخير والجمال وقد بحث المطهري عن الثلاثة في مختلف دراساته الفلسفية .

علم المنطق معيـار للتفكـير عنـد مطهـري وغـيره وعلم الأخلاق يضع المثل العليا علم الجمال يضع المستويات التي يقاس بها الشيء الجميل .

ومطهري درس عن فلسفة التاريخ ففسر مجراه ودرس قوانينه وتطوراته وناقش تصورات الماركسية وغيرها .

كما درس فلسفة السياسة والثورة في دراسته حول الثورة الإسلامية كما درس المجتمع وتركيبته وفلسفته وكـذلـك علم النفس بإشـارات كليـة إلى حقيقة النفس وارتباطها مع الجسم ودورها في المعرفة والإرادة كما درس الشعور واللاشعور وناقش فرويد في تصوراته عنهما .

**أمّا منهجه الفلسفي** : فقد اعتمد على تحديد هدف الفلسفة ومسائلها وهو:

١ ـ اثبات وجود الماهيات المشتركة كالمادة والصورة .

٢ ـ شرح وبيان الماهية المحققة الوجود.
٣ ـ بيان أحكام الموجود بما هو موجود كالعلية والمعلولية.

وكذلك حدد الشهيد المعيار في إدراج المسائل ضمن البحث الفلسفي دون المنطقي والعلمي فعرف المعقولات الثانية الفلسفية ـ وفصل بينها وبين معقولات كانت المشهورة.

ومن القضايا الهامة التي خاض فيها المطهري مسألة نظرية المعرفة وإمكان المعرفة ومعيار المعرفة ـ.

ويتسلسل في البحث بالشكل التالي هل المعرفة ممكنة وما هو أساسها وأقسامها وكيف تتحول المعرفة الحسية إلى عقلية ثم ذكر موانع المعرفة وكيفية معرفة الغيب غير المحسوس ومقياس الحقيقة والخطأ وذكر الفرق بين التصور والتصديق فالتصور لا بد من أن يعتمد على الحس أولاً بخلاف التصديق.

وذكر أن من مصادر المعرفة البرهنة العقلية الفلسفية.

العقل والقلب الإلهامات واعتبر مرحلة الفرض في الدليل التجريبي راجعه إلى الالهام. الوحي. وطريق الحس والاستقراء.

وقد قام بشرح جملة أمور وقع اللبس فيها:
١ ـ المعقولات الثانية المنطقية غير مقولات كانت فلا يمكنها تفسير الكاشفية في العلم بخلاف المعقولات الثانية المنطقية إذ يمكنها ذلك.

٢ ـ المذهب الاستقرائي يستبطن قياساً خفياً.

٣ ـ التجربة غير الاستقراء لأن التجربة محدودة.

٤ ـ العقل لا يقوم فقط بالصعود إلى الكليات من خلال دراسة الجزئيات والنزول من الكليات إلى الجزئيات بل يقوم أيضاً بعمل آخر هام هو النفوذ إلى الباطن والغيب وغير المحسوس من خلال ملاحظة الآثار مثل معرفة الجوهر والعلة والضرورة، وبهذه الطريقة ربط عالم المحسوسات (الشهاده) بعالم الواقع غير المحسوس (الغيب). إذن العقل يقوم بحركات ثلاثة صعود / نزول / نفوذ عمقي. الفلسفة في معناها الحقيقي تدرس الوجود بما هو موجود، وعليه فإن ما يقال أن العلوم انفصلت أخيراً عن الفلسفة كلام غير دقيق. . لأن موضوع بحث العلوم يختلف عن موضوع بحث الفلسفة ـ الفطرة عندنا غير ما يراد بها عند الأوروبيين وهم يقصدون منها المعرفة العقلية الفعلية.

عيوب المذهب التجريبي المحدودية /فقدان العصمة/ تزلزل الثقة. وعندما يتحدث عن الحقيقة وإمكان تحديد ضابطها يشير إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدر فاحتمل السيل زبداً رابياً كذلك يضرب الله الحق والباطل أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾، ويقول إن الحق والباطل في نظرة القرآن والواقع يتصفان بما يلي:
١ ـ الحق أصيل والباطل ذيلي.

٢ ـ الحق نافع والباطل ليس كذلك وسيزول لأنه لا أصالة له.
٣ ـ الباطل له ظاهر عريض جذاب.

ويستعرض نظريات الفلاسفة في تفسير الحق فذكر تعاريفهم للحق كما يلي:
الحق: ١ ـ المطابقة بين العين والذهن.
٢ ـ الانسجام مع الفكر العام أو الخاص.
٣ ـ البراجماتزم والنفع فكل ما ثبت نفعه فهو حقيقة دون ما لم تثبت منفعته.
٤ ـ الفسلجة ونسبية الحقيقة بمعنى أن ما يدركه الجهاز العضوي هو الحقيقة فتكون نسبيه.
٥ ـ العمل والتجربة فكل ما قامت عليه التجربة فهو حقيقة ويناقش هذه المقاييس ويقيمها ويثبت صحة المقياس الأول ويتوسع في مناقشة فلسفة العمل.

ويقول أن راسل يعترف للفلسفة الإسلامية بأنها قدمت العمل بخلاف الفلسفة اليونانية ويرد مطهري على فلسفة العمل بأن استحالة الدور وأزلية العالم أو أبديته لا يمكن الإحاطة بها تجريبياً وعملياً فهل نتوقف عن الحكم على هذه الأشياء.

## خلاصة لمنهجية المطهري في كتابه الفلسفة والمنطق

المناهج الفلسفية أربعة فإن الفلسفة بلحاظ المناهج على أربعة أقسام:
١ ـ الحكمة البرهانية وهي تعتمد على البرهان والقياس وباقي طرق الاستدلال.
٢ ـ الحكمة الذوقية وهي تعتمد على الذوق والالهام والإشراق لذا فهي أكثر ارتباطاً بالقلب والباطن.
٣ ـ الحكمة التجريبية وتعتمد على الحس والتجربة.
٤ ـ الحكمة الجدلية المعتمدة على الاستدلال بالمشهورات والمقبولات.

ويقول الشهيد أن الفلاسفة يعتقدون بأفضلية البرهان على باقي الطرق.. ولهذا خرجت الطريقة الكلامية على يد الفيلسوف نصير الدين الطوسي بشكل فلسفي (برهاني وإشراقي).

أمّا الفلسفة التجريبية فإن لها قيمة كبير ولكن فيها نقصين:
١ ـ دائرتها محدودة بالمحسوسات ولهذا فهي لا تشبع الغريزة البشرية في المعرفة.
٢ ـ المعرفة التجريبية مؤقتة قابلة للتغير والمسائل اليقينية تحتاج إلى تجريد فلسفي أو رياضي، لهذا كانت قيمة التجربة متزلزلة..

ثم يتعرض الشهيد إلى بحث عن موضوع الفلسفة ومسائلها فيقول هناك أنحاء من المسائل الفلسفية:

١ ـ ما يرتبط بالوجود ويقابل الماهية والعدم.

٢ ـ أقسام الوجود كالأنواع كالعيني والذهني.

الواجب والممكن، والحديث والقديم، الثابت والمتغير، القوة والفعل، الجوهر والعرض ونقصد هنا الأقسام الأولية لا الثانوية اللاحقة للأجسام مثل السواد والبياض، والكبير والصغير لأن هذه تلحق الجسم بعد تحقق جسميته (لما هو جسم) بينما الواحد والكثير يلحق الوجود بما هو وجود ولا يشترط كون الوجود جسماً والفلسفة تبحث في الأقسام الأولية وقد يقع خلاف حول مصاديق هذه الأقسام...

٣ ـ القوانين الكلية التي تحكم الوجود مثل العلية والسنخية والضرورة في العلية والتقدم والتأخر والمعية في مراتب الوجود.

٤ ـ مسائل ترتبط بإثبات طبقات الوجود وعوالمه فالوجود له مراتب ويقول الفلاسفة أن للعالم أربع نشئات الطبيعة، المثال العقل، اللاهوت.

٥ ـ مسائل تشرح علاقة الطبيعة بما فوقها من عوالم وبالعكس أي تشرح السير النزولي من اللاهوت إلى الطبيعة والسير الصعودي من الطبيعة إلى العوالم الفوقية خصوصاً صعود الإنسان في المعاد ثم يدخل في بحث مسائل الفلسفة.

## البحث الأول: الوجود والعدم:

وأهم مسائل هذا البحث (أصالة الوجود):

هناك كثير من الأشياء نعرف أنها موجودة ولكننا لا نعرف حقيقتها كالحياة والكهرباء، وكثير من الأشياء نعرفها ولكن لا ندري أنها موجودة أولاً كالدائرة، فإننا لا نعلم هل يمكن رسم دائرة بشكل دقيق.

ثم نحن نعلم أن الكثرة والاثنينية ليس لها وجودين [الماهية والوجود] فأحدهما أصيل والآخر اعتباري، والمسألة ليس لها تاريخ سحيق بل هي من ابداعات الفلسفة الإسلامية في أوائل القرن الحادي عشر على يد الميرداماد والوجودية الفلسفية المعروفة يلحظ الإنسان فقط فهو الذي يطرح ماهيته ويحققها بينما أصالة الوجود يعمم البحث لغير الإنسان وهناك فارق آخر بين الوجودية وبين أصالة الوجود هو معنى الأصالة فالوجودية تفسرها بالتقدم بينما الفلسفة الإسلامية تفسرها بالعينية والتحقق.

## البحث الثاني: الوجود العيني والذهني:

ويراد بالأول ما كان وجوده خارج الذهن والثاني يراد منه صور الأشياء لدى الذهن وكلا الوجودين حقيقيان ويسأل هنا عن كيفية تحول الوجود العيني إلى ذهني ولماذا لا يعتبر الرسم على الحائط وجوداً

للمرسوم ولنسم هذا بالوجود الجداري، والجواب على ذلك أن الفلاسفة أثبتوا أن الصور لها وجود ذهني وليست صوراً عادية وانعكاسات للخارج.

ويسألون ثانياً لماذا تبحث الفلسفة عن المسائل الذهنية مع أنها ترجع إلى علم النفس ومسائل الفلسفة كلية..

والجواب أن الذهن نشأة أخرى للوجود وسبب لتعدد الوجود ودراسة هذا الوجود الذهني دراسة كلية ثم قد تدرس المسألة الواحدة في علمين ويلحق ببحث الوجود العيني والذهني مسألة الحقيقة والخطأ ومسألة قيمة الوجود الذهني أي قيمة المعرفة وكل ما يطابق الواقع فهو حقيقة وما لا يطابقه خطأ وباطل ويقولون الحواس والعقل يخطئان وعلم المنطق يعصم العقل عن الخطأ وأكثر محسوساتنا واستدلالاتنا صحيحة وحق.

وأنكر السفسطائيون الفرق بين الحقيقة والخطأ وأنكروا وجود واقع ثابت للأشياء فكل ما تحسه فهو حقيقة وكل ما تفكر به وتنتهي إليه بالفكر فهو حقيقة ورد سقراط وأفلاطون وأرسطو على هؤلاء ثم ظهر مذهب الشك. والفلسفة الأوربية انتهت إلى السفسطة والشك فباركلي سفسطائي ينكر وجود المادة والواقع الخارجي ومن أراد الرد على السفسطائيين القدماء والمحدثين لم يسلك الطريق الصحيح ولكن الفلسفة الإسلامية حلت المشكلة بدراسة الوجود الذهني وإثبات تحقق وجود آخر بالادراك للماهيات الموجودة المدركة ثم برهنوا على هذه الدعوى وردوا على إشكالات الوجود الذهني ويظهر أن أول من طرح المسألة هو نصير الدين الطوسي.

## البحث الثالث:

الحادث والقديم ويفرق المطهري في هذا البحث بين تصورين للحادث والقديم، تصور الفلسفة وتصور اللغة والعرف، فاللغة تفسر الحادث بالجديد والفلسفة لا تفسره بذلك. وهدف الفلسفة البحث عن تشخيص الحادث والقديم وتفسيرها لهما بالشكل التالي، كل شيء كان معدوماً قبل وجوده فهو حادث وإن كان عمره مليارد سنة، والقديم هو شيء لم يكن معدوماً قبل وجوده بل لم يكن معدوماً في أي وقت. إذن الحدوث سبق العدم على الوجود، والقدم عدم سبق العدم على الوجود. أو قل الحدوث تأخر الوجود على القدم، والقدم عدم تأخر الوجود على العدم، بل لا عدم هنا. وهذا البحث يدور حول مسألة ماذا كان كل ما في الكون حادث أو كله قديم أو بعضه حادث وبعضه قديم فالصور والأشكال والظواهر حادثة والمادة والموضوعات وغير الظاهر من الأشياء قديم أو أن الأفراد والأجزاء حادثة والأنواع والكليات قديمة أو أن الأمور الطبيعية حادثة والمجردة قديمة.

أو أن الله الخالق وعلة العلل قديم وما عداه حادث ونتيجة هذه البحوث هي هل العالم حادث أو قديم.

**نظرية المتكلمين :**

لا قديم إلا الله .

**نظرية الفلاسفة :**

الحدوث صفة لازمة للطبيعة أما عالم ما فوق الطبيعة فهو قديم وفي عالم الطبيعة الأصول والأمور الكلية قديمة والفروع والجزيئات حادثة إذن جزئيات العالم وفروعه حادثة وكلياته وأصوله قديمة وكان سبب الشجار العنيف بين المتكلمين والفلاسفة هو ربط مسألة الحدوث والقدم بمسألة التوحيد والشرك عند المتكلمين وربط المسألة بمناط الاحتياج إلى العلة عند الفلاسفة .

والفلاسفة يقولون : إن نسبة العالم إلى الله سبحانه مثل نسبة شعاع الشمس إلى الشمس مع فارق أن شعاع الشمس غير إرادي للشمس بخلاف خلق الله فإن الله سبحانه مريد في خلقه وتدبيره للعالم، ويستشهدون بالآية الكريمة ﴿الله نور السماوات والأرض﴾، ولم يقدم الفلاسفة أي دليل على قدم العالم وإنما توصلوا إلى نظريتهم من قولهم : أن الله فياض مطلق وقديم الإحسان فلا يعقل انقطاع فيضة أو محدوديته بزمان، وبعبارة ثانية إن الفلاسفة انتقلوا من معرفة صفات الله إلى معرفة قدم العالم ويردون على منكري وجود الله المعتقدين بقدم العالم بأن إيمانكم بقدم العالم لازم لوجود الله ولا دليل لكم بل هو فرض، بينما قدم العالم عندنا أمر مبرهن .

## البحث الرابع :

الوجود المتغير والثابت وهذا المبحث يقترب أفقاً من مبحث الحادث والقديم والإنسان يحس التغير في نفسه وفيما يحيط به فهل التغير خاص بالصور والأشكال والأعراض أو أن التغير أعمق من ذلك فيشمل كل الكون بظاهره وباطنه بعرضه وجوهره، ثم هل التغير دفعي أو تدريجي وزماني، والمسألة مطروحة منذ القدم ويعتبر الفيلسوف اليوناني ذيمقراطيس بطل نظرية الذرة يقول بالتغير السطحي لأن أساس وجود الطبيعة هو الذرات الثابتة أزلاً وأبداً . . وهذه النظرية ميكانيكية . .

أما الفيلسوف اليوناني الآخر هرقليطوس فيقول لا يظل الشيء على حال واحدة في لحظتين (فأنت لا ترى النهر نفسه مرتين) لأنك لست أنت في اللحظة الثانية وكذلك النهر وهذه النظرية ديناميكية تؤمن بالحركة في كل شيء .

والفيلسوف أرسطو يرى أن كل أجزاء الطبيعة في حركة لكن البحث عنده يدور حول تدريجية التغيرات ودفعيتها وما يكون تدريجياً فهو الحركة وما يكون دفعياً فهو مرتبط ببحث الكون والفساد فما يوجد دفعياً (كون) وما ينتهي دفعياً فهو فساد، والأرسطيون يعتقدون أن الجوهر هو الأساس في وجود الطبيعة والجوهر يتغير دفعياً إذن العالم يتغير نسبياً وهو أيضاً ثابت نسبياً والثبات أكثر من التغير، ولكن لماذا يؤمن

هؤلاء بالثبات والتغير في نفس الوقت؟ ويجيب هؤلاء بأن التغير الدفعي يعني أن الشيء في زمان ما (مقطع زماني) يتغير ثم يظل ثابتاً في سائر الأزمنة والأرسطيون يصنفون العالم تصنيفاً خاصاً فهم يؤمنون بالمقولات العشرة (الأجناس العشرة) الجوهر والكم والكيف والأين والوضع والزمان والإضافة والجدة والفعل والانفعال، والحركة تحدث في الكم والكيف والأين أي في الكمية والكيفية والزمان فقط والتغييرات الحادثة في سائر المقولات غير الثلاثة دفعية.

ثم إن الحركة في المقولات الثلاثة متقدمة ليست دائمة بل تقع أحياناً وأحياناً كثيرة لا تقع فالثبات يغلب الحركة ويزيد عليها.

ويزيد ابن سينا مقولة تقع فيها الحركة هي الوضع وسماها الحركة الوضعية مثل حركة الأرض حول محورها وليست حركة انتقالية وما كشفه ابن سينا ليس حركة جديدة بل شرح لماهية الحركة الأرضية وما شابهها ومن التحولات الأساسية في الفلسفة الإسلامية وعلى يد صدر الدين الشيرازي إثبات الحركة الجوهرية حتى مع الإيمان بمبادىء أرسطو الفلسفية عن المادة والصورة.

فالمقولات العشرة جميعاً تتحرك بشكل دائم ومستمر فالطبيعة تساوي الحركة والحركة تساوي الحدوث والفناء المستمر غير المنقطع . .

## بناء نظرية صدر المتألهين:

تتغير صورة أرسطو عن العالم بشكل كامل فالطبيعة والمادة تساوي الحركة والزمان هو مقدار وكمية الحركة والثبات يساوي عالم ما فوق الطبيعة . . وهنا قانونان يحكمان الوجود التغير المطلق ويقع في عالم الطبيعة كله وهو تغير مطلق شامل والثبات المطلق يقع في ما وراء الطبيعة نعم هناك شيء ثابت في الطبيعة هو ثبات نظام الطبيعة وليس ثبات الوجود. . فما يحكم العالم نظام لا يتغير ومحتوى هذا النظام ونتيجته الحركة والتغير وهذا العالم ناتج في وجوده وفي نظامه من عالم ما وراء الطبيعة ومع قطع الصلة بين عالم الطبيعة وعالم ما وراء الطبيعة فسوف تحل التغيرات العشوائية في عالمنا ولن يكون له ماضٍ أو مستقبل.

والفلاسفة قبل صدر الدين الشيرازي يدخلون بحث الثابت والمتغير في الطبيعيات لأن الثبات والتغير يلحق الجسم بما هو جسم فالسكون والحركة من صفات الأجسام ولكن بعد كشف أصالة الوجود والحركة الجوهرية على يد صدر المتألهين اتضح أن طبيعة العالم بما هي (لا لأنها طبيعة) متحركة أي أن العالم لأنه عالم (لا لأنه جسم) متحرك. وطبيعة العالم عين الحركة، والسكون لا معنى له قياساً إلى الحركة الذاتية للجوهر. بل يكون له معنى في الأعراض أي في الحركة العرضية. فحركة الجوهر عين الجوهر. . نعم هناك جواهر ثابتة ذاتاً وهي ما فوق الزمان والمكان والمجرّدة عن القوة والاستعداد والابعاد الجسمية فالحركة والسكون في الأعراض أي الحركات العرضية يصح بحثها في الطبيعيات دون الحركة والتغير الجوهري فيلزم بحثها في الفلسفة الأولى والمباحث العامة كما فعل صدر المتألهين.

ومن النتائج الهامة لكشف الحركة الجوهرية تقسيم الوجود بما هو وجود إلى سيال وثابت واعتبارهما نحوين من الوجود فالصيرورة مرتبة من الوجود وإن كانت تركيباً بين الوجود والعدم ولكن هذا المزج ليس حقيقياً بل هو مجازي وفي أوربا أخذت الحركة موقعها من طرق أخرى فالفلاسفة هناك يعتقد بعضهم أن الحركة أساس في الطبيعة، أي أن الطبيعة تساوي التحقق ولكن هذا التحقق والصيرورة تركيب بين النقيضين وبهذا نقضوا أصل الهوية المسلّم به عند القدماء. . ويعتقد هيجل ومن لحق به من معاصري الفلاسفة أن أصل الهوية وأصل عدم التناقض ناشيء من الاعتقاد بالثبات ومع إثبات الصيرورة فلا مجال للاعتقاد بالأصلين المتقدمين وكل هذا الكلام غير صحيح إذا درسنا نظرية صدر المتألهين في أصالة الوجود والحركة الجوهرية.

فهو يرد على ثبات الطبيعة بحركتها الجوهرية ولكنه يجمع بين الاعتقاد بالصيرورة والسيلان وبين الإيمان بالهوية وعدم التناقض لأنه يؤمن بأن الوجود في ذاته ينقسم إلى سيال وثابت والوجود الثابت مرتبة من الوجود وليس تركيباً من الوجود والعدم وكذلك الوجود السيال وجود آخر ومرتبة ثانية وليس تركيباً أيضاً فكما أن نفي شيء عن نفسه غير صحيح وليس التركيب بين الوجود والعدم جمعاً بين النقيضين كما أنه ليس سلباً للشيء عن نفسه.

إذن خطأ المعاصرين من الفلاسفة نشأ من:

١ ـ عدم معرفة انقسام الوجود إلى الثابت و السيال.

٢ ـ قصور فهمهم لأصل التناقض والتضاد.

## البحث الخامس:

العلة والمعلول وهي أقدم مسائل الفلسفة وأكثرها رواجاً والعلية نوع من العلاقة والارتباط بين شيئين أحدهما يسمى علة والآخر معلولاً وهي أعمق الروابط لأن العلة تمنح الوجود كل الوجود للمعلول ومع عدم العلة فلا وجود للمعلول، إذن أشد الحاجات حاجة المعلول إلى العلة لأن حاجة إلى أصل الوجود فالعلة بناء على هذا هي (ذلك الشيء الذي يحتاجه المعلول ليحقق كيانه ووجوده).

**من مسائل هذا البحث**: إثبات أن كل ظاهره معلولة وكل معلول يحتاج إلى علة إذن كل ظاهرة تحتاج إلى علة وكل شيء ليس الوجود ذاتياً له فهو محتاج إلى العلة ويقابل هذا ما يقال من أن الظاهرة لا تحتاج إلى علة أي تحدث صدفة واتفاقاً والفلسفة تؤمن بالعلية وترفض الصدفة، ويتفق الفلاسفة والمتكلمون على رفض الصدفة وقبول العلية ولكن علماء الكلام يسمون الظاهرة حادثاً والفلاسفة يسمونها ممكناً.

**ومن مسائل هذا البحث**: السنخية بين العلة والمعلول أي أن المعلول له علة خاصة به وكذلك العلة

لها معلولها الخاص فلا يحدث كل شيء من أي شيء ولا يكون الشيء علة لأي شيء، وأصل السنخية هذا هم أهم الأصول التي تنظم فكرنا وتحول العالم في تصورنا إلى مجموعة من الأشياء المترابطة غير العشوائية.

**ومن مسائل هذا البحث:** تقسيم العلة إلى أربعة أقسام في فلسفة أرسطو العلة الفاعلية والغائية والمادية والصورية وهذه العلل واضحة في مصنوعات البشر.

ومن مسائل هذا البحث التفريق بين العلة في اصطلاح علماء الطبيعة عن العلة في اصطلاح الفلاسفة.. العلة عند الفلاسفة هي المانحة للوجود ولهذا ظهر عندهم مصطلح [المعد أو المقدمة الإعدادية] وهو يطلق على غير المانح للوجود من المقدمات.. بينما العلماء يعتبرون العلة ما أوجد حركة في الآخر فالبنّاء علة البناء عند علماء الطبيعة فبينما المواد الإنشائية هل العلة للبناء عند الفلاسفة وكذلك الأبوين علة عند علماء الطبيعة ومعدان عند الفلاسفة.

**ومن مسائل هذا البحث:** أن سلسلة العلل أي علل الوجود لا الحركة متناهية وأقام الفلاسفة براهين عديدة على استحالة التسلسل غير المتناهي في العلل ولهم تعبير محقق عن هذا هو تسلسل العلل محال بل هناك عبارة أخصر هي التسلسل محال.

## البحث السادس:

**الوجوب والامكان والامتناع:** وهي من المسائل الفلسفية الهامة وتسمى بالمواد الثلاث وهي حاكمة على كل الأشياء حين نقارن محمولها بموضوعها والوجوب هو ضرورة ثبوت المحمول للموضوع والامتناع ضرورة نفي المحمول عن الموضوع والامكان سلب ضرورتي الوجود والعدم.

هذا هو رأي المناطقة أما الفلاسفة فيقولون كل مفهوم إذا نسبنا الوجود إليه لا يخرج عن أحد الصور الثلاثة فواجب الوجود ما كان وجوده ضرورياً والبحث عن الله سبحانه في الفلسفة يدخل تحت بحث واجب الوجود وتثبت البراهين الفلسفية وجود [ذات] ولا يتطرق إليها العدم بل يستحيل ذلك والامتناع عند الفلاسفة يتحقق عندما يستحيل إثبات الوجود لموضوعه ويسمى ممتنع الوجود كوجود جسم كروي ومكعب في نفس الوقت أما إذا كان الوجود غير ضروري ولا ممتنع فهو ما يتحقق في ممكن الوجود كالشجرة والإنسان والحيوان.

وترتبط بمسألة الإمكان والوجوب مسألة تحول ممكن الوجود ذاتاً إلى واجب الوجود مقياساً ومنسوباً إلى علته ويسمى بواجب الوجود بالغير وهو يتحقق عند وجود كل شرائط وأجزاء العلة ومع فقدان واحد منها لا يتحقق الممكن والمعلول ويسمى عندئذ ممتنع الوجود بالغير ولهذا قال الفلاسفة الشيء ما لم يجب لم يوجد وعلى هذا فالنظام الحاكم على الوجود نظام قطعي وضروري أي أن كل وجود وما سيوجد يدخل ضمن النظام القطعي والضروري (العلية).

وقلنا أن أصل السنخية تبين العلة والمعلول ينظم أفكارنا ويربط الفروع بالأصول وبين المعلولات والعلل في أذهاننا.

ونقول الآن أن ممكن الوجود يحتاج إلى علته ويكتسب منها الضرورة ويكون واجباً بالغير ـ وهذا الأمر يرتبط بمسألتين: ١ ـ العلية ٢ ـ الضرورة والإمكان.

وتعبر الفلسفة عن النظام القطعي الحاكم على الوجود بأصل الضرورة بين العلة والمعلول وهذا يمنح الذهن تصوراً منظماً عن العالم ومع قبولنا بوجود الغاية والهدف والحكمة في حركة ووجود الطبيعة وأن غايات الطبيعة تنتهي إلى غاية أصلية هي غاية الغايات عند هذا يظهر العالم والوجود بصورة مشرقة جميلة.

وهناك مسائل لم يبحثها الشهيد وإنما سماها وهي الوحدة والكثرة، القوة والفعل، الجوهر والعرض، المجرد والمادي، وغيرها وتمنى أن تحصل له الفرصة ليبحثها ولكنه على ما يظهر لم يحصل على تلك الفرصة. ويمكن الرجوع في تفصيل هذه المباحث جميعاً إلى دراسات المطهري الفلسفية في شروح المنظومة وتعليقته على أصول الفلسفة.

## إبداعات المطهري في العقيدة:

### الترتيب في عرض المسائل العقائدية

طرح وعرض مميزات المذاهب العقائدية الإسلامية والمقارنة بينها استخدام المنهج (المتفق عليه) في المسائل العقائدية غالباً مناقشة عميقة للقشريين الذين يمنعون التفكير في العقيدة التعمق في فهم نصوص وأحاديث النبي والأئمة في المسائل الكلامية. ربط العقيدة بالتصور الكامل عن الحياة أي بنظرية المعرفة عرض فروع ومسائل مترتبة على العقيدة ذات أهمية بالغة، وتشخيص موضوع البحث العقائدي بشكل دقيق مثال ذلك عندما نبحث عن وجود الله لا نقصد بالله ظاهره، ولا علة من العلل. التركيز على بيان أسباب التعلق بالمادية (الدوافع نحو المادية)، وربط بين المادية العقائدية والمادية الأخلاقية.

راجع دوافع نحو المادية.

عدم تدخله في غير مجالات اختصاصه أو عند عدم دراسته للمسألة دراسة مفصلة والتخصص فيها، كتب أوسع كتاب عن العدل الإلهي وعالج فيه مسألة الشبهات حول عدل الله كما قسم العدل إلى أقسامه وربط العدل الاجتماعي بالعدل الإلهي، وربط مسألة الحرية والاختيار بمسألة الإيمان بالعدل الإلهي.

إبداع مطهري في بحث المعجزة حيث ذكر أنها الدليل والآية وكونها دالة على كمال شخصية صاحبها وارتباطه بعالم الغيب والعلل الواقعية... وأثبت أن كل العصور يحتاج فيها المدعى للمنصب الإلهي إلى المعجزة.. والفرق بين المعاجز المقترحة وغيرها لأن المعاجز المقترحة ليست للإيمان.

أبدع في الرد على هيوم في أشكاله المعروف على برهان النظم وكذلك على أوغست كانط وراسل وهيجل.

## إبداعات المطهري في الفلسفة :

عرض نظرية المعرفة بشكل ممتاز وتحديد مصادر المعرفة .

نقد النظريات غير العقلية وتحديد المقياس في تحديد الحق والباطل .

تقييم المذهب التجريبي ونقده وبيان علاقة الفلسفة بالمنطق .

استخدام المقارنة بين النظريات المختلفة الحديثة والقديمة في المعرفة .

بيان علاقة الفلسفة بالعرفان والعقيدة .

استخدام المنهجية في عرض الموضوعات الفلسفية .

استخدام طريقتين للعرض الفلسفي ميسورة وعميقة .

استخدام طرق عديدة للتوضيح والشرح .

التعرض إلى مسائل عقلية وفلسفية وطبيعية مغفول عنها أو غير مفصلة في الفلسفة . . كمسألة التضاد .

عرض بعض آراء صدر الدين الشيرازي وتفريع جملة مسائل هامة عليها كأصالة الوجود وتجرد النفس والإدراك .

أثبت أن الفلسفة الحديثة لا تستطيع تفسير المعرفة والإدراك من غير أن ترجع إلى المعقولات الثانية الفلسفية وفصل ذلك ضمن رده على هيجل وهيوم وكانت والماديين . .

## مصادره الثقافية :

١ ـ القرآن الكريم وتفسيره ، وهو يرجع في تفسير القرآن إلى القرآن .
٢ ـ الكتب اللغوية والأدبية / عربية وفارسية .
٣ ـ نهج البلاغة وشروحه .
٤ ـ كتب التاريخ والسيرة .
٥ ـ كتب الحديث والروايات .
٦ ـ كتب الفلسفة القديمة والحديثة والعرفان .
٧ ـ كتب علم النفس والاجتماع والتربية .
٨ ـ القصص والروايات مثل (اميل) لجان جاك روسو .
٩ ـ كتب عن العلوم الحديثة .
١٠ ـ كتب أصول الفقه .
١١ ـ كتب علم الكلام .

١٢ ـ كتب المادية والديالكتيك.
١٣ ـ كتب سياسية واقتصادية مختلفة.
١٤ ـ كتب المناهج المختلفة.

## الشخصيات التي ذكر المطهري اهتمامه بها سلباً أو إيجاباً:

ابن سينا، أرسطو، أفلاطون، انجلز، برتراند راسل، بيرون، البروجردي، تقي اراني، ديكارت، ديمقراطيس، دارون روسو، جيمس، الخميني، سارتر، السبزواري، صدر المتألهين، سقراط، ستالين، فويرباخ، فرويد، فيخته، هيجل، الطباطبائي، نيتشه، ماركس.

## مؤلفاته الفلسفية والعقائدية:

**أ ـ المؤلفات الفلسفية:**

١ ـ مقدمة وتعليق على كتاب أصول الفلسفة في خمسة أجزاء.
٢ ـ المعرفة غير مترجم.
٣ ـ الشرح المفصل لمنظومة السبزواري غير مترجم صدر منه أربعة أجزاء.
٤ ـ الشرح الميسور لمنظومة السبزواري مترجم وهوجزءان.
٥ ـ فلسفة التاريخ غير مترجم.
٦ ـ ماركس والماركسية غير مترجم.
٧ ـ نقد الماركسية غير مترجم.
٨ ـ أصل التضاد في الفلسفة الإسلامية غير مترجم.
٩ ـ الزمان غير مترجم.
١٠ ـ فلسفة الأخلاق غير مترجم.
١١ ـ المقالات الفلسفية صدر منه ثلاثة أجزاء غير مترجم.
١٢ ـ تاريخ الفلسفة في الإسلام غير مترجم.
١٣ ـ التاريخ والفلسفة غير مترجم.
١٤ ـ منابع البحث في فلسفة صدر المتألهين غير مترجم.
١٥ ـ المسائل العامة في الفلسفة والمنطق.

**ب ـ المؤلفات العقائدية:**

١ ـ العدل الإلهي.
٢ ـ مقدمة وتعليق على الجزء الخامس من أصول الفلسفة.

ـ مقدمة على الرؤية الكونية في الكتب التالية:
٣ ـ الإنسان والإيمان.
٤ ـ المفهوم الكوني.
٥ ـ الوحي والنبوة.
٦ ـ الإنسان في القرآن.
٧ ـ المجتمع والتاريخ.
٨ ـ الحياة الخالدة أو الحياة الأخرى.
٩ ـ الإمامة والقيادة.
١٠ ـ الكلام والعرفان.
١١ ـ الولاء والولاية.
١٢ ـ النبي الأمي.

# العبادة التحررية في الأفكار المطهرية

د. أسعد علي

**العبادة التحررية: لاتحتاج كلاماً كثيراً.. لأنها تقوم باتصال يتجاوز ظاهرات الوسائل بلطائف النوايا المتجهة إلى مثل وجهة إبراهيم ﴿للذي فطر السماوات والأرض﴾... لكن أبا الأنبياء عليه السلام: عَبرَ إلى الوصول بمراحل الرؤية الواقعية؛ فتحدث عن الكوكب، وعن القمر، وعن الشمس.. وعن تجربته الواقعية المقتنعة بالفاطر المتعالي على الآفلات الساطعات... والإسلام والمسلمون على هذه الملة التي تجرِّبُ الوقائع وتتجاوزها إلى فاطرها البديع. لذلك قلت لحضراتكم من البداية: تتدرج من الواقع نحو المثال، وبصورة نشترك بملاحظتها، حياة وقراءة..**

بشيء من التأمل؛ تظهر الدعوة إلى دراسة أفكار المطهري دعوة إلى دراسة الوجود.. ومن يعرف كل أسرار الوجود؟..

إن الوجود في اصطلاحنا ـ نحن الذين قرأنا رسالة الإمام الخميني للرئيس غورباتشوف ـ يعني أكثر مما فهمه الوجوديون من لفظة الوجود، ومن عبارة الرسالة الخمينية:

«لقد عرف الماديون مقياس المعرفة في نظرتهم إلى الكون؛ وهم: يطردون كلّ ماهو غير محسوس من محيط العلم؛ ويرون: أن الوجود هو قرين المادة؛ ويرون: أن لا وجود لكل ما ليس بمادي... وهم: يرون عالم الغيب، ووجود الله، والوحي، والنبوة، والقيامة.. من الأساطير؛.. في حين أن النظرة الإلهية للكون....»

فما هي أفكار المطهري.. وهل للمطهري أفكار خاصة به؟..

## المطهري بين مستويات الأفكار

السؤال فن الإثارة للإنارة. .

لذلك أسألكم الصبر حتى نبلغ الحق المراد وراء الافتنان بطرح المسألة. . أعني هل للمطهري أفكار فردية خاصة سوى افتتانه الأسلوبي بطرح مسائل الإسلام الواحد؟

إن المطهري ـ سلام الله على المطهري ـ ليس له شهرة حافظ الشيرازي، أوعالمية سعدي الشيرازي؛ فهوليس من مشاهير المفكرين في الإسلام كهذين. . . . وليس له تأثير جلال الدين الرومي في أفكار أبناء اللغات الأخرى؛ لأنه ليس من كبار المؤثرين في الإسلام الكلي. . فهل تظنون أن معرفتنا الخاصة والشخصية بأفكار المطهري: تُقنع الآخرين بالسهولة التي يقتنعون بها عندما نذكر (حافظاً، أو سعدي، أوجلال الدين) في مثل روسيا، أو أوربا، أو الأمريكيين. . ؟

لا بد أن الوضع: يتطلب جهداً ووقتاً؛ لنفهِّم الناس: من هو المطهري. . وليس الأمر كذلك: لو ذكرنا في تلك البلدان أمثال حافظ وسعدي وجلال؛ فعن جلال وحده: كتب «كبير هلمنسكي» باللغة الانكليزية عدداً من الكتب، منها: (حُطام القلب)؛ بتسمية لمختارات شعرية من جلال الدين؛ وآخرها (فجر الرومي)؛ وهو، كما يقول مترجماه إلى الانكليزية (Camille and Kabir Helminski)

«يوميات في القيادة الروحية؛ فيه، أي في كتاب الفجر: (٣٦٥) خمسة وستون وثلاثمائة. نصاً مختاراً من المثنوي. . يجد القارىء الانكليزي الحديث فيها: ترجمة موجزة وشاملة لتعاليم جلال الدين الروحية، بأسلوب يمس القلب والعقل. . ويؤثر بذوي المعتقدات المختلفة في العالم الغزلي. . وقد عرف الغرب جلال الدين كواحد من أعظم الأعلام في الأدب والعلوم الروحية (العرفان). . كما كان قد نال شهرة واسعة منذ سبعة قرون خلت في بلدان الشرق الأوسط وغرب آسيا. . ويعتبر المثنوي ـ الذي أخذت منه هذه الاختيارات ـ أروع ما قدمته الإنسانية في العلوم الروحية، حيث يضم مختلف مراحل الحياة على الأرض ومختلف أنواع النشاطات الإنسانية كالأديان والحضارات والسياسة والغرائز والحياة الأسرية وكافة أوجه الشخصية الإنسانية من أدنى مستويات الحياة الدنيوية إلى أسمى مراتب الحياة الروحية. . يقدم هذا الكتاب، أيضاً، البعد العمودي للحياة، منطلقاً من واقع العالم الدنيوي برغباته وماديته إلى أعلى مستويات التماس مع الحقيقة الخافية وراء ظواهر الأشياء. . ويتكلم الرومي عن دين الحب بلغة القلب». . (الترجمة مأخوذة من: سهى العابد). .

وأنا أومأت من البداية إلى لغة القلب هذه؛ لتترجم لأهل القلوب: ما قد تُقصِّر بنقله الألسنة. . أو تقصر عن فهمه الأسماع. .

دراسة أفكار المطهري: من المهم. . ومن الأهم: وضعها في إطارها الكلي، دون إفراط ولا تفريط؛ لذلك نصح الإمام الخميني (قدس سره) الشباب بقراءة المطهري ودراسة أفكاره. . ولم يذكره لغورباتشوف

في رسالته الموجهة إلى إعادة النظر بالتفكير المادي والإلهي . . **إنما ذكر للرئيس السوفييتي ما يناسب مقتضى الحال العالمي المشهور والمؤثر معاً**؛ وعبارة الرسالة مشهورة، **وقد نقلتها إلى (روضات الآراء والقيم النقدية - أو روضات معرفة الله)؛ ليستفيد العالم الغزلي من توجيهات القيادة الروحية إلى تراث الإسلام في تجلياته** عبر مشاهير شخصياته. وإلى منهج الإسلام في التعامل مع المخلصين فيه ومع غيرهم من أبناء العالم؛ لتكون الفائدة شاملة والرحمة عامة . .

## شأن المطهري في إعتزازي

هذا الذي **أقوله**: لايقلل من شأن المطهري . . **بل يعظم من شأنه؛ لأننا بكلمة واحدة منه: تجاوزنا معه مستويات معرفة شهيرة**، كالمستوى الديكارتي الشهير . . مع أن المطهري: واحد من المسلمين المفكرين، وليس ممن رسخت شهرتهم العالمية (كمحيي الدين بن عربي، أو جلال الدين الرومي، أو غيرهما) . .

وأعتذر إليكم عن هذا الإيضاح الذي يجعل المطهري متحداً بأفكار أمته الخيِّرة وليس منفصلاً عن تلك الأفكار، ولأمدعيا التفرد عنها بأفكار خاصة . . ولو شئتم لرأيتم في عناوين بعض كتبه هذا التشديد الملتزم على ما نذكِّرُ به من اتحاد المطهري بأفكار خير أمة؛ لأن «أمة الخير» هذه ترى: **(العالم بأجمعه: ينطلق من مبدأ واحد؛ ويتجه نحو مقصد واحد؛ فهو: يتميز حتماً بنوع من الوحدة والاتحاد)** . . وهذه الرؤية الإسلامية قُدِّمت بعبارة المطهري نفسه، في كتابه الدالّ على ذلك من عنوانه: (المفهوم التوحيدي للعالم)؛ وقد عرَّب الكتاب (محمد علي آذرشب)؛ (ص/٧٣).

ليس للمطهري **أفكار خاصة به؛ إنه يفكر وفق (النبي الأمي)**، الذي جعله عنواناً لواحد من أعماله؛ وقد نقله إلى العربية (محمد علي التسخيري) . . **إنه يفكر وفق (نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ)**؛ وقد اتخذ من هذه الكلمات عنوان أحد أعماله؛ عرَّبه (محمد علي آذرشب) . .

## أسلوب الوثائق ومنهج الثقة

نعم . . إن للمطهري **أسلوباً أخاذاً في الحوار وعرض هذه الأفكار، انطلاقاً من الواقع والوثيقة حتى بلوغ المثل الأعلى والثقة** التي تفتح كل مُغلَق عندما تؤخذ بمنهج جوادي مصفى؛ فالإمام الجواد(ع): يُلَخص منهجية (النبي الأميّ) و(الإمام المنتظر) ومن بينهما بكلمات ملكات، تقول: **(الثقة بالله تعالى: سُلَّم إلى كل عالٍ، وثَمنٌ لكلِّ غالٍ)** . . إن الفلسفة المتعالية: تتعالى على هذا السلم؛ وإن التعارف المتدلي والمتداني يدنو ويتدلى وفق ما يُقدَّم من أثمانٍ يؤديها (المزمِّل) حيناً . . ويؤديها (المدثِّر) حيناً آخر .

## إعجاز البلاغة وحال الاستغراق

لقد وقف المطهري مع حكمة حكيم الإسلام وأمير الكلام، واستلهمها مراتب العبادة (نهج البلاغة، حكمة ٢٣٧). . وفجر منها الدرس الخامس في كتابه (الهدف السامي للحياة الإنسانية). . وليس سوى الفاعل الذي يدخل الجنة ويستغرق الداخلين في الهدى، فيحررهم من دوافع التجار والعبيد. . ويطلقهم على صراط الحميد ومعهم فطرة الحمد الشاكرة. .

إننا هنا نكرر ملايين التسابيح ونحن صامتون. . وإننا نجدد ما لا يحصى من الألسنة (لعلم الأسنية ولهجة الصدق) ونحن ثابتون كشجرة إبراهيم، ككلمة طيبة. .

هذه حال «من عبدوا الله شكراً». . «وهدوا إلى الطيِّب القول، وهدوا إلى صراط الحميد». .

إنها حال من التفكر المستغرق، يتعالى فيه الفاعل. . ويتألق فيه المفعول بالجاذبية فيصير نائب الفاعل في مثل (هُدوا): قولاً وسلوكاً. .

وبعبارة (يونس إمري Yunus Emre ): تصبح القطرة بحراً؛ وقد ترجم من التركية إلى الإنجليزية مثلما ترجم الرومي من الفارسية. . وعنوان الترجمة التي وضعها كبير هلمنسكي وصاحبه (The Drop That Became The Sea ). .

## خير ساعة التفكر

نعود من هذا السبح الطويل وقد أعطانا فكرة عملية عن (ساعة التفكر التي توصف بالخير الذي يسمو على مراتب العبادة). . أليس في ذواكرنا القول المطيَّب: [ساعة تفكر خير من عبادة سبعين سنة أو سبعين عاماً]؟! ولكن لماذا نعود من ذلك الخير المطلق إلى الخير النسبي؟ أليس لأننا نريد لذلك النسبي: شرف الانتساب إلى المطلق الوهاب؟. . أليس لأننا قادرون معنى [لئن يهدينَّ الله بك إنساناً واحداً خير لك مما تطلع عليه الشمس]. . كما في إحدى الروايات؟

## القلب لتحرُّر النطفة بالفطنة

العبادة التحررية التي نشير إليها في الأفكار المطهري: سعيٌ بهذا الخير؛ وقد بنيتُ هذا العنوان على كتابيه الصغرين الجميلين؛ هما: (**الدوافع نحو المادية. . والهدف السامي للحياة الإنسانية**). .

في هذين الكتابين ما يكفي لمن يحبُّون الوثائق. . ففيهما خلاصة لأفكاره. . ويكفي الجامعين والمجتمعين مسألة الصراع بين الماديين والمثاليين. . بين المادة والمثل الأعلى. . بين الواقع المادي والسامي المثالي. .

أفكر أن خلاصة نضال هذا المفكر بين الماديين: تظهر بكلمة واحدة؛ يتدافعونها فيما بينهم مثل كرة. .

الماديون يعترفون بالنطفة التي خلق منها الإنسان. . والمطهري يعترف بذلك ويعرف ما يوصل إليه منهج القرآن المُعجز. . لقد تحدى صاحب القرآن بمنهج كتابه الإنس والجن. . ﴿ولن يجيئوا بمثله. . ﴾.

من جهتنا نرى القلب من منهج القرآن، أي نتبصَّر باللبِّ والغاية التي يدعو لها القرآن بأساليب شتى. .

نجرِّب معكم أسلوب القلب في كلمة (نطفة). . ألا يصير مقلوبها (تفطن). .

إن الانتقال التطوري الذي يطرأ على النطفة في مسيرتها، حتى تصبح (تفطناً، أو: فطنةً) هومنهج المطهري. . وهوملتقى الخلاف بين نظرته القرآنية المتكاملة وبين نظرة الماديين المجتزأة. . الماديون يقفون عند النطفة المادية الحية. . والمطهري يريد لهذه النطفة أن تُمنح وفق المنهج الإعجازي، الذي هومنهج الرجوع إلى الأصل. . تصبح (النطفة: فطنة)، أووعياً. .

يحدثون عن أبي البشر: كيف كان صلصالاً لا يفقه شيئاً. . فعندما نفخت فيه الروح: فطن إلى ذاته، وهدي إلى الطيب من القول، وهو﴿الحمد لله رب العالمين﴾. . وعبارة الحمد الشاكرة: مفتاح يفتح أبواب الشهادة بالوعي، أي بالفطنة. . . لذلك يريد المطهري من الماديين أن يفسحوا مجالاً للنطفة لتعبر بالتطور المتسامي عن أصلها الواعي. .

نقل الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين)، كلمات من الإمام الخامس، محمد بن علي بن الحسين بن علي، عليهم السلام. . فقال: «وقد جمع محمد بن علي بن الحسين ـ الباقر ـ شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين، فقال: (صلاح شأن جميع التعايش والتعاشر: ملء مكيال، ثلثاه: فطنة؛ وثلثه: تغافل). . فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير، ولاحظاً في الصلاح؛ لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد فطن له وعرفه. ).

(البيان والتبيين ج ١/ ٨٤)

فإذاً: منهج الحياة الفطنة. . والفطنة: منهج المطهري، ومنهج كل المسلمين العاملين بالقرآن متى وجدوا، وأين وجدوا. . كلهم يعرفون كيف خُلقَ الإنسان من تراب؛ لكنه معبّأ بالنفخة الإلهية، مقدّس بالذات العلية. . ومن لا يرى ذلك القلب واللب: فقد شرف بالقشر وعند القالب انقلب حسيراً. . أعاذنا الله من الجهل والكسل. . . حتى لا أجيء وأذهب بلا شيء. . أقول لكم هاتفاً قريباً لاختبار العبادة التحررية. .

في إيران يمزحون؛ والمزح بمنهج القلب: يصير حزماً. . أليس مقلوب المزح: الحزم؟. . أليس تعارفنا على أن مقلوب النطفة: التفطن حالاً والفطنة مقاماً. . ؟

إذاً . . أعطيكم أرقام هاتف الله . . فإذا أردتم أن تتكلموا معه : افعلوا . . وهو يجيب . . إذا أردتم أن تدركوا العبادة التحررية فطنة : فتكلموا معه مباشرة . . وهو قريب . .

هذه هي أرقام الهاتف : (اثنان ، أربعة ، أربعة ، ثلاثة ، أربعة : ٤ ، ٣ ، ٤ ، ٤ ، ٢) . . ويمكن : (٢ ، ٤ ، ٤ ، ٣ ، ٤) . .

أعني بهذه الأرقام : أرقام الركعات في الصلوات الخمس ؛ وهي سبع عشرة ركعة فريضة . . وضعفها نوافل . . ركعتا فرض لصلاة الفجر ؛ وأربع ركعات للظهر ؛ ومثلها للعصر وللعشاء ؛ وثلاث ركعات للمغرب . .

سمعنا كثيراً عن عبقرية الشيخ المطهري . . ألا تحبون أن تحفظوا من كلماته بعدد أرقام هاتف الرب الذي نسبحه بالأعلى ، ليمنحنا سمواً نرقى به متحررين من جواذب الأدنى؟

يقول للماديين في خاتمة كتابه (الدوافع نحو المادية) : **«ولكن : هناك علم . . يستطيع . . أن يمشي بنا بالحق في الحق . . ويطلعنا على مفهومات هامة حول الله تعالى»**. (ص١١٨) . .

إنها سبع عشرة كلمة ، كما في ترجمة الشيخ محمد علي التسخيري . . وأرجو أن تفتح أبواب القصد من الالتزام بالأرقام . . .

فإذاً : سبع عشرة ركعة . . وسبع عشرة كلمة من أسلوب المحتفى بعبادة التحرر في أفكاره . .

وأعطي سبع عشرة كلمة ثالثة : لأتم أرقام النوافل ؛ فقد جاء في الحديث القدسي : [ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه . . فإذا أحببته كنت عينه التي بها يرى . . .] . .

كلماتي هذه : مصطفة بشكل رباعية ؛ لتبقى مع هاتف العبادة التحررية ، وهي :

| | |
|---|---|
| فكره واسمه تحيّة طُهْر | ردُّها الشوقُ في ولادة خِضْر |
| وارتضى الصدق بالطِّباق شهيداً | شاهراً فجره بليلة قدر |

الكلمات هنا محمَّلة بجني الواقع والمثال . . فيها نوافذ الوقائع القريبة . . وفيها دعوة الانطلاق إلى أقصى الأسمى . .

فكره : أعني فكر الشهيد المطهري . .

واسمه : أعني المرتضى . . وهما : تحية طهر ؛ لأن نسبته المطهري . . ولأن تاريخ أفكار الطهر طويل ومعروف بعضُه . . فهل يمسُّ الوحيَ إلا المطهرون؟ . . وهل يتحرر بالعبادة إلا المتماسّون؟ . .

هذه التحية : تحرِّض رداً ؛ ولأنها تلقى في هذا اليوم السادس من الشهر الخامس : فردها يأتي مما احتشد فيه من المناسبات والأعياد . . هل تذكرون كل ما في هذا اليوم من حفاوات الحياة؟

نحن اليوم في السادس من الشهر الخامس (أيار ـ نوار) . .

في دمشق . . في قلب العروبة النابض : نحتفل اليوم بعيد الشهداء . . ويشاركنا المحتفلون بذكرى شهيد الثورة الإسلامية الثانية عشرة . .

وفي ضمير الإسلام . . في إيران الجمهورية الإسلامية : يحتفلون بعيد الأفكار وتضحية المفكرين . . ونشاركهم في قلب العروبة هذه الحفاوة . .

وفي حنين الإمام السادس، جعفر بن محمد الصادق(ع) : يحتفل بعيد العروج عرفاء هذه الليلة من شوال . . وفي هذه الليلة يتذكرون نسبيات المطلق في مثل هذا اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة مما نعد في التعامل مع أيامنا . .

وليكون العروج حياة لا تموت : نذكر بعيد المولد السعيد، الذي هو عيد ولادة أحد الأحياء الأربعة، عيد الخضر؛ الذي اسمه في القديم (بِليا) ويسمونه في الحديث (مارجرس) . . وهو في العهد الأوغاريتي (بعل) الذي يصرع الموت وتنتصر به الحياة . . والذين يتخففون : يلحقون؛ كما في عبارة أمير المؤمنين (ع) . . لانتصار الحي في الأحياء : نصمت ونتكلم . .

ولهذه الغاية الحيوية : نصغي ونذكِّر . .

وألف رسالة ورسالة : تضمُّ إلى حديثها الوجيز ما سيصل من تحولات الوعي المتأوج في (الفطنة ـ الحياة) . .

أذكياء الناس : لا يحتاجون تفاصيل . . وأنتم عباقرة قلوب . . أسأل الله لكم (ليلة قدر مستمرة) بإخلاص الفطنة . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

# حوار مع العبقرية (من شعر الحكاية)

الدكتور صلاح الصاوي

## (١)

سألت العبقرية محتواها ... فقالت: نعمة لمن احتواها

مواهبها سنيات تأتى ... لعقل نيّر في مستواها

وتختص الحكيم وتصطفيه ... بحكمتها، ونجعله آلها!!

فقلت: العبقري ترى أراه؟ ... فقالت: ما له حدّ تناهى

هو الأكوان، والأكوان فيه ... نجوم طالعات في سماها

تدور على محاورها كمالاً ... وحقاً، لا خلاف ولا اشتباها

يخاطبه الوجود بكل لسنٍ ... وتنشده الحقيقة في خفاها

فيخطبها إلى الكوان بكراً ... عروس زمانها بلغت مناها

فكان إرادة الله استخيرت ... لإعمار الوجود كما هداها

وليس بعبقري ذو نبوغ ... عتا في الأرض واستعلى سفاها

وبدل نعمة العقل جنونا ... وبدل بسمة الأحياء آها

فكان إرادة الشيطان شبت ... على النيران ترقص مشتهاها

فقلت لها: أما لك من دليل؟ ... فقالت: إن توفر شاهداها

فحكم الخلق أول ما يراعى ... رضاء الخلق غاية مبتغاها

وآخر من ثبوت الحكم دوما ... تجدده الدهور مدى مداها

فقلت: إذاً، دعي هذا وهاتي ... حديث مطهري فيما نراها

أيحسب من عباقرها بحق؟ ... فقالت: مرتضاها يرتضاها

هواه مذ تنفس في هواها ... يثير بها التحفز لازدهاها

فشمس ضحى تجلت في سماها     وإن غامت فلن يخفى ضياها

فما في عالم الإسلام من لم     ينل حظاً وفيراً من سناها

وقد وضح الطريق لناظريه     فسار على يقين من هداها

وديمة حكمة هطلت وولت     وخلفت الروابي في خلاها

فما في عالم الأفكار من لم     ينل فينا بديعاً من نداها

فرائد من جنى الأفكار دانت     لقاطفها زخائر فاجتناها

ربيع الورد أبهى ما تجلى     ورقه عن نفوس ما عناها

قوافل قد تجاذبها سراب     تجمرها الفيافي في دجاها

حداها من عبير مطهري ما     أطل بها على فجر رواها

طغى ليل وأحكم خافقيه     على السارين واستعلى رغاها

بفكر لا يمت لأي فكر     وهرطقة الأنا واللا وراها

ومجتمع تناتشه ضياع     فأنكرت النفوس له انتماها

وأرتال الشباب بكل صبغ     من الأصباغ في حمق تلاهى

فأحمرها وأصفرها بشرق     وأسودها وأزرقها إزاها

وأما الصبغة البيضا، فمتت     إلى الإسلام، يا أسفاً قلاها

فجاء مطهري طبا عليماً     لديه لكل موجعة دواها

يصحح فكرة ويرد ديناً     لرؤيا في غد الغيب ارتآها

فعبأها عرمرم من يقين     وأذن فجرها أعلى لواها

فيا خلي قلوب الخلق إلاّ     قلاع عقيدة عزّ استباها

فرتلت الشفاه له ثناها     وصورت العيون له رضاها

وما خلد الفتى من غير حب     ولا حب الخلائق من جفاها

فكان العبقري بلا جدال

به الدنيا مدى الدنيا تباهى

**(٢)**

يقال: مجدد في كل قرن     لمن أحيا الشريعة واجتلاها

بأفكار تزيل الشك عنها     وأنفاس تؤجج في قواها

فيصهر كل ضعف وانحراف     ويحفظها ويدفع عن حماها

وللإحياء أدوار توالت  تناسب بالضرورة مقتضاها
إذا اختلفت على الأسى الدواعي  ستطلب كل داعية إساها
وللمحبين من عصر لمصر  من الآراء ما اختلف اتجاها
فذا غيران فلسفة جفاف  ستفطمها وتحرمها رواها
فتيبس أيكة يَنَعاً وزهراً  ولا يبقى بها إلا لحاها
قلوب آمنت بالوحي يوماً  وضل الفكر نافقت الشفاها
وذا غضبان من طغيان باغٍ  ومحتل يظاهره فتاها
يضيف حولها الأرض اغتصاباً  ويشرك في مجانيها سواها
فيمسي أهلها غرباء فيها  وللغرباء منها مشتهاها
وراعٍ قد تعامى عن ذئاب  فلا قرع العصا أوفك فاها
رآه الكلب أدرك كل شيء  وأقعى تحت رجلين انتباها
فقط هناك في أحلى منام  وقام الذئب يستضعي الشياها
وذلك لا يرى عيباً عليها  عداها أن تثريب عداها
إذا أحنت أوادمها مطاها  فليس اللوم لوم من امتطاها
ولولا أنهم هانوا نفوساً  لما وطىء الدعي إذا ثراها
وذلك ينسب السلوى جميعاً  إلى جهل الشعوب بمحتواها
ولولا جهل قيمتها لعزت  وكان الخلق كلهمو فداها
فهانت ثم هانت ثم سادت  خرافات المشعوذة اشتباها
وظنت أن فالية الأفاعي  هي العلم الحديث وقد غزاها
فلا ألقت له بالاً عناه  ولا ألقى لها بالاً عناها
تخلفت الحضارة واستكانت  على صخر الجحود بها اعتراها
وكل قد رأى وجهاً وغابت  وجوه أخرياتٌ ما وعاها
فأحيا قد رما أحيا وشلت  خفاياها العزائم عن مضاها
فما بلغت عقابهمو عناناً  ولا حامت وحلّق خافقاها
وقالوا سنة الهادي إمام  وفي القرآن من رشد كفاها
وما القرآن أغنية تغنى  وما سنن لتجدي من كماها
تراث في مداه جرت عقول  تكشف ما الحياة وما وراها
فضلت أمة عظمى وأنى  بدون إمامها تلقى هداها

تخبطها اختلاف الرأي حتى ... كان شقاقها أبداً حجاها
فلما اجتمعت لرد كريهة إلا ... تعاورت الذرائع في جفاها
يذكّرنا القطتين على نزاع ... بقطعة جبنة قد قسماها
تدخل عنتر الميمون يقضي ... أتى التهم الشرائح واقتفاها
وأذيال القطاط كما الأفاعي ... تلحس ثم تلعق في قفاها
عواطف كم يثور بها ارتجال ... ويقعدها ارتجال عن مناها
فإحياء الشريعة ليس إلا ... بفلسفة تؤس لها بناها
أترجي فكرة الأحباء إلا ... إذا صحت هناك وعامتاها
هما القرآن بيّنه عليم ... وحد السيف يحميها، يداها
فتهدم ثم تبني ثم تعلى ... لتبلغ شأوها ومدى علاها
فتبعث أمة خير البرايا ... وإنسان الخلافة في ولاها
وكان الحال قد بلغ التردي ... وأحدق بالحنيفة خانقاها
فخارجها التآمر من عداها ... وداخلها التآزر من ضناها
ودب الشرك والإلحاد فيها ... وهاج زوانها وعتاه كساها
أتاها فيلسوف الذهن يحذو ... بفكرته السماء وما بناها
رأى في الفكر أرضاً قبل مجلى ... وثم تعينت فيها دحاها
أقام العقل نبراساً وقبا ... تبرأت العواطف من غواها
أقاها ذو اشتراع واجتهاد ... يوثق للمحبة في عُراها
أتى لا لون إلا العقل والنص ... يتفقان، لا جهة احتذاها
أتاها حائزاً في كل شرط ... كمالا، فاستقامت مذ أتاها
فتى عذب البيان أخو حجاجٍ ... تولع في محبة آل طه
يرد خرافة وينير أصلا ... ويرسم منهجاً ويعيد جاها
وتابع فكرة الأحباء أعلى ... منارتها وأسمع من نداها
فأحياها جهاداً كل صوب ... وأطلق زندها قدحت نطاها
ووافى الانقلاب فشد أزراً ... وقامت بالقواعد قد براها
فحقق حيث أخفق سابقوه ... كياناً للشريعة في نقاها

فقلب العبقري كتاب غيب
وما كانت سوى رؤيا رآها

فهم بها حفياً واستجابت
لإخلاص العباقر في ادعاها

(٣)

ففي إيران لا سفرت نساء
ولا برجت ولا هتكت حياها

ترى خمراً حراساً تحتويها
وقد حفظت أمانتها وراها

وعفت أخت فاحشة وعادت
لعصمتها وعاد لها بهاها

وفي إيران لا تلقى سفيهاً
تلصص بالعيون إلى زناها

فسيف الشرع بالخلسات أودى
وحصن الشرع بالحرمات باهى

وعينك أينما نظرت سترضي
فما عادت لتفجعها أساها

سلا الخمار حرفته وولى
إلى المحراب يسترضي الإله

وخلف حانة لليوم يصدى
لتنبيه السكارى من هراها

وأعشب دربها وانسد باب
على الفجار خابت في رجاها

وتاب أخو الربا عما يرابي
وعالج نفسه مما ابتلاها

فأربى بالتصدق والتزكي
وطهر آسناً مجرى مياها

وسال المال للأيدي جميعاً
وقد نقعت بوفرته ظماها

وعاد إلى المساجد ما تولى
زماناً من معالمها وتاها

فبيت عبادة ومقر حكم
وبيت فقاهة وبه قضاها

وقد صارت جوارح جامعات
صداها يستعيد لها صداها

وبلت أنفس الغرباء لما
أتى رأي الإمام بها شفاها

فلا هانت بساحات المنايا
ولا أحنت لطاغية جباها

وذاقت عزة الإسلام حق
فصح إلى محمدها انتماها

دروس مطهري للشعب آتت
بخير الدين والدنيا جناها

قضى العمر احتساباً باقي جهاد
لإحياء الشريعة ما سلاها

فباع حياته يوماً بيوم
وساعا يعد ساع في هواها

وما فتىء الزمان به ضنيناً
فعجلت المنية في قضاها

برمية حاقد عمياء حمقى
فاصمعة بلا رام رماها

فخر مكفناً بدم شهيداً
على ساح النضال أبو رحاها

يبدل فارس فرساً بأخرى
إلى حوض الشهادة وامتطاها

كذاك العشق يأمر عاشقيها
فباع دماه أصلاً واشتراها

وحكمها وسيدها يملك
وأجلسها وأمسكها عصاها

فإن يكن الخميني قد بكاه
كفلذة كبده قبلاً بكاها

بكته كواكب الماضي مناراً
أدام طريقها وجلا دجاها

وتبكيه الكواكب في الأواتي
فما كل الكواكب مرتضاها

أقم إيران للإسلام ربي
وأيدها بمن يقفو خطاها

وجنبها زمان السوء هذا
وجنبها التعثر والمتاها

وبارك روضها المعطاء يزكو
وتزكو العبقرية في حماها



# الإسلام في هذا العصر

د. حسين القوتلي

أود بداية أن أتوجه بعميق الشكر للمستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية على إتاحتها لنا مثل هذه الفرصة الثقافية الإسلامية النادرة لدراسة أفكار العلامة مرتضى مطهّري إحياء للذكرى السنوية الثانية عشرة لاستشهاده وتخليداً لخدماته الجلي التي أسداها للإسلام والمسلمين، فعلامتنا الشهيد الذي نجتمع اليوم لدراسة فكره الإسلامي النير من خلال محاضرات ومداخلات يقدمها لنا أساتذة ومفكرون إسلاميون كبار هو في طليعة القادة الإسلاميين الذين كان لهم الفضل في استنهاض الفكر الإسلامي المعاصر من كبوته، والحركة الإسلامية العالمية من سكونيتها، بشكل استطاع معه هذا المفكر الكبير أن يلقي الضوء الإسلامي، ويخلع المعنى القرآني، على كل ما عرض له من تعقيدات العصر وإشكالياته. ومعالجة العصرنة على هذا النحو هي من سمات القيادة الفكرية الحقيقية دون شك، وإذا كان همّ هذه القيادة الحكيمة يتمحور حول هذا الهدف بالذات، فإن ذلك يعني، أول ما يعني، القدرة على التصدي لقضايا العصر ومواجهتها، والثقة المطلقة بالذات لاجتراح الحلول لها مهما حملت من متغيرات وتحولات في ضوء العقيدة الإسلامية الثابتة التي لا تتغير ولا تتحول. يقول الشهيد في مقدمة كتابه «العدلُ الإلهي»: «إنني ومنذ حوالي عشرين عاماً كلما أمسكت بالقلم في يدي وكتبتُ كتاباً أو مقالة استهدفتُ هدفاً واحداً وهو حل المشكلات، والجواب عن الأسئلة التي تدور حول محور واحد هو «الإسلام في هذا العصر» وبدَهيٌّ عند المفكر الشهيد أن الإسلام واحد سواء أكان في هذا العصر أم كان في غيره من العصور، إلا أنَّ هذا المحور إنما يعني بيان موقف الإسلام من قضايا العصر، ترشيداً لمساره، وتسامياً بغاياته إلى ما يحقق ويعلي كرامة الإنسان في الكون والحياة.

إن الروح الفلسفي الذي ساد الفكر الإسلامي لدى مفكرنا الشهيد مرتضى مطهري كان خليقاً أن يعطي البُعد الشمولي لكل ما عرض له من قضايا العصر ومشكلاته، ذلك أنَّ الموضوعات الفلسفية الثلاث، الكون والإنسان والله، إنما هي موضوعات إسلامية في الوقت نفسه، والبُعد الشمولي فيها هو في العلاقة الضرورية بين الكون من جهة والإنسان من جهة أخرى، ثم بين الكون والإنسان من جهة والله من جهة ثانية.

إن أبرز مشكلات هذا العصر وتعقيداته، والتي تصدى لها مفكرنا الشهيد هو إهمال العلاقة القائمة

بالضرورة ما بين هذه الحدود الفلسفية الإسلامية الثلاثة، فبهذا الإهمال انفصل الكون عن الإنسان فكانت الفلسفات المادية بما فيها من حتمية عمياء، وبه انفصل الإنسان عن الله فكانت الفلسفات الوجودية بما فيها من انهيار وضياع، ومنه أصاب العقل كثير من غرور فبنى لنفسه مملكة انفصل بها عن الكون والإنسان والله مرة واحدة، وأعلن نفسه، ابتداء من عصر النهضة الأوروبية، سيداً مطلقاً على الفكر والكون والحياة، فكان العقل الذي يستند إلى مقولة المنفعة، وكان العقل الذي يستند إلى مقولة القوة، والعقل الذي يستند إلى مقولة العلم، والعقل الذي يستند إلى مقولة الموضوعية، والعقل الذي يستند إلى مقولة المادة.

هذا العقل التوحيدي بالفطرة الواحد عند كل الناس، والذي قال عنه فيلسوف عصر النهضة الفرنسي: «إن العقل هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس» صار بين المنفعة والمادة ألف عقل وعقل استتبع وجود ألف عقيدة وعقيدة أدت في هذا العصر إلى ألف انهيار وانهيار.

صحيح أن سقوط الشيوعية في أواخر العقد الماضي من السنين بات يعتبر حكماً مبرماً على هذه العقيدة المادية بالانهيار والموت، إلا أنَّ هذا الحكم وبتأكيد كلي بات ينسحب أيضاً على العقيدة الرأسمالية نفسها، التي تحاول في مسار تشكل النظام الدولي الجديد أن تسرق ظاهرة الانتصار على الشيوعية مقدمة نفسها على أنها النظام الحتمي البديل، علماً بأن الشيوعية والرأسمالية تقفان معاً في دائرة مغلقة واحدة هي دائرة المادية الطاغية، لذلك فإنه من المهم أن نضع موضعَ عنايتنا نحن المسلمين أن انهيار الشيوعية إنما يعني، وينبغي أن يعني أيضاً سقوط الرأسمالية المادية في الوقت نفسه.

هل نريد أن نقول من هذا الكلام إن الإسلام هو البديل القادر على بناء نظام دولي جديد بديلٍ عن الشيوعية والرأسمالية على حد سواء؟

مهلاً أيها السادة. . . وقليلاً من التريث. . . ذلك أننا على يقين تام بأننا إذا قدمنا هذا الطرح، في هذا الزمن الإسلامي المتصدع، فإننا سنشهد على الساحة العالمية ألف إسلام بديل، كلُّ إسلام منه يزعم أنه الإسلام وما تبقى فهو هرطقة وتضليل، والساحة اللبنانية خلال ستة عشر عاماً من الحرب الأهلية الدامية هي الدليل، فقد كانت هذه الساحة ميداناً للقتال الشرس، الطائفة فيه تقاتل الطائفة الأخرى، والمسلم فيه يقاتل المسلم، وأتباع المذهب الواحد يقاتل بعضهم بعضاً، حتى أدى ذلك بنا إلى القول:

«ويل لنا فقد أصبح المواطن منا يشعر أن مذهبه صار عبئاً على دينه، وأن دينه صار عبئاً على وطنه، وأن وطنه صار عبئاً على العالم.»

إننا من خلال تجربتنا اللبنانية، بل ومن خلال مراقبتنا لعملية تسييس الدين على مستوى المنطقة، بل وعلى مستوى العالم كله، نجد أنفسنا بأمس الحاجة إلى إحداث حركة إسلامية إجتهادية تتولد منها فلسفة إسلامية معاصرة، ينتزعُ الفكر فيها الدينَ من يد السياسة، ذلك أن الفكر، بل وحرية الفكر، هي الضمان الوحيد لسلامة العقيدة الدينية ولسلامة الممارسة السياسية على حد سواء.

إن مفردات المعاصرة كانت تتمحور حول الحرية بعبارات ومفاهيم مختلفة، منها مفهوم سيادة العقل، ومنها مفهوم الديمقراطية، ومنها مفهوم القومية، ومنها مفهوم الإنسانية، ومنها مفهوم العلمانية، وما إلى ذلك من مفاهيم تنبع كلها من مفهوم الحرية الإنسانية، بل هي تنبع من مفهوم الكرامة الإنسانية، إذ لا كرامة بلا حرية ولا حرية للإنسان بلا كرامة.

أما بعد سقوط الشيوعية، ومع بداية تشكل النظام الدولي الجديد الذي لم تتضح تفاصيله بعد، والذي تحول فيه العالم من عالم ثنائي القطبية إلى عالم أحادي القطبية، فإن مفردات المعاصرة أصبح من الواضح أنها في طريق النقلة من التمحور حول «الحرية» بما لها من عبارات ومفاهيم مختلفة، إلى التمحور حول «الأمن» بما له من عبارات ومفاهيم مختلفة، حتى أنه أصبح، على ما أرهصت به بداية التسعينات، من قضية الوقت وضياع الجهد، الحديث عن مفردات الحرية كالعقل والديمقراطية والقومية والوطنية والدين وما إليها، لأن الأولوية ستكون للأمن الإقليمي في هذه المنطقة أو تلك، الحرية مسموح بها بالقدر الذي تساعد فيه الحرية على تثبيت الأمن الاقليمي، وتالياً أمن النظام الدولي الجديد، فلا ديمقراطية ولا قومية ولا وطنية بل ولا فكرة، إلا بالقدر الذي تساعد فيه هذه أو تلك من القيم في تثبيت الأمن الإقليمي، وتالياً أمن النظام الدولي الجديد.

إن لمفردات الحرية منطقها المنتظم في سياق إنساني، وكذلك لمفردات الأمن منطقه المنتظم في سياق إنساني، إنما المهم بالنسبة «للإسلام في هذا العصر» الذي كان همَّ مفكرنا الشهيد مرتضى مطهري هو أن يقدم نفسه في هذا العصر بمنطق إنساني، وهو منطق هذا العصر، سواء أكان معتمداً على مفردات الحرية أم كان معتمداً على مفردات الأمن، والروح الإنساني في الإسلام هو صاحب السيادة في كل ما نعرف من ديننا، الإنسان في الإسلام هو غاية الخلق، وهو غاية الدين، وهو غاية الكون كله: قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾.

وقال: ﴿من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً. ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً.﴾

فإذا كانت كرامة الإنسان، بل وحرية الإنسان، هي في مرتبة الأولوية عند الله، فإن الأمن هو في مثل هذه المرتبة أيضاً. يقول تعالى: ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾.

هذه هي في ظننا مفردات المعاصرة التي يمكن أن تشكل مدخلاً للمسلمين للدخول في النظام الدولي الجديد مشاركين غير متفرجين. وإن الإسلام إذا لم يكن له مثل هذا الاسهام في تشكل هذا النظام فإنه يخشى أن يفقد الأمن في مفرداته الإنسانية ليصبح مجرد أمن سياسي تمسك أميركا بزمامه على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية في الوقت نفسه.

إن هم الشهيد العلامة مرتضى المطهري الذي عبرَّ عنه بهم «الإسلام في هذا العصر» أصبح يعني

اليوم الدعوة إلى حركة إجتهادية فلسفية إنسانية نصوغ بها موقفاً شمولياً وواضحاً للإسلام من قضايا العصر وأهمهـا الأمن، وكـالأمن الغذائي، والأمن البيئوي، والأمن الاقتصادي، والأمن المعرفي، والأمن الديني، على المستـويـات المحليـة والاقليميـة والـدوليـة جميعاً فضلاً عن صياغة الموقف العقلي الخالص من المسائل الإلهية والكونية والإنسانية.

وبعد.

فإذا كان افتتاح هذا المؤتمر قد تم في القاعة الكبرى التابعة لمكتبة الأسد في دمشق، فإن من أوليات العـرفـان أن نتـوجـه إلى سوريـة العـروبة والإسلام، ممثلة بالسيد الرئيس حافظ الأسد حفظه الله بأسمى مشاعر الشكر والامتنان على احتضان سورية لهذا المؤتمر، مهنئين سورية رئيساً وشعباً وجيشاً، بمناسبة عيد الشهداء الذي تصادف ذكراه اليوم، على ما قدموه من تضحيات ساميات كانت دائماً في مستوى الشهادة الخالدة.








**برنامج اليوم الثالث من المؤتمر الدولي لدراسة أفكار العلامة مرتضى المطهري**

**«الثلاثاء ٧/ ٥/ ١٩٩١»**

١ ـ القرآن الكريم . . بصوت السيد رضوي .
٢ ـ الدكتور حسن عباس نصر الله ـ لبنان .
٣ ـ الدكتور جواد المرابط ـ سوريا .
٤ ـ الدكتور أبو زهراء النجدي ـ العراق .
٥ ـ الأستاذ عبد الفتاح قلعه جي ـ سوريا .
٦ ـ الدكتور عبد المهدي يادكاري ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية .
٧ ـ الشيخ حسن الصفار من علماء الحجاز .
٨ ـ الدكتور سمير سليمان أستاذ في كلية الآداب ـ لبنان .
٩ ـ مداخلة الأستاذ إبراهيم جواد سوريا .
١٠ ـ الصلاة والضيافة .

رئاسة الجلسة :

١ ـ د. زهراء الخميني . ٢ ـ د. حسن عباس نصر الله . ٣ ـ العلامة حسن النوري .
٤ ـ الشيخ عفيف النابلسي .

# قضايا المرأة في فكر العلامة مرتضى المطهري

الدكتور حسن عباس نصر الله

**تعال نزر الإسلام ـ وقد عاد غريباً ـ من بوّابة عالِم عاش ومات من أجل الإسلام، في حركة رجوع إلى الينابيع رشف الغربة، غصَّ بالماء، فاعتصر بالصَّبر، قرأ الغربة بين الإسلام وأبنائه، فكتب عذاباته بوحاً وتضحيات، أراد أن يكون جزءاً من الفداء؛ فزرع دمه كلمات تنهض مائِتَ الشعوب.**

**وقف حياته للفكر الديني، قرأ التراث السماوي، استوعب كنوزه: القرآن الكريم نبعه، وسيرة الرسول(ص) جداوله الدافقة، وعلوم الأئمة المعصومين(ع) تياراته وخزائنه.**

**أبحر في رحلته الثقافية، وقف على شطآن التراث الإنساني، استطلع آراء المفكرين العالميين. ولملم حبّات الماء العذبة من غدرانهم المالحة. هذه (الوجودات) التراثية، أوغل العلّامة المطهري في التعامل معها على قدر حرارتها ودفئها. وكان زخور العطاء: الفقه يرفض الجمود في معطيات الدين الإسلامي؛ فحركه بكتابه «الاجتهاد في الإسلام». والفلسفة تحصِّن الاستدلال ويرتدّان إلى «الفطرة».**

وأطلَّ التاريخ يؤكد حقيقة الرواية، فاعتنق هداه. والإنسان عنصر الحياة استقر كائناً اجتماعياً. فكان كتاب «المجتمع والتاريخ». والعلاقة بين الدين والفلسفة والتاريخ والمجتمع، لا تعيش الوئام إلا في ظلال «العدل الإلهي» أي «عدل الإسلام».

وعانت المرأة بعنصرها الحنون، من اضطهاد المجتمعات؛ فأنصفها الإسلام. وتلاعب المفكّرون بالمفاهيم الإسلامية، فدلّسوا وزوّروا وخرجوا على الشريعة بتضييق أو توسيع. فأعاد الانصاف إلى طبائعه بكتابه «حقوق المرأة في النظام الإسلامي».

بينما كان يضيء شمعة تلوَ شمعة، ويهديها إلى موكب الحضارة، انطفأ منه النور الذي يضيء الشموع، وكان شهيداً.

وظلّت الأنوار التي أشعلها تضيء في أزمنة الإسلام وأمكنته.

قصة المرأة مع الرجل هي حكاية آدم وحواء.. وأخذت حركة الإنسان في مجتمعه تسرع وتبطىء

باتجاه العناصر المتحكمة . . . وغابت حرية المرأة، العنصر الضعيف في حركة الصراع . وإن كان أول ظلم لحق الرجل شاركت في صنعه المرأة . بعد حقب الخدر الإنساني أطلّ «النظام الأسري» معلناً الحقوق والواجبات مفضياً إلى بحث حرية المرأة، وإقرار مساواة حقوقها مع حقوق الرجل.

ملاحظات الفطرة فرزت مجتمعاً غريزياً ـ تعاقدياً ، مركباً من نمطين: الغريزي أي الفطري ، تمثله مجتمعات النحل والنمل. . . والتعاقدي تنتظمه «الجامعة الانسانية» أتى الإسلام في زمن طغى النمط الغريزي على النظام الأسري ، فشرّع حقوق المرأة، وأغاظت التشريعات العادلة، أصحاب الفكر المضلّل؛ فسخروا ذكاءهم لمقايضة الحق بالباطل، ونسبوا تأخر المرأة إلى الدين الإسلامي . فنشأت ثورة فكرية تبحث القضية النسائية، وظهرت التكتلات بين مؤيد ومعارض.

بلغ التأييد التطرف، قاده عشرات الكتّاب والشعراء. برز في مصر قاسم أمين (١٨٦٤ ـ ١٩٠٨) في كتابيه: «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة» وجاراه كتاب في سائر الأقطار. فأصدر محمد جميل بيهم «المرأة في التمدن الحديث» وظهر كتاب «تحرير المرأة في الإسلام» لمجد الدين ناصيف، و«المرأة في عصر الديمقراطية» لاسماعيل مظهر. . . أما الشعراء ـ الذين يقولون ما لا يفعلون ـ فبالغوا في دعوة تمدين المرأة معتبرين حديثها بسفورها وخلاعتها. قال جميل صدقي الزهاوي:

| | |
|---|---|
| مزّقي يا ابنة العراق الحجابا | واسفري فالحياة تبغي انقلابا |
| مزّقيه، وحرّقيه بلا ريثٍ | فقد كان حارساً كذّاباً |
| مزّقيه وبعد ذلك أيضاً | مزقيه حتى يكون هُبابا |
| وانزعيه بقوّة وطئيه | واجعلي في فم الحنيق تُرابا |

وتصدّى المحافظون لهذا التيار المستورد، ورموا مناصري المرأة المتطرّفين: بالكفر. وأشدُّ الشعراء تعصباً الشيخ جواد الشبيبي ، وعبد الحسين الأزري، وعبد الرحمن البنّا، وأمين ناصر الدين، ومحمد علي الحوماني. . وضجّت صفحات الجرائد والمجلات بالأبحاث التي تتناول قضايا المرأة. ولم تكن إيران بعيدة عما يجري بل عرفت مجلة حملت عنوان «المرأة المعاصرة» وعلى صفحاتها نشر العلامة مرتضى المطهري سلسلة مقالات في سنتي ٦٦ ـ ١٩٦٧ تحت عنوان «المرأة في القانون الإسلامي».

بذل العلامة مطهري قُصارى جهده للبرهنة على التطابق والانسجام بين إيعازات الطبيعة، وأوامر القرآن. وإثبات أن المرأة في القرآن صورة لواقع المرأة في التكوين، ولاحظ الجامع المشترك في الانتساب إلى الإنسانية والحرية بين الرجل والمرأة. لكن الانتساب يحكمه التفاوت بين لونين من الانسان: ذكر وأنثى تباينت لديهما المواصفات العضوية والنفسية. ولم يكن اختلافهما ناتجاً من عوامل تاريخية أو إجتماعية أو جغرافية بل اختلافهما قائم في واقع التكوين. ثم ولج إلى نهضة المرأة الحديثة مناقشاً آراء المفكرين الغربيين أمثال: «ول ديورانت» في «قصة الحضارة» و«مباهج الفلسفة» والكسيس كاريل في «الإنسان ذلك المجهول» و«هوبز» و«هاربرت سبنسر» و«مونتسكيو»، و«فولتير» و«برتراند راسل» و«غوستاف لوبون» ولم ينس القدماء

«أفلاطون» و«أرسطو»، وما بينهما من تناقضات. لكنه أغفل الصراع الذي نشأ في بلاد المسلمين معتبراً إياه خروجاً على الدين ودخولاً في مؤامرات الملحدين.

سعى العلامة مطهري إلى بحث القضية النسائية بعمق متسلحاً بالشريعة والفقه والتاريخ والاجتماع، وعلم النفس، وعلم الأحياء، والاحصائيات... رأى أن نهضة المرأة الغربية التي ازدهرت في القرن التاسع عشر أوجدتها أهداف مادية منفعية، استغلت المرأة أسوأ استغلال في الثورة الصناعية، وقادتها إلى المصانع المضنية لقاء أجور زهيدة.

وتطورت الحقوق فبلغت المساواة. وأسف للنتائج التعاندية؛ فحرية المرأة خلّصتها من سلسلة متاعب، وكبّلتها بسلسلة متاعب جديدة. أشد قسوة من الأولى، لا يمكن التخلص منها إلا باعتماد النظام الإسلامي. المتاعب القديمة جاءت نتيجة لإغفال إنسانية المرأة، وتحوير موقعها الطبيعي، ومسخ رسالتها في الحياة.

استعان بمجلة «كورنت» الأميركية لينقل صورة عن تذمر المرأة العاملة في أميركة بعدما تحولت إلى آلة إنسانية تتعرض لأحداث قاتلة من الآلة الجامدة، وارتفعت أصوات النساء العاملات يطالبن بالعودة إلى حظيرة الأنوثة، ويبدين عداء لكلمتي «حرية المرأة، ومساواة المرأة». بعدما بلغت الحرية الفوضى، والمساواة غدت لا مساواة، عناوين أبعدت المرأة عن «مبدأ الحقوق الطبيعية» الزوجية والأمومة، وأفقدتها مقومات شخصيتها: الشرف والعفة» المركز الإنساني للمرأة في ضوء القرآن.

فلسفة الإسلام متميزة في تشريع الحقوق الأسرية للرجل والمرأة أقر المساواة في حقوقهما، وعارض التشابه، مراعياً واقع المرأة في تكوينها، وفي بعض واقعها تباين عن بعض واقع الرجل.

المباحث الفلسفية تميِّز بين المساواة والتشابه. فعدم التشابه لا ينقض المساواة. إذا وزّع والد ثروته بين ولديه بالتساوي. وكان يملك بستاناً ومتجراً لهما القيمة الشرائية نفسها، يكون قد حقق المساواة في توزيعه، لكنه لم يحقق التشابه لأن البستان غير المتجر. انطلق العلامة المطهري يعلل الأسباب الكامنة وراء المبدأ الإسلامي الهادف إلى المساواة بين حقوق الرجل والمرأة دون التشابه.

فالمساواة وليدة عوامل: أهمها مركز المرأة الإنساني من زاوية الخَلق. ويرتبط عدم التشابه بفلسفة الاختلافات في تكوين الرجل والمرأة فيزيولوجياً.

## مظاهر المساواة:

نفى الإسلام النظريات المهينة التي أحدثت طبقية بين عنصري المجتمع: الرجل والمرأة.

## مبدأ الخلق :

ألقى القرآن الكريم ضوء على تكوين الإنسان من ذكر وأنثى وساوى بينهما في مبدأ الخلق. فهما من طينة واحدة، ولم تكن المرأة من طينة أدنى كما تعتقد بعض الديانات. واستدل بالآيات القرآنية. قال تعالى: ﴿يا أيها الناس، اتقواربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها﴾[1].

## المرأة وعنصر الشر :

وسمت المجتمعات منذ القدم المرأة بأنها عنصر الشر والجريمة والذنب؛ ووصفتها بالشيطان الأصغر، وادَّعت المجتمعات بأن إبليس استخدم حواء لإغواء آدم. فأطعمته من الشجرة، وأخرجته من الجنة. وما زال الشيطان يُغوي المرأة لتكون أداة لإغواء الرجل. لم يُشر القرآن الكريم إلى غواية الشيطان لحواء كي تغوي آدم. بل تقاسمت مع زوجها تقبُّل الغواية. واستخدم القرآن الكريم ضمير المثنى ليحملها معاً مسؤولية الوقوع في وسوسة الشيطان. قال تعالى: ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ وتوجه الشيطان بوسوسته وأيمانه وإغراءاته إلى الاثنين. ﴿فوسوس لهما الشيطان، وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين، فدلَّهما بغرور، فلما ذاقا الشجرة. . ﴾ بعدما ذاقا معاً جاء العتاب بصيغة المثنى ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما﴾ وصدر الاعتذار من الاثنين ﴿قالا: ربنا ظلمنا أنفسنا﴾[2] تبرأت الآيات القرآنية تفرّد حواء بتقبّل الغواية، ونفت عنها خاصية عنصر الشر السائدة في المجتمعات المتحضرة.

## فلسفة عدم التشابه :

بنى معالجته على المعطيات العلمية والفلسفية:

**العنوان الأول**: الاختلاف في طبيعة التكوين بين الرجل والمرأة، أدى إلى تغاير في أشياء من المسؤوليات الحقوقية والجزاء. القوانين الغربية أعلنت المساواة والتشابه باستدلالات ظاهرية. في حين أعلن الإسلام المساواة دون التشابه مراعياً التناسب الحقوقي مع الطبيعة التكوينية. فهناك حقوق للرجل تناسب الرجل، وحقوق للمرأة تناسب المرأة. لم يعرف التاريخ رجلاً عانى من «الحمل والولادة» «فالأمومة تتطلب النفقة في ظروف معينة» والحمل يفرض الانقطاع عن العمل الشاق. هذا الاختلاف أفضى إلى وجود النفقة والمهر والتباين في الإرث. . .

**العنوان الثاني**: إن مبدأ فلسفة الحقوق يرتبط بأصالة العدل، هذا التشريع العدلي والحقوقي؛ ظهر لأول مرة مع الإسلام منذ القرن السابع الميلادي. فالعدل أرسى الأساسين العقلي والطبيعي لحقوق الإنسان.

وهـذان العنصـران يقتضيان المساواة بين الرجال والنسـاء، بينما عرفت أوروبة وأميركة قوانين وضعية لحقوق الإنسان في مطلع القرن العشرين.

## بين المساواة والتشابه في المجتمع:

المسـاواة مستمـرّة في المجتمعـات بين الأفـراد مسـاواة في الحـريـة والعيش والعمـل والملكية والوظيفة والانتخاب... لكن التشابه انتفى وانهار في المجتمعات بسبب اختلاف مستوى أداء المسؤولية، وتباين قوة الأداء، وتفـاوت فعـاليـة المشـاركـة بين الأفـراد. فكـان الرئيس والمرؤوس، والعامل ورب العمل، والغني والفقير... وإلا فالتشابه يقتضي أن يكون جميع أفراد المجتمع في صفة واحدة.

ملوك، أو قادة، أو تجار، أو أغنيـاء، وهـذا حقهم في المسـاواة والتشـابه، هذا النمط في المساواة دون التشـابـه الـذي يحكم العلاقات في الحياة العملية بين الرجال أنفسهم؛ يسود حقوق المرأة والرجل، ويؤكد المساواة دون التشابه لاختلاف مستوى أداء المسؤولية، وتفاوت فعالية المشاركة. ثم عرض الشهيد مطهري مظاهر التفاوت القائم بين الرجل والمرأة معتمداً أقوال «أفلاطون» و«أرسطو» من القدماء. و«شلّي مونتاغو» و«ريك» و«كلود إلسون» و«ول ديورانت» من المحدثين.

قال «ريـك»: تختلف دنيـا المـرأة عن دنيـا الرجل اختلافاً كلياً، فحينما لا تستطيع المرأة أن تفكر، أو تعمل كما يفكر ويعمل الرجل فذلك لأن دنيا الرجل ودنيا المرأة مختلفان».

وحصـر مظـاهـر الاختـلاف في مجمـوعـات ثلاث: جسميـة، ونفسية، وعاطفية[٣]. تضافرت كلها لتحـديـد ألـوان متباينة من الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة، عمل بها الإسلام، وصانها لأنها منزَّلة من خالق قدير أعلم بحال الإنسان من الانسان نفسه.

## قضية الحجاب والسفور:

عالجها بعمق كاشفاً الخطأ الواهم بين الحجاب والستر. وبرهن أن الإسلام أمر بالستر دون الحجاب بمعنى (الحبس). فالسـتر الـذي فرضـه الإسـلام على المرأة لا يعني منعها من الخروج إلى الحياة العامة. فالنبي محمـد (ص) كان يصحب معـه إحـدى نسـائه في حروبه وغزواته «ولم تطرح في ثقافة الإسلام قضية حبس المـرأة وسجنهـا في الـدار»[٤]. وقرَّر المطهري أن: «حجاب المرأة في الإسلام يعني أن تستر المرأة بدنها حينما تتعامل مع الرجال» وأن تظهر مستورة في الوسط الاجتماعي لامتبرِّجة.

استنطق المعطيـات التـاريخيـة لهذا النهج الاجتمـاعي. فالحجـاب وليـد جذور فلسفيـة وإجتماعية، وأخلاقية واقتصادية ونفسية. هذه العوامل أوجدت الحجاب بين القبائل والشعوب منذ عهد مبكر. لكنها لم تكن الهدف لغرض الحجاب في الإسلام.

ارتبط الجذر الفلسفي بالاتجاه الرهباني والميل نحو الرياضة الروحية، مما أوجب الفصل بين الرجل والمرأة وإلزامها بالحجاب لأنها تعتبر من أروع المغريات. وارتبط الجذر الاجتماعي بفقدان الأمن والعدالة الاجتماعية. كان الضعفاء يدفنون أموالهم تحت التراب خوفاً من تسلط الأقوياء. أما المرأة الجميلة فكانت تحجب حتى لا تؤخذ بالقوة.

وتولّد الجذر الاقتصادي عن تسلط الرجل على المرأة وإلزامها بالعمل في المنزل. في حين نتج الاتجاه الأخلاقي عن أنانية الرجل وحسده، إن تسلط الرجل وأنانيته أدّيا إلى حفظ المرأة، وإخفائها عن الرجال الآخرين.

وأوضح العلامة المطهّري أن الإسلام رفض الحسد والأنانيّة. وقال: «بالغيرة» التي تؤدي إلى العفاف وطهارة المرأة وحفظ النسل.

أما الجذر النفسي فوليد العادة الشهريّة، وإحساس المرأة بالنقص أمام الرجل. فالمجتمعات القديمة ـ وخصوصاً اليهوديّة، والزرادشتية ـ كانت تنظر إلى المرأة الحائض نظرة فيها احتقار. بل كانت أحياناً تسجن في غرفة ولا تشارك الرجل في الطعام والشراب. أتى الإسلام وألغى هذه التقاليد واعتبر المحيض لوناً من الألم الجسدي. ﴿يسألونك عن المحيض قل هو أذى﴾(*)، وأرجع المطهري فلسفة الحجاب الإسلامي أي «الستر» إلى عواصل أربعة، هي: التوازن النفسي، وتمتين الرابطة الأسرية، والتماسك الاجتماعي، ورفعة المرأة واحترامها.

وانهى حكمه بقوله: «لا للحبس، لا للاختلاط المثير»

## مبحث الطلاق:

عرض فرضيّات تمثل الأنماط العالمية للطلاق. ناقشها وقارن بينها مبرهناً أن فرضية الإسلام هي أرقى الفرضيات وأفضلها وأكملها.

**الفرضية الأولى**: إباحة الطلاق تطلعاً إلى مباهج نفسية وجسدية مما يهدم المؤسسة الأسرية. يشيع هذا النمط في الولايات المتحدة الأميركية.

فبعض النساء قمن بعملية الزواج والطلاق عشرات المرات، عملاً بالمثل الأمريكي «العشق الثاني أشد حرارة». ونشرت مجلة «الأسبوع الجديد» الأميركية مقالاً عنوانه «الطلاق في أميركة» جاء فيه «إن الطلاق في أميركة أيسر من استئجار السيارة» (التاكسي) وأكدت الاحصائيات أن أكثر من نصف مليون إمرأة أميركية تُطلق سنوياً.

**الفرضية الثانية**: قدسية الزواج. فهو عقد مقدس لا يلغيه إلا الموت. تدعم الكنيسة الكاثوليكية هذا الاتجاه. وتتمسك به إيطالية وإسبانية. بيد أنه أثار ضجيجاً في إيطالية. إن ٩٧٪ من الإيطاليين

يطالبون بتعديل هذا القانون. واضطر عدد منهم إلى التنازل عن جنسيتهم طلباً لحرية الطلاق. ومشكلة هذه الفرضية أنها تحكم بالسجن مدى الحياة على الزوجين في الزواج الفاشل. هذا التشدد حمل فرنسة وبعض دول أوروبة الغربية على إباحة الطلاق، وتفويضه للرجل والمرأة بالتساوي ولأسباب غير منطقية.

الفرضية الثالثة: تحصر الطلاق بيد الرجل، وتعتبر المرأة سلعة، هذه نظرية العصور القديمة، انحسرت في عصرنا، ولا تحتاج إلى مناقشة.

الفرضية الرابعة: نظرية الإسلام. الزواج مقدس، والمؤسسة الأسرية مصونة، والطلاق مكروه، بل ﴿أبغض الحلال إلى الله﴾ الاكراه والمبغوضية أثارا حرجاً في الطلاق الظالم الذي يهتز منه العرش. قال النبي(ص): [ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق]. وقال الإمام الصادق(ع): «تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الطلاق يهتز منه العرش».

يؤلف الشقاق الإطار البغيض لصورة الطلاق، ويأتي الإصلاح فرضاً واجباً لمعالجة أسباب الشقاق في العمق. لحظ القرآن الكريم الإصلاح بين الزوجين موجهاً إلى تشكيل محكمة عائلية تتألف من شخصين: أحدهما يمثل الزوج والثاني يمثل المرأة. ممثلان من الأهل يعملان بإخلاص وروح مسؤولية لصيانة الأسرة من مخاطر انحلالها. قال تعالى: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما، فابعثوا حكماً من أهله، وحكماً من أهلها، إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما، إن الله كان عليماً خبيراً﴾[1].

إن أخفقت محاولات الإصلاح، وانتفى التفاهم، وطغى التخاصم فالإسلام لم يغلق الباب على الزواج الفاشل. فباب الخروج من هذا الزواج لا بد أن يُفتح أمام الرجل والمرأة ـ بشروط متباينة ـ حتى لا تتحول الحياة إلى سجن يأكل عمر الإنسان بلا ذنب. وعدّ الإسلام الطلاق في هذه المرحلة المستعصية صدقة أو إحساناً. قال تعالى: ﴿إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾، يتألّق الفرق بين المعالجات الطلاقية، الروحية والمادية.

فالقانون الأوروبي يؤثر في دائرة العلاقات والعقود المادية فقط؛ لأن القانون لا يستطيع أن يفعل شيئاً في الروابط العاطفية. في حين اعتمد الإسلام في معالجة الطلاق، المعطيات المادية عرضاً. وحضن الروابط الروحية والعلاقات الاجتماعية والعاطفية.

## تعدد الزوجات:

اتجاهات أربعة سادت النظام الأسري في العالم: التعددية المشاعية، وتعدد الأزواج وهما اتجاهان شاذان يتعاندان مع نظام الوحدة. وتعدد الزوجات، التعددية المشاعية، أو «الشيوعية الجنسية» حيث ينتفي اختصاص الرجل بإمرأة معينة، ولا تختص المرأة برجل معين. هذه المشاعية رفضتها المجتمعات البدائية المتطورة؛ لأنها تنفي «الحياة الأسرية» وهي تختص «بالتجمعات الحيوانية». صور وجودها قليلة أباحتها بعض القبائل البدائية. اعتمد الشهيد مطهري على «ول ديورانت» في «قصة الحضارة» لتأكيد ندرة

الزواج المشاعي. ولقد عرفته بريطانية القديمة وشاع عند اليهود الأقدمين[٧]. هذه النظرية أثبتها أفلاطون في جمهوريته، إذ اقترح الشركة الأسرية لطبقة «حكومة الفلاسفة، والفلاسفة الحاكمين». لكنه ما لبث أن اكتشف خطلها فعدل عنها.

وأطلت النظرية من جديد مع الماركسية في القرن التاسع عشر. دافع عنها «فردريك أنجلز». وبعد معاناة الشيوعية من التعددية أصدرت روسية سنة ١٩٣٨ قانون «الزوج الواحد، والزوجة الواحدة». بوصفه القانون الرسمي الوحيد الذي ينظم العلاقة الأسرية.

## تعدد الأزواج، أو زواج الرهط:

لون شاذ وغريب، عرفه عرب الجاهلية باسم زواج الرهط أو المشاركة. كما ورد في صحيح البخاري، وألغاه الإسلام، واعتبره نوعاً من الفحشاء. حدد «وِل ديورانت» بعض أماكن انتشاره في العالم بقوله: «إن هذا اللون يمكن ملاحظته لدى قبيلة (تودا) وبعض قبائل (التبت) وفصَّل (مونتسكيو) في (روح القوانين) بعض صوره قال: «هناك قبيلة تعيش في سواحل (مالابار) تدعى (النائير) لا يستطيع رجال هذه القبيلة الزواج بأكثر من واحدة في حين تستطيع نساؤ هم أن تختار أكثر من زوج واحد»[٨].

ناقش الشهيد مطهري نقاط الضعف لهذا اللون من الزواج. فهو لا ينسجم مع طبيعة الرجل ومصالحه. وخصوصاً اختلاط الأنساب. فتعدد الأزواج يتناقض مع الاطمئنان بالأُبوّة. ولا ينسجم مع طبيعة المرأة ومصالحها لأنها تريد العواطف الصادقة المتمثلة بحماية الرجل وتضحياته وعطفه. والتعدد يبدد هذه المزايا، ويحول حياة المرأة إلى فحشاء.

## نظام الوحدة:

اختصر الحديث عنه بقوله: «نظام الزوجة الواحدة والزوج الواحد أكثر أشكال الزواج انسجاماً مع الطبيعة، وتحكّم هذا اللون من الزواج روح الاختصاص»[٩].

## تعدد الزوجات:

أسهب الشهيد مطهري في التعاطي مع هذا النظام الذي أقرَّه الإسلام. استعرض الأصول التاريخية لوجوده، وناقش مبرراته، وعلل الأصول التشريعية الإسلامية بين الحدود والقيود. وأوضح التجاوزات التي ارتكبها الأفراد باسم الدين.

تعـدد الـزوجـات ظاهـرة عرفتهـا الشعـوب المتحضـرة. وكـان لها رواج بين عرب الجـاهلية واليهود والساسانيين، وأقرّها بعض أباطرة روما.

هذه الأصول التاريخية أَلَّفت أدلة صلبة أمسك بها الشهيد وانبرى يدافع عن الإسلام ضد الحملات المعـاديـة التي أعلنهـا رجـال الـدين المسيحي في القرون الوسطى. قالوا: إن نبي الإسلام طرح مبدأ تعدد الزوجات لأول مرة في حياة البشرية. وادّعوا أن شارة الإسلام ورمزه هي تعدد الزوجات. وأن علة انتشار الإسلام بين الشعوب هي سماحه بتعدد الزوجات. وانطلقوا إلى حكم مبتدع هو أن تعدد الزوجات سبب لتخلّف العالم الشرقي[١٠].

اختـار للرد على الهجـمات أقـوال (ول ديـورانت) فشهـادته لا مغمز فيها؟ قال ديورانت: «لقد ظنّ رجـال الـدين المسيحي في العصـور الـوسطى أن تعدد الزوجات للزوج الواحد نظام ابتكره محمد ابتكاراً لم يسبق إليه، لكنه في الواقع نظام سابق للإسلام بأعوام طوال..».

وإن كانت شهـادة رجـل واحـد لا تفي بالغرض، فقد أردف بشهادة «غوستاف لوبون» الذي قال في كتابه «تاريخ الحضارة»: «لم يشوّه أي من الأعراف الشرقية في أوروبة بحجم التشويه الذي تعرّض له (تعدد الزوجات) فقد اعتبر الكتّاب الغربيون تعدد الزوجات شارة الإسلام، وعاملاً من عوامل انتشاره وسبباً في انحطـاط الشعـوب الشـرقية... إلا أن هذا التصور من التصورات التي لا واقع لها. إذا استطاع قرّاء هذا الكتاب الأوروبيون أن يتنازلوا عن تعصبهم فسوف يصدِّقون أن تعدد الزوجات بالنسبة للنظام الاجتماعي الشرقي عرف أساسي استطاعت الروح الأخلاقية، في الشعوب التي شاع فيها هذا العرف، أن ترقى وأن تبقى العـلاقـات الأسـريـة قويمة بينهم. وفي المحصِّلة كان هذا العرف سبباً لإعزاز وإكرام المرأة في الشرق بشكـل أكـبر مما هي عليـه في أوروبـة... وقبل البدء بإقامة الدليل على هذه الدعوى أجد نفسي مضطراً للإشارة إلى أن عُرف «تعدد الزوجات» لا علاقة له بالإسلام»[١١].

بعد عرض أقوال المفكرين الغربيين تناول العوامل التاريخية الصانعة لتعدد الزوجات. أولها الفوارق الجسدية. من حيث القوة؛ استغل الرجل قوته، وتمثلت بالديكتاتورية، والتسلط، وعبودية المرأة وسيادة الأب...

العـوامـل الجغـرافيـة التي أطلقهـا «لـوبـون» و«منتسكيـو» ترتبط بمُناخ البلاد الحارة. رفض الشهيد مطهري هذا العامل مستدلاً بإيران وهي بلد معتدل، وعرف نظام تعدد الزوجات قبل الإسلام..

### العوامل الجسدية:

إن محدودية الإنجاب لدى المرأة، مضافة إلى العادة الشهرية مؤثران يفعلان في تعدد الزوجات.

## العوامل الاقتصادية:

الإفادة من عمل النساء في الحقول والبساتين والبادية.

## التكاثر البشري:

تكاثر الأبناء لزيادة أعداد القبيلة والعشيرة.

## الفائض النسائي:

أثبتت الإحصائيات أن عدد النساء في معظم البلدان يزيد على عدد الرجال. اعتمد إحصائيات هيئة الأمم المتحدة لعام ١٩٦٤. فالاتحاد السوفياتي مثلاً بلغ مجموع سكانه ٢١٦,١٠١,٠٠٠ نسمة منها ٩٨,٨٤٠,٠٠٠ (ذكر) و١١٨,٢١٦,٠٠٠ (أنثى). وتبقى نسبة التفاوت محفوظة حتى في سني التأهل للزواج. وأشار «برتراند راسل» إلى نتائج هذا التفاوت في بريطانية قال: «يزيد عدد النساء في إنكلترا المعاصرة على عدد الرجال بمليوني نسمة، ولا بد أن تبقى هذه النساء عوانس وفقاً للعرف السائد، وهذا حرمان رهيب»[١٢].

دوَّن الشهيد مطهري مأخذاً على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. الذي أغفل حق تشكيل الأسرة. وعرض بسخرية لنظرية «راسل» التي عالجت هذا المبدأ الإنساني. بعد أن أشار «راسل» إلى زيادة عدد النساء على الرجال، سمح للنساء العازبات باصطياد الرجال وإنجاب الأبناء غير الشرعيين للحيلولة دون حرمانهن من الأبناء. وبما أن المرأة الحامل أو المرضعة تحتاج إلى مساعدة مالية، فتحل الدولة محل الأب، وتقدم لمثل هؤلاء النساء معونة اقتصادية، متناسياً حاجة المرأة إلى مشاعر الزوج الصادقة وحاجة الطفل إلى معرفة الأب ونسبه وعطفه. وهكذا عالج «راسل» وأمثاله قضية الفائض النسائي بشحن المجتمع الانكليزي بالأبناء غير الشرعيين الذين بلغوا ١٥٪ من مجموع المواليد لعام ١٩٥٧[١٣].

وخلص إلى الحل الإسلامي الذي يبيح تعدد الزوجات ضمن حدود وقيود فيحفظ المرأة والأبناء والأسرة.

**الحدود والقيود**: رسمتها الآية القرآنية: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾[١٤].

الحد الأعلى أربعة نساء، وكان للرجل أن يجمع بين عشر نساء في الجاهلية[١٥] وتمثلت القيود بشرط العدالة في المعاملة، هذه العدالة المقرونة بالخوف، كبحث جماح التعدد، وبات يتراوح في العالم الإسلامي

بين ٧ و٤٪ وهـذه النسبـة تفي بحـاجـة الفائض النسائي . ولم يغفل الشهيد مطهري المشكلات الاجتماعية التي تنجم عن التعدد من التنافس بين الضرائر وأبنائهن . والإزراء الذي يصيب الزوج الأولى بناء لاختلال شرط العدالة مادياً وعاطفياً . وأكد أن التزام الشروط الإسلامية يخلق أجواء الألفة والمحبة ، وتتحول الضرائر إلى أخوات تحكمهن التضحية .

الأحكام الإسلامية قوانين إلهية تضمّنها القرآن الكريم وهي أرقى أنواع التشريع ، لا تقبل المقايضة بقوانين وضعية ـ شخصانية ، فتعدد الزوجات كما شرعه القرآن الكريم يؤلف النظام الأمثل لحفظ الحياة الأسرية ومعالجة جذرية لمشاكل عنصري المجتمع : المرأة والرجل معالجة تؤصّل روابط الطهارة والعفة ، وتصون الشرف الإنساني وتحمي الأسرة من الاهتزازات المدمّرة .

■ ■ ■

الحواشي :

١ ـ النساء /١

٢ ـ الأعراف : ١٩ ـ ٢٢

٣ ـ مطهري : حقوق المرأة في نظام الإسلام : ١٨٩

٤ ـ المطهري : مسألة الحجاب : ٦٠

٥ ـ البقرة ٢/٢٢٢

٦ ـ النساء /٣٥

٧ ـ ول ديورانت : قصة الحضارة : ١/٦٩

٨ ـ مطهري : حقوق المرأة : ٣٣٢

٩ ـ حقوق المرأة : ٣٢٩

١٠ ـ المرجع نفسه : ٣٣٤

١١ ـ المرجع نفسه : ٣٣٦

١٢ ـ راسل : العلاقة الجنسية والأخلاق : ١٥٠

١٣ ـ حقوق المرأة : ٣٧١

١٤ ـ النساء / ٣.

١٥ ـ الطبري : تفسير الطبري ٤ / ١٥٧ .

# جولة في فكر العلامة المطهري

الدكتور جواد المرابط

**إن الحـديث عن المفكر الإسلامي الكبير الشيخ مرتضى المطهري إنما هو حديث عن نابغة من نوابغ العالم الإسلامي، والحديث عن أهم ما فكر فيه كبار الفلاسفة والمفكرين في العالم.**

**وهو الحديث أيضاً عن معالجة ماهو عليه شبان الجيل المعاصر من حالـة ضيـاع بانقيـادهم إلى الأفكـار المـاديـة وانطـلاء ما قام به عمـلاء الاستعمار من مستشرقين ومبشرين وصهاينة من تشويه للمعاني السامية لرسالة السماء.**

وهو الحديث أيضاً عن مقاومة الحرب الخفيّة التي تشن من الداخل عن طريق أفواج من خريجي المدارس التي أنشأها المستعمرون، الذين باعوا ضمائرهم وهم يتولون زرع الأفكار الهدامة وتزيين كل ما يستدرج لمهاوي الفساد.

من الأفكار الأصيلة التي نشرت، في نفس الوقت الذي نشر فيه العلامة مرتضى المطهري كتابه القيم (الـدوافـع نحـو المـاديـة) صدر كتاب اسمه (تراث الإسلام)عن جامعة اكسفورد بإشراف توماس أرنولد وألفرد غيوم جاء فيه (إن الشريعة الإسلامية تحتوي على مبدأ المعاونة المشتركة التي تعني المساواة بين الجميع، كما شجعت النشاطات العلمية في مجال الزراعة والصناعة والتجارة، ومنعت الاستغلال، وحثت الإنسـان أن يعيش من عمله وحـرّمت التبـذيـر وتبـديـد الثـروة، واعتبرت المصلحة العامة هي الأساس، فكان للإسلام أبلغ الأثر على التشريعات الأوربية الحديثة من غير شك).

فإذا جئنا إلى كتاب العلامة مرتضى المطهري نجد فيه الرد على كل من قال بالإلحاد في القديم والحديث وقد جاء فيه (عندما ينتهي تفكير الإنسان إلى أن هذا الكون لا يمتلك هدفاً معيناً وليس فيه أي إدراك أوشعـور، أوتعقـل، وأن الإنسـان خلق نتيجـة للعصرنة وعلى أساس العبث، وأن صحيفة

الإنسان ستغلق بعد موته، وعندئذ سيفكر مثل هذا الإنسان المادي عقائدياً في أن يغتنم الفرصة لإشباع اللذة ولا معنى للتفكير في الحسن والقبح وإتلاف العمر في ذلك.

وفي الكتاب نفسه عند بحث (الجبر والاختيار) إن (جان بول سارتر) قال (لأني أعتقد وأؤ من بالحرية فإني لا أستطيع أن أكون مؤمناً معتقداً بالله، لأنه لو قبلت الله فلا محالة من قبول القضاء والقدر، ولو قبلت القضاء والقدر لم يمكني أن أختار حرية الفرد ولأني أريد اختيار الحرية وأؤ من وأعتقد بها فلست مؤمناً بالله).

لقد كان (سارتر) يجهل معنى (القضاء والقدر) الذي يعنيه الإسلام، ذلك أن (القضاء) هو نواميس الكون التي خلقها الله في الكون أي هو التعبير الإسلامي للإيمان بما أقره العلم في عصوره الأخيرة عن وجود قوانين طبيعية في الكون لا تتبدل قال تعالى: ﴿سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾.

أما (القدر) فهو مسيرة الشيء على مقتضى تلك النواميس. لذلك قال الفيلسوف ابن رشد (نازعوا القدر بالقدر) وهذا معناه، أن ما يصيب المرء من (قدر) كالمرض مثلاً، فإننا ننازعه (بقدر) اتخاذ الدواء، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال [تداووا فإن لكل داء دواء] وقال عندما سئل عن الاستسلام للمرض لأنه من (القدر) قال [إن الدواء من القدر].

وإن في هذا الجواب، وفي هذا المثال الذي ذكرته، يقاس أن الأمة، التي تمنى بتخلف في صناعتها وزراعتها، وهي في تخلف بجهلها أو انتشار فساد من ناشئتها، وتعتبر أن هذا هو (قدرها)، عليها أن تصارع ذلك بقدر، قرره الإسلام، وهو أن كلّ حاجة تحتاج إليها الأمة، فإن من فرض الكفاية، أن يقوم عليها طائفة من تلك الأمة، وهذه الطائفة يقع في مقدمتها، العلماء الذين كانوا وما زالوا مفخرة هذه الأمة بإيمانهم وقوة إخلاصهم ونبل مقاصدهم.

فقدرنا اليوم كقدر كل أمة، إنما هو رهن بما يقوم به العلماء، من توجيه للمربين والمهندسين والزراعيين والصناعيين، وبأن يترك لهؤلاء العلماء أن تكون لهم سلطة توجيه الأمة وخدمة الوطن الإسلامي ككل، ورحم الله شوقي فإنه قال:

هذا الزمان تناديكم حوادثه ... يا دولة السيف كوني دولة القلمِ
فالسيف يهدم فجراً ما بنى سحراً ... وكل بيان علم غير منهدمِ

وأما قول (سارتر) عن (الحرية) التي يؤ من بها وهي سبب جحوده، فالجواب عليه هو أن حرية التصرف المطلق، بيد من قال (وربُك يخلق ما يشاء ويختار) ما من إنسان يستطيع أن يخلق نفسه على ما يشتهيه باللون والشكل، وسعة العقل، وما من إنسان يستطيع أن ينقل الشمس من مكانها، أو يوقفها عن مدارها أو ما من إنسان اختار موطن ميلاده، ولاجنسه ولازمن وجوده. والإنسان مكلف بما هو في

مستطاعه، وهو أن يقمع شهواته، ويلجم غضبه، ويعمل الخير لنفسه، ولغيره، وهذا ما نسميه (حرية التكليف)، لأن معارفنا تقف عند حد معرفة آثار الله، ولكن معارفنا هذه تبقى دون معرفة من قال قدست أسماؤه ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزل إلا بقدر معلوم﴾، أما الحرية المطلقة، فهي ملك الله وحده سبحانه.

وهنا أنقل ما قاله العلامة الكبير السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير (الميزان في تفسير القرآن) وقد كتبه بالعربية في عشرين مجلداً قال: (يضم القرآن الكريم مجموعة من القوانين والنظم التي تطابق نظام الخلقة والتكوين وهي ثابتة لا تمسها يد الأهواء والرغبات: تجسد الحق ولا تتبع الأهواء الديكتاتورية الفردية، ولا إرادة الأكثرية، بل أنها تسلب حق التبديل)

لقد كان العلامة الشيخ مرتضى المطهري أحد الذين على وعي بأن خطة المستعمرين هي تهديم تراث ومعتقدات وأخلاق الشعوب المستعمرة وقد جاء بمذكرات مستر همفر أن وزير المستعمرات البريطاني قال له (إنا استرجعنا إسبانيا من الكفار (يقصد المسلمين) بالخمر والبغاء، فعلينا أن نجعل تحركنا للاستيلاء على بلادهم والتحكم بمقدراتهم باستخدام هاتين القوتين العظيمتين).

أقول إن من حقنا أن نتساءل هل الدين الذي فيه الدعوة لأخوة إنسانية ولإقامة العدل والتضامن الاجتماعي والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة الظلم والمفاسد والشرور والمنكرات والاضطهاد وبها يجعل الإنسان أن يعرف في نفسه بأن لا إله إلا الله، هل من حق هذا الدين أن تحشد ضده كل أساليب التشويه والعمل لإذلال أهله.

| | |
|---|---|
| يقولون في الاسلام ظلماً بأنه | يصد ذويه عن طريق التقدم |
| فإن كان ذا حقاً فكيف تقدمت | أوائله في عصره المتقدم |
| وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله | فماذا على الإسلام من جهل مسلم؟ |

وأما بعد فإن كل ما كان يبغيه المفكر الألمعي الشيخ مرتضى المطهري:

أن لا يكون المسلمون في حالة يجلبون إلى أنفسهم الخسار في تمزق وشتات.

أن لا يكونوا محطمي النفس من مطارح الهوان كالأعظم النخرات

يريدهم أن يربطوا أنفسهم مع من كانوا المتوثبين نحو القمم في كل شيء وبه كانوا السعداء

يريدهم أن يكونوا المتطلعين لما يرضي العقل والضمير فيهم تلك الروح التي كانت في الأجداد والآباء.

# المطهّري ومعالجته للمشكلات الاجتماعية والفكرية

الدكتور أبو زهراء النجدي

## ١ ـ الشهيد مطهّري منبع عطاء

نقف في هذا البحث أمام عملاق من عمالقة الفكر الإسلامي، وأمام مدرسة مستقلة في العطاء تنهل من منابع الإسلام العظيم، وأمام حركة دؤوبة لا تعرف التوقف تزخر بالبناء والعطاء، بناء الفكر، وعطاء الروح، نقف أمام ثورة ثقافية، وثروة علمية، ومكتبة إسلامية ضمّت أزاهير مختلفة مفعمة بأريج الإسلام، اصطفت جنباً إلى جنب، فكوّنت باقات ورد ربَت على الخمسين، نقف أمام معين ثرٍّ دفّاقٍ، ومعطاء لا ينضب، وعامل من عمال الله لا يعرفُ الكَلل والعناء، نتحدث عن شهيد من شهداء الإسلام العظام، وفّق لأن يُعطى الخلود في كل عطائه، وامتاز في حركته الخالدة بالميزات الثلاث، التي يشرحها هو فيقول واصفاً حركة الشهيد:

١ ـ فهو يقتل في سبيل تحقيق هدف مقدس.

٢ ـ وهو يكسب حالة الخلود.

٣ ـ وهو يخلق جواً من الصفاء والطهر في المجتمع المحيط به.

وقد تحققت هذه الميزات الثلاث في عملاق من عمالقة الثورة الإسلامية المباركة، وعقل من عقولها النيّرة الثاقبة وشهيد من شهدائها الأبرار ذلك هو الشهيد مطهري، ولنستمع له وهو يعلل سر الخلود للشهداء فيقول: «إن الشهيد هو من يعطي لدمه قيمة أبدية وخالدة.. فمن يضع ماله في خدمة أعمال الخير إنما يعطي لفكره مفهوم الخلود، ومثلهُ من يضع صناعته وفنه، فهو يعطي لفنه الأثر الخالد، وكذلك من يربّي ابنه أو يربّي الآخرين، فإنه يعطي الخلود لأعماله، بينما الشهيد يعطي لدمه الأبدية والخلود، وهذا هو الفرق بين الشهيد وغيره، فالشهيد هو ذلك المضحّي بكل ما يملك عن عشق ووفاء للمبدأ السّامي، بينما العالم، أو المنفق، أو المعلم، أو الفنان، فإن كل واحد منهم يضحّي بقسم مما يملك ويعطي لذلك القسم تلك الأبدية وذلك الخلود، والفيلسوف والمنفق والفنان، وغيرهم، مدينون جميعاً للشهيد في أعمالهم، وإبداعهم، بينما الشهيد غير مدين لأي كان، وإن دم الشهيد لا يسقط على الأرض، بل يصبح مضاعفاً، ويتم تزريقه للآخرين في عروقهم، ويظل جارياً إلى الأبد فيهم.

وهـذا هو معنى خلود دم الشهيـد. وهـذا هو معنى الحـماسـة الأبدية للشهيد. ولهذا نرى أن الأولياء والصالحين كانوا يأملون الشهادة على الدوام، وأن الإسلام بحاجة إلى الشهيد في كل عصر وزمان»[١].

وقـد تحققت هذه المعـاني في الأستـاذ الشهيـد مطهـري، فهـو معطاء ومضحٍ وشهيدٌ في فكره، ووقته ومـالـه، وفنّـه في التأليف والخطـابـة، وأسلوبه في دعوة الناس إلى الحق، وفيما ترك من آثار علمية، شملت الكتب والأشرطة المسجلة لمختلف موضوعات الحياة، والتلاميذ الذي نهلوا من معينه ومحاضراته في مختلف العلوم الإسـلاميـة، ثم توّج كل ذلـك ببذل دمه وروحه ونفسه في سبيل الله سبحانه، محققاً أهدافاً مقدسة كبرى، أولاها المحافظة على دولة الإسلام هذه الدولة التي تأسست على دماء الشهداء من أمثال الشهيد مطهري، وعلى مداد العلماء، من أمثال عملاق الفكر للثورة الإسلامية المفكر المطهري. إن أهداف الناس قد تكون عظيمة ومهمّة إلا أنها لا تكتسب القدسيّة حتى لو كانت تلك الأهداف كبرى، ويُميّزُ الشهيد بين الهدف المقدس وغيره فالمضحِّي في سبيل أهداف عظيمة غير سامية يكون في الواقع قد وسّع بذلك العمل الكبير من دائرة حبِّ الذات والدائرة النفعية لديه، ومثل هذا الشخص لو تمكن من تسخير كل الكواكب السـماويـة، فإنـه لن يتمكن من كسب حالـة القـداسة لأعماله، فالعمل يكون مقدساً فقط عندما يخرج من محيـط دائـرة حبِّ الـذات، والمنفعة الشخصية، وهنا لا بد من التحقيق في موضوع المعيار والملاك الأساسي المطـروح للقـدسيـة، ولماذا حبُّ الذت والأنانية عملان دنيئان، بينما العمل الذي فيه خدمة الغير، والقيام بالواجب، والمسؤولية أو رضا الله، يكون عملاً مقدساً؟ فهل المعيار هو في المادية والتجرد؟ أو أن المعيار هو في الـوجـود والعـدم؟ أو في الحركة والتوفيق؟ أو أن المعيار يكمن في التناسق مع أهداف العالم والحركة التكاملية الكونية؟ أو أن علّة القداسة هي في الأبدية، والخلود، والنجاة من الموت؟

وعنـدمـا يقـال بأن «المقتول دون عياله؛ وماله، شهيد» فإنه في الواقع كذلك، بسبب قيامه بالواجب والتكليف اللذين أمـلاهما عليـه وجـدانـه وكـرامتـه، وشرفه، ودينه، وليس عندما يكون الدافع هو المنفعة المـاديـة. فما بالـك أن يكون المقتول قد قتل دون العدل والحرية، ودون التوحيد والإيمان، فإنه لا شك أكثر قدسية، وأعلى مرتبة، وأرفع درجة»[٢].

إن الأهداف التي ضحى من أجلها الشهيد مطهري أهداف نبيلة، وغايات ساميّةٌ لأنها مرتبطة بالأمر الإلهي، لأنهـا مرتبطـة بدين الله تعـالى، ولـذلـك اكتسب الخلود في شهـادته وفي كل بذله وعطائه، وذلك لارتباط تلك الأهداف بالدين الخالد الذي أكسبَ كلّ ما تَعلّقَ به الخلود. إن الحديث عن شخصية علمية وثورية عظيمة مثل الشهيد مطهري يحتاج إلى وقت طويل، ولكن مشاركة مني في إحياء ذكرى هذا الشهيد العمـلاق سوف أقتصـر طريقـة معالجة الشهيد لبعض المسائل الإسلامية في تأليفاته وتصانيفه، ومنهجيته في الطرح والأسلوب، ومدى نجاحه في ذلك. وسوف نقتطف من كتبه بعض هذه المسائل التي تُبرز منهجيته في مخاطبـة عقـول النـاس ووجـدانهم وعـواطفهم، ومـدى نجاحه في معالجة المشاكل التي تسود المجتمعات الإسـلاميـة، أو بعض تلك المجتمعـات، وبيـان الأمـراض الاجتـماعية وطريقة علاجها، بأسلوبه الشيّق

الجذاب، وبعباراته الواضحة، التي تنساب إلى القلب وتثبت في العقل، نتيجة لما تتضمّنه من حجج قوية، وبراهين ساطعة، وأنوار كاشفة، تكشف عن ثغرات المجتمع، وتسلّط الضوء على ما يعانيه كثير من المسلمين من الجدب الفكري، وكثرة الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام، في محاولة دنيئة لخلط الأوراق، وإلصاق سلوك بعض المسلمين، وبعض المجتمعات الإسلامية، وعاداتهم وتقاليدهم بالمبادىء الإسلامية، ثم البدء بشن الهجوم على الإسلام، بحجة أن تلك العادات والتقاليد، وذلك التفكير المشبوه محسوب على الإسلام، أو هو الإسلام بذاته. لا بدّ من الإشارة أن مؤلفات الشهيد المطهري في اللغة الفارسية، وقد ترجم أغلبها إلى اللغة العربية، ولعل دراستها باللغة التي كتبت بها تعطيها جمالاً أكثر، وتضفي عليها وضوحاً أكمل، وذلك لما يعتري بعض الترجمة من النواقص غير المقصودة، ولكن لضرورات تقتضيها الترجمة، ولتوفر بعض الأساليب في لغة دون أخرى، وكذلك بعض الأمثلة، والقصص والتراث، ومدى تأثير ذلك في ذهنية ونفسية المخاطب، لذلك نعتذر للقارىء بأننا سوف نضرب صفحاً، عن دراسة هذه النواحي وذلك لعدم معرفتنا باللغة الفارسية وآدابها الغنية بالأمثال والفنون المختلفة، وسوف نقتصر في دراسة أسلوب معالجة المسائل على القضايا العلمية والمعنوية مع إشارات قليلة إلى ما اعتذرنا عنه، والله ولي التوفيق.

## ٢ ـ الحالات المشروعة للجهاد:

يتناول الشهيد المطهري في كتابه «الجهاد وحالاته المشروعة في القرآن» موضوعاً مهماً من الموضوعات الإسلامية وهو من الموضوعات التي ندرت الكتابة عنها، حيث أن المكتبة الإسلامية مفتقرة لمؤلفات الجهاد في الإسلام، ونتيجة لعدم ممارسة المسلمين في القرون المتأخرة هذا الفرع من فروع الدين بشكل عملي ـ إلا نادراً ـ ونتيجة للتخلف الحضاري الذي ساد دول العالم الثالث، وبسبب الهيمنة الاستكبارية على العالم الإسلامي قلّت كتب الجهاد، وكثرت شبهات المستشرقين حول موضوع الجهاد في الإسلام، حتى اعتبر العالم المسيحي الجهاد نقطة ضعف في الإسلام، ووصف الإسلام بأنه دين الحرب وليس دين السلام، وأن المسيحية هي دين السلام. وكثرت التساؤلات حول ماهية الجهاد، وهل أن الإيمان يُفرض بالقهر؟ وهل أن التوحيد هو ضمن الحقوق الإنسانية التي يمكن الدفاع عنها؟ أم لا؟ وإذا كانت الإجابة بالايجاب، فهل الجهاد من أجل إزالة العوائق عن طريق الإيمان والتوحيد؟ أم لأجل فرض الإيمان والتوحيد؟ وهل الجزية التي فرضها الإسلام على أهل الكتاب للتكريم أم للعقاب؟ وهل أن التربية تفرَض أم لا؟

كل هذه التساؤلات وغيرها يعالج الشهيد قسماً منها بشكل مسهب وقسماً آخر بشكل مقتضب، في حين يترك بعض التساؤلات التي يطرحها في هذا الكتيب القيّم بدون إجابة، وهذا من أساليب الشهيد في التأليف فهو أحياناً يطرح المشكلة الفكرية أو الاجتماعية، ويدعها بدون أن يجيب عليها وكأنه يستحث المفكرين ويشحذ الهمم للإجابة على تلك التساؤلات ولوضع الحلول لتلك المشكلات، ومثال ذلك فإنه

في موضـوع «الفـرق بين المشـرك وغـير المشـرك»[3] يثبت بشكـل قاطع التمييز في الجهاد بين الشرك وغيره، وكذلك يثبت تبايناً بين مكة والأماكن الأخرى، إلا أنه في آخر الموضوع، يطرح تساؤلاً ويدعه بدون جواب فيقول: «لكن هل يوجد اختلافُ بين الجزيرة العربية وغير الجزيرة العربية، أم لا؟ هذه مسألة أيضاً»[4].

وهذه بعض المسائل التي عالجها الشهيد في هذا المجال:

**أ ـ هل يمكن محاربة جميع أهل الكتاب؟**

يتعـرض الشهيـد في هذا البحث لقـوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يُحرِّمون ما حرّم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾[5]. من المعلوم أن أهل الكتاب اليهود والنصارى، ويحتمل بعضهم ضم المجوس إليهم، والجزية: مشتقة من الجزاء، والجزاء مرّة يأتي بمعنى الهديّة، ومرة بمعنى العقاب، وإذا استعملت بمعنى العقوبة، فهي حينئذ بمفهوم الفدية، وإذا كان مفهومها الهدية، فأصل الموضوع يتغير ـ كما سيأتي بحثه في موضوع الجزية تكريم أم عقوبة ـ وهناك من يدّعي أن الجزية كلمة معربة عن الفارسية، وأصلها بالفارسية «كـزيـة»، وهـذه تعني بالفـارسية الضريبة السنوية التي وضعها «أنوشيروان» في إيران، وعندما عربت هذه الكلمـة أبـدلت «الكـاف» جيـماً فأصبحت الجـزيـة بدلاً من الكزية، والشهيد المطهري بعد تحليله لمعناها اللغوي باحثاً عن أصلها الأصيل، يرى أن مفهومها بالقرآن الكريم بمعنى الهدية[6]، لا بمعنى العقوبة، الذي يؤدي إلى معنى الفدية، وينشأ من هذا الخلاف خلاف آخر، وهو: هل أن هناك تبايناً بين ما يدفعه المسلمـون من الضـرائب، وبـين ما يدفعه أهل الكتاب، ويفسر الشهيد مقطعاً من هذه الآية ذاهباً إلى أن معنى الجزية الضريبة ويؤول معناها بمعنى الهدية فيقول: «وهي ـ أي الآية ـ تصرح بوجوب مقاتلة أهل الكتاب، إلا أنها تلمِّح إلى وجوب مقاتلة المنحرفين منهم من خلال قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليـوم الآخـر﴾، وكـل من سارـ من أهـل الكتـاب ـ على هذا الطريق فهو مشمول معهم بوجوب المقـاتلة حتى يعطـوا الجـزيـة، أي حتى يعلنـوا الخضـوع للمسلمـين ويـرتدعوا عن معصية الله، ويدفعوا الضريبة المفروضة عليهم، عند ذلك يتوجب الامتناع عن محاربتهم، ويتوقف القتال ضدهم»[7].

ثم يستعـرض الشهيـد المطهـري رأيين في أهل الكتاب، ويطرح المسألة بدون أن يرجّح أحد الرأيين على الآخر، وهذا أسلوب من أساليبه في التأليف، أنه يطرح بعض التساؤلات ويدعها بدون إجابة، إما لعـدم استكـمال الـدليل لديه، أولعدم حصول الترجيح، أوإثارة للآخرين لطلب البحث، أو لأمور أُخر، ويقـول في هذا الصـدد: «مـا المقصـود منه؟ ـ أي محاربة أهل الكتاب ـ هل المقصود هو أن كل شخص من أهـل الكتـاب سواء كان يهوديـاً أومسيحيـاً أوله مذهـب آخـر لا يؤمن بالله ورسـوله وبالحرام والحلال ودين الحق، وحتى لو ادعى وقال إنه يؤمن بالله، فإنه يكذب وليس له إيمان؟ هل يريد القرآن أن يقول: إن جميع أهـل الكتـاب لا يؤمنـون بالله في الـواقـع بالرغم من ادعائهم الإيمان بالله؟ يمكن أن نقول، بما أن هؤلاء يقـولـون عن المسيـح إنـه الـرب أويقولون إنه ابن الله، فإنهم لا يؤمنون بالله، أو اليهود مثلاً، إن ما يقولونه

حول يهودا هو غير الرب الحقيقي، فهؤلاء لا إيمان لهم، وإن الذين يقولون: ﴿يد الله مغلولة﴾[8] لا يؤمنون بالرب الحقيقي، وكذلك الحال بالنسبة لسائر أهل الكتاب.

لو قلنا هذا، فمعناه أن القرآن لا يعترف بإيمان غير المسلمين بالله وبالقيامة. فكيف ولماذا لا يعترف؟ من ناحية أنه يقول: في الواقع أن هناك شكاً في إيمان هؤلاء. إن مسيحياً (على الأقل في طبقة علمائهم) يقول: الله، وحتى أنه يقول: الله الواحد، لكنه في نفس الوقت يقول أشياء حول المسيح ومريم، بحيث يشوّه الإيمان بالله. إن وجهة نظر بعض المفسّرين هي، عندما يدعو القرآن إلى محاربة أهل الكتاب فإنه يقول حاربوا جميع أهل الكتاب الذين إيمانهم بالله، وبالقيامة، وبالحرام والحلال ليس صحيحاً. وباعتقاد هذه المجموعة فإن المراد من كلمة الرسول هو خاتم الأنبياء(ص)، والمراد من دين الحق، هو الدين الذي يتوجب على جميع البشر قبوله... إلا أن مجموعة أخرى من المفسرين تقول: أراد القرآن بهذا التعبير أن يقسم أهل الكتاب إلى قسمين... أراد أن يقول: إن جميع أهل الكتاب ليسوا متشابهين، حيث أن بعض أهل الكتاب يؤمنون ـ في الواقع ـ بالله وبالقيامة وبقانون الله فلا شأن لكم بهم، بل حاربوا تلك المجموعة من أهل الكتاب التي اسمها أهل الكتاب، ولا يعتبرون في الواقع حرام الله ـ حتى الأشياء المحرمة في دينهم ـ حراماً. إذن لا تحاربوا جميع أهل الكتاب، بل حاربوا مجموعة من أهل الكتاب. هذه هي مسألة بحد ذاتها»[9].

ب ـ الدفاع أم الإعتداء:

تقول المسيحية: إن الحرب بصورة عامّة سيئة، والسلام حسن ولا بدّ لكل دين يأتي من قبل الله تعالى أن يدعو إلى السلام باعتباره شيئاً جيداً، المسيحية تقول: إذا ضربوا خدّك الأيمن فأعطهم خدّك الأيسر، أما مسيحية اليوم فتدخل الحياة عن طريق آخر، تحت عنوان: طريق الحق الطبيعي للإنسان. الطريق المحقق للحرية، والحرب منافية لحق الحرية، بمختلف أنواعها: حرية العقيدة، حرية الإرادة، حرية اختيار المذهب، حرية اختيار الجنسية، ويجيب الشهيد المطهري على هذه الشبهات من منطلق المفاهيم القرآنية فيقول: «أما القرآن فيقول: كلا، إذا حصل أحياناً هجوم من طرف ولم يدافع الطرف المقابل فلن تستقر حجارة على حجارة: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبِيَعٌ وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾... عرفنا إلى هنا، أن القرآن قام أساساً يشرح الجهاد ليس بصفة اعتداء وغلبة وسيطرة وإنما بصفة النضال ضد الاعتداء» ثم يبين الشهيد أنواع الاعتداءات ويدرج معها: أن يقوم المقابل في أرضه بتعذيب جماعة المستضعفين، ففي مثل هذه الظروف لا يمكن أن نكون غير مبالين بل أن من رسالتنا تحرير هؤلاء، ونوع آخر من الاعتداء وهو أن يقوم شخص بإيجاد جوٍّ من الإرهاب بحيث لا يسمح بنمو دعوة الحق هناك فيوجد سدّاً، مما يتطلب هدم ذلك السدّ، فيجب تحرير الناس من القيود الفكرية وغير الفكرية، يقول الشهيد: «وإن الجهاد أمر ضروري في هذه المجالات. ومثل هذا الجهاد هو دفاع ومقاومة ضد الظلم الموجود، ولكن يجب أن نبحث في أنواع الظلم والاعتداءات وضرورة

الجهاد والنضال ضدها من وجهة نظر الإسلام»* ثم يفرّق الشهيد بين الاعتداء المذموم والحرب الممدوحة، ومعنى الصلح الذي هو ليس الاستسلام وقبول الذلّة فيقول في هذا الشأن: «مما لا شك فيه أن السلام جيد. ومما لا شك فيه أيضاً أن الحرب تكون سيئة إذا جاءت بمعنى الاعتداء على الآخرين والاعتداء على من ليس لهم أي خلاف مع المعتدي، وليس لهم أي خلاف مع المجتمع، والاعتداء لاحتلال أراضيهم والإغارة على أموالهم أو من أجل جعل هؤلاء عبيداً والسيطرة عليهم. الشيء السيء هو الاعتداء، إلا أنه ليست كل حرب من قبل كل شخص عدوانية، حيث يمكن أن تكون عدوانية، ويمكن أن تكون رداً على الاعتداء، لأنه يتطلب أحياناً الرد على الاعتداء بالعنف، أي عندما لا تتوفر وسيلة غير العنف للرد على الاعتداء... لو تساوت قوتان، وكانتا ترغبان في التعايش السلمي على أساس الحقوق المتقابلة والاحترام المتبادل، .فهذا يعني السلام، والسلام جيد ويجب أن يتوفر، أما في بعض الأحيان وحين يكون أحد الطرفين معتدياً ويستسلم الطرف الثاني أمامه باعتبار أن الحرب سيئة، أي أن يتحمل مذلّة تحمل العنف. فهذا ليس سلاماً بل هو الخضوع والاستسلام أمام العنف الذي ليس اسمه السلام. وهذا يشبه بالضبط أن تمر أنت في صحراء ثم يهاجمك شخص مسلح، ويقول لك ترجّل فوراً من السيارة، وارفع يديك إلى الأعلى، وأعطني ما تملك. لذلك تستسلم أنت وتقول بها أنني أرغب في السلام، فإنني أرفض الحرب على الإطلاق، وأوافق على ما تقوله أنت، أي أسلّم أموالي لك... أسلم الأثاث والحاجات الأخرى لك.. أعطيك السيارة... أطيع ما تقوله.. قل ما تريد لأعطيك.. لأنني أرغب في السلام. هذا لا يعتبر رغبة في السلام، وإنما قبول الذلّة. هنا يتوجب على الإنسان أن يدافع قدر الإمكان عن ماله عن سمعته، إلّا إذا توصل إلى هذه النتيجة وهي أن دفاعه ينتهي إلى الذهاب بماله وحياته وأن دمه سيذهب هباءاً. من الممكن بالطبع أن يراق دم ويظل يغلي حتى ينتج في المستقبل أمراً له قيمة عالية، لا أن يراق بيد سارق ويذهب هدراً. المقاومة هنا ليست منطقية، بل يجب على الشخص هنا أن يضحّي بماله وثروته ويحافظ على حياته. إذن هناك فرق بين الرغبة في السلام وبين قبول الذلّة، حيث أن الإسلام لا يسمح مطلقاً بقبول الذلّة، لكنه في نفس الوقت يرغب في السلام»[١٠].

## جـ ـ التوحيد حقٌ شخصي أم عام؟

في هذا البحث يعالج الشهيد المطهري مسألة مهمة من المسائل التي طالما شَوَّش فيها المستشرقون أذهان الناس، وأثاروا الشبهات ضد الإسلام، بادعائهم أن الإسلام انتشر بالسيف، وأنه حدد حرية الآخرين، وأنه فرض عقائده على الآخرين، وفي هذا البحث هناك عدّة مسائل، منها هل أن التوحيد يمكن فرض الإيمان به على الآخرين؟ وهل أن التوحيد حقٌ شخصي أم عام؟ والمسألة الثالثة هل أن الدفاع المشروع ينحصر في الدفاع عن الحقوق الشخصية (الفردية) أم أنه يتسع ويجب حتى في الدفاع عن الحقوق الإنسانية؟ والحرية ما دامت في عداد المقدسات البشرية فإذا تعرضت في مكان ما من العالم، فهل الدفاع عنها سيكون مشروعاً أم لا؟ هذه التساؤلات في هذا البحث يطرحها الشهيد، ويشرع بالإجابة عنها بطريقة واضحة ومقنعة.

وفي صدد الدفاع عن الحق الشخصي والعام يقول الشهيد: «من الممكن أن يقول شخص: ماذا يعني الدفاع عن الحقوق الإنسانية؟ يجب عليّ أن أدافع فقط عن حقوقي الشخصية، وإلى الحد الأقصى عن حقوقي القوميّة، فما شأني وشأن الحقوق الإنسانية؟ هذا الكلام غير صحيح الدفاع عن الحقوق الإنسانية مقدّم على الدفاع عن الحقوق الفردية والاجتماعية، هناك أشياء هي أفضل من حقوق شخص أو من حقوق شعب، وهي أكثر قدسية، والدفاع عنها أفضل من الدفاع عن الحقوق الشخصية عند الضمير البشري. وتلك الأشياء هي المقدسات الإنسانية، وبعبارة أخرى، أن ملاك قدسية الدفاع ليس هو أن يدافع الشخص عن نفسه، بل أن الملاك هو وجوب دفاعه عن «الحق». عندما يكون الملاك «حقاً» لا فرق بين الحقوق الشخصية والحقوق العامة والإنسانية، بل أن الدفاع عن الحقوق الإنسانية هو أكثر قدسية. واليوم وإن لم يذكروا اسمه إلا أنهم يعترفون به عملياً. مثلاً أنهم يعتبرون الحرية في عداد المقدسات البشرية. الحرية لا تتعلق بشخص واحد أو بشعب واحد. والآن، إذا تعرضت الحرية إلى اعتداء في مكان ما، لكن ليست حريتي وليست حرية شعبي، بل أن الحرية التي هي جزء من الحقوق العامة لجميع الناس قد تعرضت للإعتداء في مكان ما من العالم، فهل أن الدفاع عن هذا الحق الإنساني بعنوان الدفاع عن «حق الإنسانية» سيكون مشروعاً أم لا؟ إذا كان مشروعاً فإنه لا ينحصر بذلك الفرد الذي تعرضت حريته للاعتداء، حيث أن أشخاصاً آخرين وشعوباً أخرى تستطيع أيضاً بل يتوجب عليها أن تسارع لنجدة الحرية وأن تقاتل الذي يريد سلب الحرية وخنق الحريات. وهنا ماذا تقولون؟ لا أعتقد أن شخصاً يشك في أن أقدس أقسام الجهاد، وأقدس أنواع الحروب هو الحرب التي تأتي بعنوان الدفاع عن الحقوق الإنسانية»[11].

ثم يبيّن الشهيد أن الحرب إذا كانت بعنوان الدفاع، فهي مقدسة، فإذا كانت دفاعاً عن النفس فهي مقدسة، وإذا كانت دفاعاً عن الشعب فهي أقدس، وإذا تعدّى الدفاع الحدود القومية إلى الحدود الإنسانية فإنه سيكون أكثر قدسية. بل أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره دفاع عن الإنسانية فهو دفاع مقدس، ويقول الشهيد: «لذلك فإن انتفاضة الأشخاص من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي مقدسة» ويناقش الشهيد موضوع الدفاع عن الحرية التي ينادي بها مجموعات كبيرة من الناس والدول هذه الأيام بأن الحرب التي تشن في نظرهم من أجل الدفاع عن الحرية حرب مقدسة، وأنهم يطلقون عليها اسم الدفاع عن الحرية، وهذا يعني أن الحقوق الإنسانية تقبل الدفاع، وأن الحرب من أجل الحقوق الإنسانية مشروعة ومفيدة. وإذا وصلنا إلى هذه النتيجة، فحينئذ يسهل الوصول إلى التمييز بين كون التوحيد حق شخصي أم حق عام؟ وفي هذا الصدد يقول الشهيد:

«الأمر الذي يجب الاهتمام به هنا هو هل أن التوحيد (لا إله إلا الله) ضمن الحقوق الإنسانية أم لا؟ يمكن أن يقول أحد الأشخاص بأن التوحيد ليس من ضمن الحقوق الإنسانية، بل من ضمن المسائل الشخصية للأفراد وإلى الحد الأقصى ضمن المسائل القومية للشعوب، أي يمكن أن أكون أنا موحداً، ولي الحق في

أن أكون مشركاً أو موحداً فإن أصبحت موحداً فليس لأحد الحق في معارضتي لأنه حقي الشخصي، وإذا أصبح آخر مشركاً فهو من حقه الشخصي أيضاً. إن أية أمة لها في قوانينها الرسمية واحدة من ثلاث حالات: فإما أن تختار التوحيد مبدء لها ولا تقبل في صفوفها غير الموحدين، وإما أن تختار مذهب الشرك، أو تطلق الحرية للمواطنين ليعشق كل منهم ما يشاء من المذاهب، فإن كان التوحيد جزء من القوانين القومية لشعب ما فإنه سيكون جزء من حقوق ذلك الشعب، وإذا لم يكن فلا. هذه إحدى وجهات النظر، إما وجهة النظر الأخرى هنا، فهي أن التوحيد يعتبر ـ مثل الحرية ـ جزء من الحقوق الإنسانية.

عندما تحدثنا عن حرية العقيدة، قلنا إنه ليس معنى الحرية أن لا يتعرض شخص لاعتداء من قبل شخص آخر، بل من المحتمل أن تتعرض حريته للتهديد من جانبه هو. إذن فلو قام بعض الناس بمحاربة الشرك من أجل التوحيد فإن حربهم ستكون ذات طابع دفاعي، وليست حرباً استغلالية عدوانية»(١٢).

ويميز الشهيد بالأمثلة بين الأمور التي يمكن الإجبار عليها وبين التي لا يمكن الإجبار عليها ويقول: «لنفرض مثلاً أن مرضاً خطيراً قد ظهر وتريد السلطات المعنية أن تلقح الناس ضدّه. هنا يمكن إجبار الناس على التلقيح. وإذا كان هناك من لا يرضى بتلقيحه فيجبر حتى وإن قاوم أو غاب عن الوعي. لكن بعض الأعمال لا تتطلب الإجبار ولا يمكن ممارستها إلا عن طريق الاختيار والرضا والقناعة، وعلى سبيل المثال تزكية النفس، والتربية على الفضائل، فلو أردنا تربية بعض الناس بحيث يقبلون الفضائل باعتبارها فضائل، ويتجنبون السيئات باعتبارها سيئات ونقصاً في الإنسانية، أي يكرهون الكذب، ويولون الاحترام والأهمية للصدق، فإن هذا العمل لا يتم بالقوّة والإكراه»(١٣).

ولا شك أن أمراض النفس أشد خطراً من أمراض الجسم، وأمراض العقيدة من أشد الأمراض خطورة، وانتشار مثل هذه الأمراض في المجتمعات يحتاج إلى علاج، ويحتاج إلى أن تلقّح أذهان الأمة بلقاح الأدلّة والبراهين ضد الشبهات والبواطل، فإذا ما كانت هناك عوائق تعيق عملية التلقيح هذه فحينئذ، لا بد من إزالة هذه العوائق، ولو بالقوة أي بالجهاد المقدّس، وحينئذ يكون هذا النوع من الجهاد من أفضل أنواع الدفاع عن الحق، وهنا يكون نشر العقيدة الصالحة، ونشر الفضائل، والحد من الرذائل حقاً إنسانياً، والحق الإنساني يمكن الدفاع عنه، فيكون التوحيد وأركان العقيدة مما يمكن الدفاع عنه وإزالة العوائق التي تحول دون انتشاره. وهناك فرق بين إزالة العوائق أمام عقيدة التوحيد وأمام الفضيلة، وبين فرض الإيمان على الناس وإدخاله في قلوبهم، فإزالة العوائق تحتاج إلى قوة أما الأمر الثاني وهو الإيمان بعقيدة التوحيد، فلا تجدي معها القوة والعنف نفعاً، لأن الإيمان يعني الاعتقاد والميل، وهذا يعني الانجذاب نحو العقيدة وقبولها، وأن الانجذاب إلى أي عقيدة له ركنان: كما يقررهما الشهيد فيقول:

«الأول: الناحية العلمية للموضوع، بحيث أن فكر وعقل الإنسان يقبلانه، والركن الثاني: هو الناحية العاطفية، بحيث يكون قلب الإنسان ميّالاً له. وهذان الركنان لا يمكن تحقيقهما بالعنف خصوصاً الأمور الفكرية والعقلية، ذلك أن الفكر يتبع المنطق، فمثلاً لو أرادوا أن يعلموا طفلاً مسألة رياضية

فيجب أن يعلموه إياها عن طريق المنطق ليؤمن بذلك حيث لا يمكن تعليمه بالسوط، أي لو ضربوه فإن فكره لا يقبل المسألة. وكذلك الحال بالنسبة للناحية العاطفية والودّية»[١٤]. وانطلاقاً من هذه النتيجة يفرّق الشهيد بين التوحيد ـ وإن اعتبر حقاً من حقوق الإنسان ـ وبين الحرية والحرية يمكن منحها للناس بالإكراه، لأنه يمكن بالقوة صدّ المعتدي ويمكن بالقوة تحرير شعب بأكمله. أما الأصالة وروح المطالبة بالحرية فلا يمكن فرضها بالقوة. وكذلك الإيمان فإنه لا يمكن إدخاله إلى القلب بالقوة، يقول الشهيد:

«وهذا ما عناه القرآن الكريم بقوله: ﴿لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي﴾[١٥] أي أنه لا تجبروا الناس على الدخول في الدين حتى لو كانت لكم القدرة على ذلك طوعاً، بل اتركوهم ليدخلوه طوعاً، لأن الدين لا يمكن فرضه بالقوّة وإن ما يفرض بالقوة والإكراه ليس ديناً. إن القرآن يستنكر على تلك المجموعة من الأعراب ادعاءها الإيمان، وهي التي دخلت توّاً إلى الإسلام، ولم تُدرك بُعدَ وماهيّة الإسلام، أو يتغلغل إلى أعماقها حيث يقول: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم﴾[١٦] ذلك أن الإيمان يرتبط بالقلب»[١٧]. ثم يعرض الشهيد وجهتي نظر المحققين الإسلاميين في هذا الصدد، فالمجموعة الأولى: تعتقد بأن التوحيد هو ضمن الحقوق الإنسانية، ويمكن الدفاع عن الحقوق الإنسانية. وعلى هذا الأساس يمكن الدفاع عن التوحيد ويمكن دخول الحرب مع قوم من أجل التوحيد. أما المجموعة الثانية: فتقول: لا يمكننا أن نحارب من أجل التوحيد فقط، فلو كان هناك شعب من المشركين فإننا لا نستطيع أن نحاربه. ويقرّب الشهيد بين النظرتين بالطريقة التالية فيقول:

«لأن التوحيد في حدّ ذاته لا يقبل الفرض، ولو اعتبرنا التوحيد جزء من الحقوق الإنسانية، فمن الممكن لنا إذا ماتطلبت المصلحة الإنسانية ومصلحة التوحيد أن نشنّ الحرب على قوم مشركين، لا من أجل فرض التوحيد والإيمان عليهم، لأن التوحيد والإيمان لا يمكن فرضهما. نعم، يمكن أن نشن حرباً على المشركين من أجل اقتلاع جذور الفساد من أساسها، إلا أن اقتلاع جذور الفساد بالقوة يعتبر مسألة، وفرض عقيدة التوحيد مسألة أخرى... إذا اعتبرنا التوحيد مسألة عامّة وجزء من الحقوق الإنسانية ومن شروط سعادة عامة البشر، عندها يجوز أن نبدأ المشركين بالحرب بعنوان الدفاع عن التوحيد وحريمه وبعنوان قطع جذور الفساد. ويبدو أن الحرب لا تجوز بعنوان فرض عقيدة التوحيد»[١٨].

ويفرّق الشهيد بين حرية الفكر وبين حرية العقيدة، ويعتبر أن الحرب من أجل القضاء على العقائد الفاسدة هي حرب في طريق تحرير البشر، وليست حرباً ضد البشر فيقول: «إن الشخص الذي يطلب مراداً من صنم صنعه بيديه هو حسب تعبير القرآن أضل من الحيوان. أي أن عمل هذا الشخص ليس له أي أساس فكري. ولو أنّ ذرّة من فكره تحركت فإنه لا يقوم بهذا العمل. إن جموداً وعقدة ظهرا في قلبه وروحه وإن جذورهما تعود للتقليد الأعمى. يجب تحرير هذا الشخص بالقوة من القيود الداخلية ليستطيع أن يفكر. وعلى هذا الأساس فإن الذين يسمحون بحرية التقليد وحرية القيود الروحيّة بمثابة حرية العقيدة فإنهم على خطأ. وأن ما نواليه نحن بحكم آية ﴿لا إكراه في الدين﴾ هو حرية الفكر وليس حرية العقيدة»[١٩].

## ٣ـ الاجتهاد ومشكلة علماء الدين

للشهيد مطهري مصنّف بعنوان «الاجتهاد في الإسلام والمشكلة الأساس في جماعة علماء الدين» وقد تناول الشهيد في هذا المؤلف عدة مشكلات تكتنف المجتمع العلمائي، وكشف الثغرات والأمراض التي يعيشها هذا المجتمع، ثم شرع بعلاجها، وبيان طريقة العلاج، ومن هذه المشكلات.

### أ ـ ظن العامة في عصمة العلماء:

يقول الشهيد: «يظن البعض أن تأثير الذنوب في الناس ليس متساوياً، وأنها تؤثر في الناس العاديين فتسقطهم من العدالة والتقوى، ولكنها لا تأثير لها في العلماء، كما لو كانوا يشبهون «الكُرْ» أو أنهم يتصفون بالعصمة، كالفرق بين الماء القليل، والماء الكثير، بحيث أن الكثير منه إذا كان بمقدار «الكر» لم يتأثر بالنجاسة، في حين أن الإسلام لم يقل «بكرّية» أحد ولا بعصمته، وحتى بالنسبة لشخص الرسول الكريم(ص)، لأنه يقول: [إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم][٢٠] ثم يورد الشهيد قصة موسى(ع) مع العبد الصالح، وكيف ظهر من القصة أن العمل الذي قام به العبد الصالح لم يكن يتنافى والأصول، بل كان الواجب المكلّف به نفسه، بالنظر لأنه كان يتمتع بأفق أرحب، وبغوص أعمق في باطن الأمور، وأن السبب في عدم صبر موسى(ع) لعدم إدراكه لبّ القضية وباطنها، إذ لا شك في أنه ما كان ليعترض لو كان عليماً ببواطن الأمور، إنما كان يريد أن يصل إليها، وبما أنه كان يرى في ذلك عملاً يتنافى مع الأصول ومع القانون الإلهي، حتى أن بعضهم قال: لو أن العبد الصالح ظلّ يكرر أعماله تلك إلى يوم القيامة لما توقف موسى عن اعتراضاته وانتقاداته حتى يصل إلى مغزى الموضوع. ثم يخلص الشهيد مطهري إلى نتيجة بقوله:

«القصد هو أن تقليد الجاهل للعالم ليس تسليماً مطلقاً، إذ التقليد الممنوع هو هذا المتّسم بالتسليم المطلق الذي ينطوي تحت مقولة (ليس للجاهل على العالم حق المناقشة، فالجاهل لا يعلم ولعلّ التكليف الشرعي يقتضي كذا وكذا)». ويورد الشهيد حديث الإمام الصادق(ع) في التقليد الممنوع عندما سأله أحدهم عن الفرق بين العامّة من اليهود والعامة من المسلمين؟ فيجيب الإمام(ع): «بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة، وتسوية من جهة أخرى. أما من حيث استووا فإن الله قد ذمّ عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذمّ عوامهم وأما من حيث افترقوا فلا» ثم يشرح الشهيد معنى تكملة الحديث، بأن عوام اليهود كانوا عملياً عارفين بكذب علمائهم الصريح وبأنهم لم يكونوا يتحرزون من أخذ الرشوة، وكانوا يغيرون الأحكام والقضاوة بالمحسوبية والرشوة، وكانوا يعرفون أنهم كانوا يمالئون، فيميلون مع من أحبوا، ويعطون الحق لغير أهله، ثم قال: «واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أن من يفعل ما يفعلونه فاسق لا يجوز أن يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله» ثم قال الإمام(ع): «وكذلك عوام أمتنا إذا عرفوا من فقهائنا الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها، وإهلاك من يتعصبون عليه، وإن كان لإصلاح أمره مستحقاً، وبالترفق بالبر والإحسان على من تعصبوا له، وإن

كان للإذلال والإهانة مستحقاً، فمن قلّد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء، فهم مثل اليهود الذين ذمّهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم» ثم يقول الشهيد:

«وعلى ذلك يتضح أن التقليد المشروع والممدوح ليس «التسليم الأعمى» بل هو فتح العيون والمراقبة، وإلا فإنه مسؤولية واشتراك في الجرم»[٢١] وهكذا يصل الشهيد إلى أن التقليد للعلماء إنما يكون للعدول ما داموا عادلين، وأن العلماء ممكن منهم المعاصي، وأن المقلّد لا بد أن يكون مفتوح العين وهو يقلّد، استدلّ الشهيد للوصول إلى هذه النتيجة بالآية الكريمة ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾[٢٢]. وبآيات أخر، وبالأحاديث الشريفة، وبما ضربه من مثال الماء الكثير والقليل فوصل إلى نتيجة سليمة، وأشار إلى ثغرة موجودة في تفكير بعض العوام، ولدى سلوك بعض العلماء.

**مشكلة انعدام التخصص والتجديد في الفقه:**

يقول الشهيد: «إن دراسة الكتب الفقهية وتتبعها خلال قرون مختلفة يكشف عن أن الكثير من احتياجات الناس المستحدثة أدخلت مسائل جديدة في الفقه، وقام الفقهاء بوضع الحلول لها، وهكذا ازداد حجم الفقه تدريجياً، إن البحث الزمني الدقيق يمكن أن يكشف عن المسائل الجديدة، وتاريخ دخولها الفقه، وسبب دخولها، والحاجة التي استدعتها فإذا لم يكشف المجتهد الحيُّ هذه المسائل الجديدة فلا فرق بين تقليد الحيِّ والميت بل قد يُفضل بعض الأموات على بعض الأحياء، كالشيخ مثلاً والذي يعترف بأعلميته كثير من الأحياء... ثم إن معنى (الاجتهاد) نفسه يصح في تطبيق السنن الكلية على الجديد من الحوادث المتغيرة،... أما مجرد إعمال النظر في القديم، الذي سبق للآخرين أن أعملوا فيه نظرهم، ومن ثم تبديل فتوى من (على الأقوى) إلى (على الأحوط) أو العكس، لا يكون أمراً يستحق كلَّ هذا الصخب والجدل... إن مجرّد مطالعة بضعة كتب في الأدب والنحو والصرف والمعاني والبديع والمنطق، ومن ثم مطالعة بضعة كتب معينة أخرى من السطوح مثل (الفوائد) و(المكاسب) و(الكفاية) ومن ثم حضور الدروس الخارجية بضع سنوات، لا تمكّن المرء من ادعاء الاجتهاد حقيقة، فيضع أمامه (الوسائل) و(الجواهر) ويصدر الفتاوى المتتالية، بل إن عليه أن يعرف حق المعرفة التفسير والحديث، ومعرفة ظروف هذه الأحاديث أي تاريخ الإسلام، والفقه عند الفرق الأخرى، والرجال، وطبقات الرواة، وغير ذلك».

ثم يضرب الشهيد مثلاً لفقيه عاش بطهران بين المياه الجارية ومخازن الماء وكيف يصدر فتاواه وبين مراجعة تلك الفتاوى حينما يذهب إلى الحج ويرى ندرة الماء، فإن نظرته إلى باب الطهارة والنجاسة تختلف، حيث أنه بعد عودته من الحج سوف يجد للروايات والأحاديث مفهوماً آخر. ثم يبين الشهيد أثر البيئة في الفتاوى، وأثر القومية والبداوة والقرية والمدنية في ذهنية الفقيه. وبعد أن يخلُص من هذه المقدمات، يُدلي باقتراح مهم يعالج فيه هذه المشكلة فيقول: «إن لي بهذا الخصوص اقتراحاً، أرى أنه ينفع في تطور الفقه وتقدمه، والواقع إنه اقتراح سبق أن عرضه المرحوم آية الله الشيخ عبد الكريم اليزدي، وأنا أعرضه مرة أخرى.

كان المرحوم يقول: (ما من ضرورة تدعو أن يقلّد الناس شخصاً واحداً في جميع المسائل، بل الأفضل أن يقسِّم الفقه إلى أقسام تخصصيّة. أي أن مجموعة من العلماء بعد أن يتفقهوا في دورة فقهية عامة، يعيّنون لأنفسهم جانباً معيناً يختصون فيه، ويقلّدهم الناس في ذلك القسم التخصصي وحده، كأن يتخصص بعض بالعبادات، وبعض آخر يتخصص بالمعاملات وآخرون في السياسات، وبعض بالأحكام الفقهية، كما هي الحال في الطب في الوقت الحاضر حيث تشعبت الاختصاصات، فهذا أخصائي في القلب، وذاك في العين، وآخر في الأذن والأنف والحنجرة، وغير ذلك. . . ) هذا اقتراح جيد جداً، وأضيف أن الحاجة إلى تقسيم العمل في الفقه، وضرورة إيجاد فروع تخصصية في الفقه، قد ظهرت منذ أكثر من مائة سنة حتى الآن. وعلى الفقهاء، في هذه الظروف الحياتية السائدة، إما أن يقفوا بوجه تكامل الفقه وتطوره، وإما أن يسلّموا بضرورة تنفيذ هذا الاقتراح».

ثم يشير الشهيد إلى أن تقسيم العمل في العلوم هو نفسه علّة تكامل العلوم ومعلوله، وأن التخصص ظهر في جميع العلوم، كالطب والرياضيات والحقوق والآداب والفلسفة، وأن هذا التخصص كان سبباً لتطور تلك الفروع واطراد تقدمها. ثم يقترح الشهيد مطهري اقتراحاً آخر في هذا الشأن وهو إيجاد مجلس فقهي يتم فيه التشاور العلمي وتبادل النظر، ويستدل على اقتراحه هذا بآية الشورى، وبحديث شريف للإمام علي(ع) في نهج البلاغة: «واعلموا أن عباد الله المستحفظين علمه يصونون مصونَهُ، ويفجرون عيونَه، يتواصلون بالولاية، ويتلاقون بالمحبّة، ويستاقون بكأسٍ رويةٍ ويَصدُرون بِرَيَّةٍ» ويقول الشهيد في هذا الشأن: «في عالم اليوم لم يعُد لفكر الفرد وللتفكير الفردي قيمة تذكر، والعمل الفردي لا يوصل إلى نتيجة. إن علماء كل فرع من فروع العلم مشغولون دائماً بتبادل النظر بعضهم مع بعض. بل إن علماء قارة ما يتبادلون معلوماتهم مع علماء قارة أخرى ويتعارفون معهم».

**جـ - وجود نواقص في الحوزات العلمية:**

يذكر الأستاذ الشهيد مميزات يبين المؤاخذات لدى كل منهم، ويشرع بذكر الحسنات، ثم يشخص تشخيص الخبير الناصح نواقص الحوزات العلمية لدى الشيعة فيقول: «لا يوجد امتحان قبول لطلاب العلوم الدينية، لذلك فمن المحتمل أن ينتسب إلى هذا المسلك المقدّس من لا يصلح له، ولعدم وجود أي امتحان، فإن انتقال الطلاب من دراسة كتاب أدنى إلى كتاب أعلى حرّ لا يمنعه مانع، ومن البديهي أن يستعجل بعضهم فيقفز إلى مرحلة أعلى، ومن ثم يتوقف عن الدراسة ويصاب بالبرود. والطلاب لا يخضعون لاختبار الميول والرغبات، فتكون النتيجة أن قد يرى الطالب الذي يميل إلى الفقه أو الفلسفة أو الآداب أو علم الكلام أو التاريخ أو التفسير، أنه قد دخل فرعاً غير الذي يجد في نفسه الاستعداد للاستمرار فيه وفق رغبته. . . إن من نواقص الجهاز العلمائي هو الحريّة التي لا حدّ لها ولا حصر في ملابس رجال الدين. . . في التشكيلات الدينية بخلاف الأمر في التشكيلات الأخرى، يستطيع كل فرد، دون مانع ورادع، أن يتزيّ بزيّ رجال الدين. . . فيكون بذلك مدعاة للتقول عليهم. . .

في الحوزة العلمية يدرسون الأدب العربي، ولكن بطريقة مغلوطة، بحيث أن الطلاب بعد سنوات من الدراسة لا يتعلمون اللغة العربية، على الرغم من أنهم يتعلمون قواعدها. . . على الرغم من أن الإكثار من التباحث في الدروس وشيوع علم الأصول يزيدان من قدرة الطالب على التفكير بذكاء. إلا أن في ذلك نقصاً كبيراً أيضاً، وهو أنه يبعد الطلاب عن التفكير الواقعي في القضايا الاجتماعية، ثم إن الضعف في تدريس منطق أرسطو، يوجه فكر الطلاب وجهة جدلية نظرية، الأمر الذي يحول دون تمكن الطلاب من التفكير واقعياً فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية. . . والنقص المهم الحاصل حالياً في جهاز القيادة الدينية يتعلق بالميزانية وبالنظام المالي وطريقة ارتزاق رجال الدين». ثم يسهب الشهيد في شرح طريقة جمع الحقوق وما يرافق ذلك من ثغرات لدى العلماء ولدى العوام، ثم يصل في النتيجة إلى تشخيص مرض خطير وآفة اجتماعية بسبب ذلك، وهي عدم وجود الحرية الكافية في إعطاء الرأي من قبل الفقهاء، وذلك بغلبة العوام على حرية الفقهاء في إبداء الرأي، ويعلل ذلك بقوله:

«عندي أن استناد ميزانية علماء الدين على الناس ليس هو سبب ضعفهم، إنما سبب الضعف هو عدم وجود تنظيم لهذه الميزانية وهو الذي يؤدي إلى هذه المنقصة الكبيرة، فبتنظيم ميزانيتهم يمكن إزالة المنقصة الكبرى بحيث يكون لعلماء الدين الشيعة كلا الأمرين القدرة والحرية. . . إن الآفة التي أصابت مجتمعنا الديني بالشلل وأقعدته عن العمل هي (الإصابة بالعوام) وهي أشد بلاء من الإصابة بالسيول أو الزلازل أو لسع العقارب والحيات. إن أصل هذه الآفة هو نظامنا المالي»، ثم يشكو الشهيد بمرارة وأسى من هذه الآفة الاجتماعية ويروي قصة حضوره درس آية الله البروجردي وأنه كان يشكو من نفس المشكلة فيقول:

«إنه لمدعاة للأسى حقاً أن نجد هذه الآفة تقيّد الأيدي والأرجل، ولولا ذلك لاستبان بكل وضوح أن الإسلام جديد في كل عصر وزمان. . . ولعرف أن أعرق النظم الاجتماعية في عصرنا هذا ليس قادراً على منافسة الإسلام. ليس أمام مجتمعنا الديني سوى السكون في موضع الكلام، والسكون في موضع الحركة، والنفي في موضع الإثبات، لأن ذلك ينسجم مع طبيعة العامة. إن من سمات غلبة العامّة من الناس هي منشأ رواج الرياء، والمجاملة، والتظاهر، وكتمان الحقائق، والاهتمام بالمظاهر، وشيوع الألقاب، والمقامات، والتطلع إلى المراكز العليا، في مجتمعنا الديني مما لا نظير له في العالم. إن غلبة العوام هي التي تدمي قلوب أحرارنا وطلاب الإصلاح فينا»، ـ ثم يورد حديث يتضمن تقية الشيعي من الشيعي ويتابع قوله ناقلاً قول آية الله البروجردي فيقول: ـ

«ولما كان هذا الحديث يتضمن تقية الشيعي من الشيعي، لا من مخالفيه، فقد راح المرحوم يكشف عن آلامه ومكنونات قلبه، وقال: (ليس ثمة ما يدعو للعجب، فالتقية من أصحابنا أهم وأعلى). أنا نفسي في أوائل بلوغي مرحلة المرجعية العامة كنت أظن أن عليَّ أن أستنبط الأحكام وعلى الناس العمل بها، فما أفتي به يعمل به الناس، رأيت أن الأمر ليس كذلك»، ثم يضرب مثلاً على هذا النوع من التقية فيقول:

«لقد ارتأى المرحوم آية الله الشيخ عبد الكريم الجزائري اليزدي أعلى الله مقامه، مؤسس الحوزة العلمية في قم، أن يطلب من عدد من الطلبة تعليم اللغات الأجنبية وبعض العلوم كمقدمات، لكي يستطيعوا عرض الإسلام على الطبقات المثقفة الجديدة، وفي البلدان الأجنبية، ولكن ما أن انتشر هذا الخبر حتى جاءت جماعات من العامة وأشباه العامة من طهران إلى قم، وقالوا إن هذه الأموال التي يدفعها الناس باسم سهم الإمام لا يقصد بها أن تصرف لتعلم الطلبة لغة الكفار، وأنهم سوف يفعلون كذا وكذا إذا نفذ الاقتراح. فلما رأى المرحوم أن ذلك سيكون سبباً لانهيار الحوزة العلمية من أساسها، ألغى فكرته مؤقتاً. . . إن في هذا توضيحاً كافياً لمعرفة السبب الذي يحمي شخصياتنا البارزة عندما تصل إلى مركز الحل والربط، على أن تعجز عن تحقيق ما كان يدور في خلدها من قبل. . . بحيث أن الزعيم الديني إذا أراد أن يسقي نبتة ورد، يضطر إلى سقي الأشواك والنباتات الطفيلية الكثيرة، لماذا يطغى السكوت والسكون والتغافل في محيطنا الديني على المنطق والحركة والحياة؟ لماذا ضعفت فيما بيننا حرية الفكر والعقيدة؟ لماذا لا ينظم منهاج تدريس طلاب العلوم الدينية تنظيماً يتفق ومتطلبات العصر؟». ثم يشرع الشهيد في بيان طريقة علاج ما ذكره من النواقص ويحصر العلاج والإصلاح بطريق واحد، وهو تنظيم الميزانية المالية، بإخضاعها للتنظيم بإيجاد صندوق عام ودفاتر وحسابات، وأرصدة في مراكز الحوزات، بحيث أن أحداً لا يستطيع أن يقبض مالاً من الناس مباشرة، بل يأخذ كل بحسب الخدمة التي يؤديها من ذلك الصندوق الذي يكون تحت تصرف علماء الدين من المقام الأول.

## ٤ ـ الحد الفاصل بين التوحيد والشرك:

هناك أسئلة تطرح في مباحث «وحدة الوجود» منها: هل يستلزم توحيد الذات رفض أي وجود غير الله ـ حتى لو كان مخلوقاً لله ـ؟ وهل الإيمان بموجود غير الله ـ من مخلوقات الله ـ شرك في الذات؟ وما هو الحد الفاصل بين التوحيد النظري والشرك النظري؟ وأي عمل من الأعمال توحيدي، وأي نوع من الأعمال شركي؟ هذه المسائل الفلسفية، وما يدور في فلك هذه الموضوعات، يعالجها الشهيد مطهري في رسالته القيّمة «المفهوم التوحيدي للعالم» وهو من خلال إجابته على هذه التساؤلات، يشير إلى الأخطاء التي وقعت بها بعض المذاهب الإسلامية بقصد أو بدون قصد، ويفضح إدعاءات الوهابية في الذب عن عقيدة التوحيد، وكيف أنهم وقعوا بأمور تخالف التوحيد باعتقاداتهم تلك.

وعلى السؤال: هل الإيمان بموجود غير الله ـ وإن كان مخلوقاً لله ـ شرك في الذات يقول الشهيد: «بديهي أن مخلوق الله هو فعل الله. وفعل الله شأن من شؤون الباري تعالى، أي أن فعل الله ليس ثانياً لله ولا قبال الله، مخلوقات الله تجلّيات لفياضيّته، والاعتقاد بوجود المخلوق باعتباره مخلوقاً يكمل الاعتقاد بالتوحيد ويتمّه وليس ضد التوحيد، فالحد الفاصل بين التوحيد والشرك لا يتمثل في الإيمان بوجود أو عدم وجود شيء آخر غير الله.

ثم يظهر الشهيد السؤال التالي: هل الاعتقاد بدور المخلوقات في التأثير والتأثر والسببية والتسبب شرك؟ (أي شرك في الخالقية والفاعلية). وهل يستلزم التوحيد في الأفعال أن ننكر نظام الأسباب والمسببات في العالم، وأن نعزي كل أثر مباشرة وبدون واسطة، وأن نرفض أي دور للأسباب؟

وفي هذه التساؤلات المطروحة إشارة إلى وجود بعض المذاهب التي تؤمن بالإيجاب لا بالسلب، بالإجابة على بعض هذه الأسئلة الأشاعرة والمجبّرة، حيث نعتقد أن بالإيمان بالأسباب والمسببات هو اعتقاد بوجود شركاء لله، فيرفضون مثلاً دور النار في الإحراق، ودور الماء في الإرواء، والدواء في الشفاء، ويعتقدون أن الله تعالى هو الذي يحرق ويروي ويشفي مباشرة ولا قيمة لهذه الوسائط، تماماً مثل الكاتب الذي اعتاد أن يكتب وهو يلبس قبعته، لكن وجود القبعة وعدمها لا تأثير له في فعل الكتابة. يجيب الشهيد على التساؤلات حول هذه النظرية بقوله: «هذه النظرية غير صحيحة، فكما أن الإيمان بوجود مخلوق لا يعني الشرك الذاتي، ولا يؤدي إلى الاعتقاد بإله آخر، وإلى وجود قطب قبال الله، بل هو مكمل للاعتقاد بالله الواحد الأحد، كذلك الاعتقاد بالتأثير والسببية ودور المخلوقات في نظام العالم، ليس شركاً بل متمماً للاعتقاد بخالقية الله مع الأخذ بنظر الاعتبار، أن الموجودات غير مستقلّة في التأثير، وغير مستقلة في الذات، إنما موجودة بوجود الله ومؤثرة بتأثيره. نعم، الاعتقاد باستقلال المخلوقات وبتفويضها في التأثير هو شرك. أي الاعتقاد بأن نسبة الله إلى العالم، كنسبة الصانع إلى الآلة المصنوعة. كنسبة صانع السيارة مثلاً إلى السيارة هو شرك. فالآلة المصنوعة تحتاج في صناعتها إلى الصانع. ولكنها - بعد صنعها - تستمر في مواصلة عملها حسب قوانينها الميكانيكية، دون أن يكون للصانع تأثير في العمل. ولو نسبنا عوامل الطبيعة: مثل الماء والمطر والبرق والحرارة والتربة والنبات والحيوان والإنسان إلى الله مثل هذه النسبة (نسبة الصانع إلى الآلة المصنوعة)، لكان ذلك شركاً حتماً. المخلوق بحاجة إلى الله في حدوثه وبقائه. إنه محتاج إليه في بقائه وتأثيره قدر احتياجه إليه في حدوثه. العالم هو عين الفيض وعين الارتباط. ومن هنا فإن تأثير الأشياء وسببيتها عين تأثير الله وسببيته... وهنا ينبغي الإشارة إلى أن اعتقاد الأشاعرة المذكور، أي الاعتقاد بأن إقرار الدور للأشياء في العالم شرك، هو الشرك بعينه، لأن القائلين به آمنوا دون وعي باستقلال ذات الموجودات مقابل ذات الله تعالى، ومن هنا فإنهم اعتبروا الموجودات ذات التأثير مستقلّة في التأثير أيضاً وشريكة مع الله تعالى»[٢٣].

ثم يبدأ الشهيد مطهري بمعالجة مشكلة أخرى تتعلق باعتقاد بعض المذاهب في مسائل التوحيد، ومنها اعتقاد الوهابيين ومن لفّ لفهم من أدعياء السلفية، أن الاعتقاد بوجود قوة خارقة (تفوق قوانين الطبيعة العادية) في موجود، ملاكاً كان أم إنساناً (نبياً أو إماماً) هو شرك، وهؤلاء جعلوا من هذه المسألة أساساً للتمييز بين التوحيد والشرك، واعتقدوا بأن قوة الإنسان المتوفى وتأثيره شرك أيضاً، ومن هذا المنطلق في عقيدتهم اعتبروا الاعتقاد بوجود إدراك للميت والسلام عليه واحترامه والحديث معه والطلب منه شركاً، لأن هذه الأمور تستلزم الاعتقاد بوجود قوّة خارقة لغير الله.

واعتبروا الاعتقاد بوجود تأثيرات خفيّة للأشياء، كالاعتقاد بقدرة تربة معينة على الشفاء أو بتأثير مكان معين على استجابة الدعاء شركاً، وعلى الصعيد العملي ذهبوا إلى أن كل توجه معنوي إلى غير الله هو شرك. ويرد الشهيد مطهري على هؤلاء بقوله:

«الفكرة الوهابية من أكثر الأفكار شركاً في المعايير التوحيدية... هؤلاء آمنوا من حيث لا يعلمون بنوع من الاستقلال الذاتي للأشياء، من هنا ظنوا أن الاعتقاد بوجود قوة خارقة في الأشياء يستلزم الاعتقاد بشركاء لله، غافلين أن الموجود المرتبط في كل هويته بإرادة الله تعالى والذي يفتقد أن كيان مستقل يستند في تأثيره الخارق والطبيعي معاً إلى الله تعالى أكثر مما يستند إلى نفسه، وهذا الموجود ليس سوى مجرى لمرور فيض الله تعالى إلى الأشياء. وهل الاعتقاد بأن جبرائيل واسطة لفيض الوحي والعلم، وأن ميكائيل واسطة الرزق، وأن إسرافيل واسطة فيض الأرواح، وعزرائيل ملكاً للموت، هل هذا الاعتقاد شرك؟ هذه الفكرة أسوأ أنواع الشرك في إطار التوحيد في الخلق. لأنها تؤمن بنوع من التقسيم في العمل بين الخالق والمخلوق. الأعمال الميتافيزيقية ـ بموجب هذا التفكير ـ خاصة بالله، والأعمال الطبيعية خاصة بالمخلوق، أو مشتركة بين الخالق والمخلوق. تخصيص إطار لأعمال المخلوق عين الشرك في الفاعلية، وتخصص الإطار المشترك بين الخالق والمخلوق نوع آخر من الشرك في الفاعلية»[٢٤]، ومن خلال تحليله الفلسفي هذا يصل إلى نتيجة حول الوهابيين وهي أن الوهابية ليست نظرية معادية للإمامة فحسب بل أنها أكثر من ذلك معادية للتوحيد ومعادية للإنسان. حيث إنها معادية للتوحيد لأنها تؤمن بتقسيم الأفعال بين الله والإنسان، وهي معادية للإنسان لأنها لم تفهم المزايا المودعة في الإنسان، والتي تؤهله لأن يسمو على الملائكة، ولأن يكون خليفة الله على ظهر الأرض بنصّ القرآن الكريم.

ويذهب الشهيد المطهري إلى أن الحد الفاصل بين التوحيد والشرك في إطار علاقة الله والإنسان والعالم هو الإيمان بأنّا لله وإنا إليه راجعون، ويقول: «الحد الفاصل بين التوحيد والشرك في إطار التوحيد النظري هو (إنّا لله) فنظرتنا للحقائق والموجودات تكون توحيدية حين تنظر إليها في ذاتها وصفاتها وأفعالها على أنها (لله) سواء كانت تلك الحقائق والموجودات ذات أثر واحد أو عدة آثار أو لم تكن كذلك، وسواء كانت تلك الآثار خارقة أو طبيعية. لأن الله ليس إله عالم السماوات والملكوت فقط، بل إله كل الكون... والحد الفاصل بين التوحيد والشرك في الإطار العملي هو (الاتجاه نحو الله)... (إنا إليه راجعون). الاتجاه نحو كل موجود اتجاهاً ظاهرياً أو معنوياً هو اتجاه نحو الله ما دام القصد هو اتخاذ ذلك الموجود طريقاً نحو الله، لا هدفاً بذاته... الأنبياء والأولياء طرق البشرية نحو الوصول إلى الله (أنتم السبيل الأعظم والصراط الأقوم)... وهم هداة للبشرية نحو الخالق (.. الدعاة إلى الله والأدلاء على مرضاة الله). ليست إذن زيارة أولياء الله الصالحين والتوسل بهم، وتوقع صدور أعمال خارقة منهم بشرك»[٢٥].

## الخاتمة

لقد عرضتُ في هذا البحث نماذج من المشكلات الفكرية والاجتماعية، التي يعاني منها المجتمع الإسلامي بشكل خاص، والمجتمعات الإنسانية بشكل عام، وطريقة معالجة الشهيد المطهري لتلك المشكلات، في مصنّفاته ومحاضراته المدوّنة، وأسلوبه في إيصال الفكر الإسلامي لأذهان الناس. ودفاعه المقدس في فكره وقلمه ولسانه عن الإسلام العزيز، وردّه على شبهات أعداء الإسلام، والشبهات الموجودة في أذهان كثير من المسلمين، وأسلوبه في الكشف عن الثغرات الفكرية الموجودة في تفكير بعض المذاهب الإسلامية وطريقته الحكيمة في مخاطبته لأصحاب تلك المذاهب برويّة وحكمة، بدون جرح للمشاعر، وبدون إحداث عوائق أمام تيار الوحدة الإسلامية، وإنما بالكلمة الهادئة والهادفة، والمعبرة عن صدق العاطفة وعن الإخلاص لله تعالى، وحب الخير للإسلام والمسلمين والذبّ عن حمى الإسلام العزيز، وأسأله تعالى أن يوفقني لإتمام هذا البحث، حيث أنه هناك الكثير من المسائل التي تستحق الدراسة وعالجها الشهيد العزيز بأسلوب فريد ومتميز، يستحق أن يُفرد له بحث مستقل بكتاب كبير وكامل، يتناول فيه أهم المسائل الفكرية والاجتماعية التي تطرق لها شهيدنا الراحل وفيلسوفنا المقدس في مصنفاته ورسائله، وأسأله تعالى أن يتجاوز عن كل خطأ ربما قد وقع منا في هذا البحث، الذي كُتب في الظروف التي تعيشها الانتفاضة المباركة في عراقنا العزيز، ولانشغال البال في الحوادث التي يشيب منها الصغير، والله تعالى نسأل المغفرة والقبول والحمد لله رب العالمين.



## مصادر البحث


١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الإجتهاد في الإسلام.

٣ ـ الجهاد وحالاته المشروعة في القرآن

٤ ـ المفهوم التوحيدي للعالم.

٥ ـ الملحمة الحسينية.


الحواشي:

١ ـ الملحمة الحسينية ٣/٢٨

٢ ـ الملحمة الحسينية ٣/٢٩

٣ ـ الجهاد وحالاته المشروعة في القرآن ص١٢
٤ ـ الجهاد ص٣
٥ ـ التوبة ٢٩
٦ ـ الجهاد ص٥٧ قال: «وإذا كان مفهومها المدنية وهو كذلك فإن الموضوع يتغير»
٧ ـ الجهاد ص٥
٨ ـ المائدة ٦٤
٩ ـ الجهاد ص٩
١٠ ـ الجهاد ص٢٢
١١ ـ الجهاد ص٣٦
١٢ ـ الجهاد ص٣٩
١٣ ـ الجهاد ص٤٠
١٤ ـ الجهاد ص٤١
١٥ ـ البقرة ٢٥٦
١٦ ـ الحجرات ١٤
١٧ ـ الجهاد ص٤٢
١٨ ـ الجهاد ص٤٣
١٩ ـ الجهاد ص٤٧
٢٠ ـ الأنعام ١٥
٢١ ـ الإجتهاد في الإسلام ص٢٢
٢٢ ـ الزخرف ٢٣
٢٣ ـ المفهوم التوحيدي للعالم ص٦٣
٢٤ ـ المفهوم التوحيدي للعالم ص٦٥
٢٥ ـ المفهوم التوحيدي للعالم ص٦٨

# نظـــريـــة الأمـــة في فكر العلّامة مرتضى المطهري

الأستاذ: عبدالفتاح رواس قلعه جي

**على مدى تاريخ البشرية تشكلت أمم كثيرة، باد بعضها[١]، وأصابت سنّة التطور والتغيير بعضها الآخر برغم جذورها التاريخية المتينة[٢]، وثالثة هي في طريق التشكل والوجود ترهص بتكونها حركة التاريخ، وتغير المفاهيم القديمة عن الأمة، وتوضع قوانين جديدة في الروابط والعلاقات يكون فيها للسياسة والاقتصاد والأنظمة الفكرية في تناول الحياة وفلسفتها الدور الأكبر[٣]**

حركة التشكل التاريخية هذه كانت في دائرة إدراك العلّامة المطهري وهو يحاول أن يرسي على مفهوم للأمة. يقول متسائلاً ومشككاً بالمقوّمات التقليدية للأمة والتي كان يُعتقد أنها من الثوابت: «**وهذه الأمم التي غيّرت من أنظمتها هل هي نفس تلك الأمم من قبل؟ أم ليست هي نفس تلك الأمم حتى وإن كانت قد احتفظت بكثير من خصائصها كاللغة والعنصر والحدود الجغرافية**»[٤].

بالرغم من أن المطهري لم يذكر أنه يبسط نظرية في الأمة، إلّا أن بحثه الموسع فيها، وآراءه المبثوثة في كتبه تنتهي إلى تحديد مفهوم للأمة منطلق من رؤية متعمقة في الفكر الإسلامي ومن جانبيه: النظري والتطبيقي.

ولا بدّ لأي باحث في الأمة في العصر الحديث من الناحية البنيوية من أن يتعرض إلى مسألة القومية، لأن القومية كما يقول المطهري[٥]: «**أصبحت من أكثر المدارس الفكرية رواجاً وذيوعاً وإقبالاً بين الناس، وحتى إن الايديولوجيات الاجتماعية والسياسية التي كانت في الأصل تخالف الصبغة القومية إذا تبنت حركة أو نهضة أو ثورة صبغتها بصبغة قومية وطنية أو عنصرية**».

إن ظهور مفهوم القومية هو حديث نسبياً يعود إلى أوائل القرن التاسع عشر وكان ظهورها ونموها في أوروبا كواحد من ردود الفعل بعد الثورة الفرنسية، وكانت الحركات القومية في البلدان الأوروبية عوامل

توحيـد وثـورة، أمّـا في الشـرق العربي فإن فكرة القومية لم تبرز إلا كرد فعل على السياسة العثمانية الجديدة بعد استلام حزب الاتحاد والترقي الحكم واعلانه سياسة التتريك أو «القومية التركية» وهذا يعني تخليه «غير المعلن» عن فكرة الخلافة الإسلامية.

إن أبـرز مخاطـر القـومية هو أن تتحول إلى حركة عنصرية متطرفة أو قوموية، وهذا ما حدث في ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية ودول أخرى، وكان لا بد أن ينتهي التطرف العنصري إلى اشعال نار حروب كبرى كالحربين العالميتين أو حروب أخرى غير معلنه نلمسها اليوم في الهيمنة الأمريكية على العالم، وبالطبع فإن هذه الحـركـات القـومـيـة سترفـع شعـارات برّاقـة ظاهـرهـا الدفاع عن الحرية والمساواة والسلام وباطنها الاستعمار. يقول المطهري: «إن القومية الأوروبية هي التي صادقت على استعمار الأمم الشرقية والافريقية والأمريكية الجنوبية وفسرتها تفسيراً جميلاً»[٦]. ويتابع العلاّمة المطهري تعرية هذا المصطلح الغربي وينعى على مثقفي ومفكـري الأمم الشـرقيـة والافـريقيـة اطـلاق التسميـة نفسهـا على حركات شعوبهم الثورية معتمدين على نفس القاموس الفكري والثقافي الغربي.

لقـد أخـذت هذه الشعـوب عن الغـرب عوامـل تكـوين «الإحسـاس القومي» والمطهري يوجز هذه العوامل حسب التعريف الكلاسيكي الغربي لها بما يلي:

عوامـل اقليميـة، وعـوامـل عنصـريـة، وعـوامل لغوية، وعوامل تاريخية، وعوامل ثقافية واجتماعية مشـتركـة ثم ينـاقش هذه العوامل لينتهي إلى أن «دور هذه العوامل في تكوين ذلك الوجدان الجماعي ليس دوراً أسـاسيـاً عقـائـديـاً بنّاء، وأنها لا تستطيع أن تصبح ملاكاً لارتباط أبناء الإنسان واتحادهم بعضهم مع بعض تحت عنوان أمة واحدة وإلى الأبد»[٧].

يتبـع المطهـري في تحليله لمصـداقيـة هذه العوامل منهجاً موضوعياً ومنطقاً واقعياً. فهو في تحليله لدور اللغة المشتركة في القومية، يرى أنها عامل تعارف واقتراب في المراحل الأولى لتكوين الأمة، غير أن النظرة التـاريخيـة والـواقعيـة تؤكـد أن اللغـة الواحدة هي فرع من القومية وليست عنصراً مقوِّماً لها. فاللغة تخضع لتطـور مستمـر وتحـول، بحكم بنيتهـا الصرفية واختلاطها باللغات الأخرى أو تعرّضها للغزو اللغوي، وإن التعددية اللغوية واقع قائم الآن في كثير من الأمم.

وفي تحليله للعـوامـل العنصـريـة في القـومية يرى أن بإمكان هذه العناصر والدماء المشتركة أن يتغير دورهـا بتغـير الشـروط الاجتـماعية والأخلاقية، فالعرب قبل الإسلام كانوا مجموعة نزعات عصبية وحروب قبلية وخرافات جاهلية، وبعد الإسلام ظهرت شروط جديدة جاءت بقيم أخلاقية جديدة تمثلت بالسلام والتعارف، أضف إلى ذلك أنه لا يمكن لشعب أن يدعي أن دماءه تحمل النقاء المطلق.

والأمـر نفسـه بالنسبـة لعامل التقاليد المشتركة في القومية فإنها من نتاج القومية لا من مقوماتها، لأنها ناشئة عن علاقات مستمرة في الأمة بين الماضي والحاضر لولاها لم تكن لتوجد هذه التقاليد. وهذه التقاليد إن كانت غير قائمة على العدل والبر والتقوى، أي إذا كانت قائمة على الجهل والظلم وحب الدنيا فإنها

ستكون عاملاً في تدمير القومية وفناء الأمة كما حدث لقوم لوط وعاد وثمود وغيرهم من الأمم وحتى بعض الأمم الحاضرة.

وفي دراسة للعوامل الاقليمية والطبيعية في تكوين القومية يشير إلى النزوع الدائم منذ الإنسان الأول الذي كانت تحكم علاقاته الإنسانية غرائزه والعوامل الطبيعية والبيئية المحيطة ـ وحتى الآن إلى التحرر من أسر الطبيعة وعواملها مع تنامي وعيه وقواه الإرادية. إن الدعاوى الجغرافية لا يمكن أن تكون من مقومات القومية، ففي شبه القارة الهندية مثلاً تعيش في شروط اقليمية وطبيعية وبيئية واحدة أمتان مفترقتان هما: الهندية والباكستانية (الإسلامية)، والأمر نفسه بالنسبة للانكليز والإيرلنديين.

بعد هذا التحليل النقدي والموجز لنظرية الغرب في تكوين القومية أو الأمة يقول المطهري: «إن جميع هذه العوامل السابقة التي يذكرها الغربيون بعنوان أنها مباني القومية ما هي إلّا علامات أولى لتعريف الأمم الموجودة وتمييزها عن بعض»(٨)، وبعد هذا النقض لهذه العوامل يقول: «علينا أن نكتشف تحت هذه العوامل المعرِّفة للأمة عاملاً أو عوامل داخلية أساسية تكون هي المؤسسة الواقعية أو الأقرب إلى الواقع للوجدان الجماعي للإنسان».

إلى مثل هذه النتيجة وصل أيضاً الكاتب الإفريقي فرانس فانون حيث رأى أن عوامل التاريخ واللغة والتقاليد والإقليم المشترك في إيجاد الإحساس القومي هو دور مؤقت.

إن الأمم ـ وبخاصة أمم العالم الثالث ـ والتي كانت تتذرع بهذه العوامل في كفاحها القومي ضد الاستعمار نجدها بعد الاستقلال برغم توفر هذه العوامل تنقسم إلى طبقتين متصارعتين: طبقة أولى سلطوية في يدها أعنة القهر السياسي والاقتصادي والطائفي، وطبقة ثانية محرومة مسحوقة بالبؤس الاقتصادي والخضوع السياسي والقلق في الأمن على نفسها وعائلاتها. ومقابل ذلك ظهرت في العالم الأول المتقدم علمياً واقتصادياً، ومن الناحية الواقعية عوامل جديدة في تكوين الوحدات الأممية هي عوامل اقتصادية وثقافية، ومن الناحية الفلسفية سادت الذرائعية في تكوين الوحدات الأممية، فالغرب اليوم نجده باقتصاده وثقافته ومصالحه وذرائعيته يطرح مفارقاته القومية الأولى ويقف متحداً في مواجهة العالم الثالث لاستغلال خيراته، بل وفي مواجهة العالم الإسلامي كخصم تاريخي وإيديولوجي، ولم يتورع في هذه المواجهة الفكرية والاقتصادية والعسكرية عن تفجير الحروب ضده، وآخر حرب شهدها العالم برهان على ذلك.

فإذا كان الغرب قد راجع حساباته في «نظرية الأمة.. والقومية» فحري بنا أن نخلع عن أنفسنا رداء أفكاره القديمة والحديثة ونبحث عن مكوِّنات الأمة الحقيقية لدينا كشعوب إسلامية مفروض عليها هذه المواجهة التاريخية.

من هذه النقطة وبعذ هذا العرض تنطلق نظرية الأمة عند المفكر الإسلامي المتنوِّر مرتضى المطهري.

لاحظ المطهري أن الإحساس القومي والوطني لا يوجد إلّا في عهد الحرمان والظلم والعدوان والاستعمار والاستثمار، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومن ذلك رأى أن الآلام المشتركة والآمال في رفع الظلم وتحقيق العدل كانت دائماً هي الجامع المشترك في الأمة بل وبين الأمم التي عاشت نفس المعاناة. غير أن المنزلق الخطر يكمن في أن هذه الآلام والآمال قد تصبح منطلقاً لظلم جديد وعنصرية جديدة، فظلم المستعمِر للمستعمَر، وتحقيره إياه باشعاره بتميزه وتفوقه غالباً ما يدفع المستَعمر إلى تمجيد نفسه والتغني في آدابه بعنصره بدلاً من أن يكون الحق والعدل والبناء الخيِّر السامي هي الأهداف العليا، وهذا ما نلمسه في أدب الزنوجه وأدب الحركات القوموية في منطقتنا هذه.

ويساهم المثقف الشرقي والمسلم الإفريقي باستنادهما إلى المقاييس الغربية لنظرية الأمة في تقديم قومية بهذه الصبغة والدفاع عنها بنفس الأسلحة الظالمة التي ابتاعها من عدوه.

والوقوع في هذا المنزلق يمكن أن يشحن المواطن عاطفياً لفترة محدودة لكنه لا يمكن أن يكون أساساً لبناء حضاري عظيم.

إن المنجاة من هذا المنزلق هو أن تصبح التقوى وطلب الحق والعدل. إذ كما يقول الباحثون الغربيون «الدواعي الإنسانية المتعالية» هي جوهر الوجدان الجماعي المشترك.

وفي بحثه عن نظرية في الأمة تنطلق من هذا الجوهر، وفي ارهاصاته بولادة أمة تتكون مع الزمن على هذه القواعد الجوهرية نجده يستعرض الشعوب الإسلامية المتباينة في لغاتها وتقاليدها ودمائها وفي أوضاعها الاقليمية والجغرافية ووحداتها السياسية، وهذه التباينات في مقاييس الباحث العربي في القومية هي عوامل فصل لا عوامل وصل، لكن البحث الواقعي والميداني يدلُّ على أن بين هذه الشعوب عاملاً مشتركاً جوهرياً هو الإسلام، وهذا العامل الجوهري هو الخالق لاحساس موحد بالآلام والآمال المشتركة، وبالتالي لعاطفة إسلامية موحَّدة. وهو الخالق أيضاً في أمداء الممكن لتصورٍ مشترك لأمة إسلامية لا بد أن تجد طريقها إلى الحياة مع ترسخ المفاهيم الإسلامية لدى شعوبها ومؤسساتها الحاكمة، فالإسلام في جوهره عالم مليء بثقافات ومعارف وآداب تخفي وراء تعددها وحدتها، لأنه ليس تعدد قطع وفصل وإنما هو تعدد وصل واتصال وانسجام، إنه تعدد يحقق التكامل في الوحدة.

إن قيام الأمة على الإسلام لا يعني قيامها على مفهوم الغرب أو المتغربين للدين والمحدود لديهم بالعصبية والطقوس، وإنما يعني قيامها على بنيان معرفي متكامل له أسسه وقواعده وأصوله وتطبيقاته وأمداؤه المنبثقة من الجوهر والمنطلقة ثوابتها من الكتاب والسنّة النبوية والمنفتحة امكاناتها بالاجتهاد، أي نهوض بنيانها على منظومة متكاملة متجددة معاصرة أبداً بما يفيض عن الثابت ـ الجوهر ـ من امكانات تحيط بالواقع من مختلف جوانبه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية. فالإسلام ليس كالديانات الأخرى التي يقتصر دورها على تقديم جرعة روحية وتهذيب للنفس فحسب، وإنما هو حياة للإنسان بكل أبعادها وامكاناتها وطموحاتها.

إن المتتبع لآراء المطهري في الأمة يجده يرسم دائرة كلية كبيرة هي دائرة الإسلام، في داخلها دوائر متعددة هي دوائر الشعوب الإسلامية بما تحمله هذه الشعوب من خصائص قومية وثقافية وتاريخية وتقاليد. وجودُها ضروري في بناء الأمة الإسلامية كضرورة وجود الجزيئات المتعددة المختلفة بوظائفها من الكترونيات وبروتونات ونترونات في بنية الذرة، وتحرِّك هذه العناصر «أشواق إلى الحق والعدل، وهذه الأشواق هي التي تجمع الآحاد وتمنحهم الوحدة والوداد»[٩].

إذن فالاختلاف في اللون والدم واللغة بين الأمم في نظر الإسلام أمر غير جوهري.. ولا يمكن أن يكون سبباً للتباعد أو مانعاً من التعارف، يقول المطهري: «إن الاختلاف بين أمم الأرض في الألوان والعناصر والدماء واللغات، والذي خلق منه الإنسان مقاييس للتفرقة والانفصال ليس شيئاً جوهرياً وأصيلاً، وليس أي منهم أعز وأشرف إلاّ من سلك سبيل التكامل في الإنسانية بسلوك سبيل الله والإسلام»[١٠].

إن انسياقنا وراء اطروحات الغرب في الأمة، وعيشنا تحت مظلة من ثقافته، واستخدامنا لأدواته الفكرية يجعل من الصعب علينا أن نتصور قيام «أمة إسلامية» بينما يسهل علينا تصور قيام «أمة أوروبية» نلمس بوادر تكونها اليوم.

غير أن مراجعة للأسس والمقومات التي تقوم عليها نظرية الأمة الإسلامية تدنيها من التصور، خاصة وأنها كانت ذات يوم حقيقة تاريخية، وإذا لم تكن اليوم قائمة في الواقع فإن قيامها في الآتي حتمية تاريخية[١١]، لأن عدم ظهورها اليوم ـ بنية سياسية واقتصادية واجتماعية موحدة ـ لا يعني عدم وجودها، فأصل الوجود للفكر وشروط الوجود للأمة الإسلامية اليوم وجود في الفكرة بكل شروطها الايديولوجية والواقعية ومهمة الدعاة والباحثين والسياسيين الإسلاميين المتنورين لا بد أن تنحصر في تحويل النظرية إلى خارطة زمنية إلى أن تصبح حقيقة تاريخية.

١، ٢ ـ أول هذه الأسس والمقومات توحيدي وهو الإيمان بالله، ويمثل قمة ارتقاء العقل البشري ونهاية رحلته من المحسوس إلى المجرد، إن لفظ الشهادتين لا يشكل فحسب عامل وحدة دينية بين الشعوب الإسلامية وإنما ينتهي بنا إلى ثاني الأسس الذي تقوم عليه الأمة وهو الحرية، فعندما تكون العبودية لله وحده فلا عبودية للآلهة الأخر من مستكبرين ومستعمِرين أو أصنام معاصرين أو شهوات أو مال، وهكذا تصبح الدوافع التوحيدية والشعارات الإسلامية «ايديولوجيا لنهضة المحرومين»[١٢]، وهذا هو المعنى الأكثر عمقاً لكلمة الحرية.

ونظرة المطهري للحرية هي نظرة شمولية، فليس المخصوص بالحرية جماعة عرقية، ولا طائفة دينية أو سياسية معينة وإنما هي حق للجميع في نظرية الأمة الإسلامية، وهذه الشمولية تفتقر إليها الاتجاهات الحديثة التي تخلع على أنفسها صفة التقدم واليسار ليس من الناحية التطبيقية فحسب وإنما في المنهج

الايـديـولـوجي، حيث تعطي حق النقد وابداء الرأي الحر ـ إن صحّت التسمية ـ لأعضائها فقط وفي دوائر حلقية مغلقة.

وبما أن حرية الرأي هي الأقدس.. وهي تشمل حرية المعتقد بمختلف جوانبه وأنواعه. المعتقد الديني والسياسي والاجتماعي والفكري والأدبي والفني.. فلنستقرىء رأي المطهري من خلال النص التالي وهو من كلمة ألقاها في بهمن ٥٧ ـ ١٣٩٩ هـ.

«إنني أعلن أنه لا يوجد في نظام الجمهورية الإسلامية أي حصار للأفكار، ولن يكون فيه شيء من تحديد الآراء، نعم كل الناس أحرار في عرض نتائج أفكارهم وآرائهم».

«إنني أعلن لجميع الأصدقاء غير المسلمين أن الفكر حر من وجهة النظر الإسلامية، فكل ما بدا لكم أن تفكروا فكّروا، وكيفما أردتم أن تعلنوا عن عقائدكم بشرط أن تكون عقائدكم واقعاً أعلنوا عنها، وكيفما أردتم أن تكتبوا اكتبوا، لن يمنعكم عن ذلك أحد، إن السبب في بقاء الإسلام هو هذه الحريات».

«إنني أحذّر الشباب المتحمس للدين الإسلامي أن لا يظنوا أن السبيل الوحيد لصيانة العقيدة الإسلامية هو منع الآخرين من اظهار عقائدهم، إن القوة الوحيدة التي تحرس كيان الإسلام هو العلم ومنح الحرية للأفكار المخالفة ومواجهتها بكل صراحة ووضوح».

٣ ـ إن عوامل التعدد في الأمة الإسلامية هي نفسها عوامل وحدة، لأن أساس العلاقة بين الأعداد هو التعارف والأخوة.

﴿إنّا جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(١٣).

﴿إنما المؤمنون أخوة﴾(١٤).

[لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه](١٥).

[والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم](١٦).

ويرى المطهري أن هذا التعارف ضروري لحصول التكامل المادي ـ الاقتصادي ـ والسياسي والمعنوي بين شعوب الأمة الإسلامية.

٤، ٥ ـ وهذا الأساس ينطلق بنا إلى آخر وهو أن «الإسلامية» هي لا عنصرية ولا أممية، وإذا كان هنالك من مفاضلة بين أعضاء الأسرة الواحدة فإنما تقوم على التقوى والمنافسة في التمسك بالمبادىء الإنسانية السامية المتعالية: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

[ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلاّ بالتقوي].

[الناس سواسية كأسنان المشط].

وتلك هي المساواة الحقة، وفي ظل نظرية الأمة الإسلامية ليس هنالك الغاء أو هدر للقوميات

المتعددة وإنما يقوم الإسلام بصياغتها بمبادئه كما يصوغ الجوهري بأنامله سبائك الذهب والفضة ويرصعها بنفائس الأحجار الكريمة، ليقدم هذه الصياغات الإسلامية للقوميات في أجمل هيئة وفي أكثرها حضارة وتقدماً رأوسعها خيراً للإنسانية.

٦، ٧ - التوازن في عمارة الأمة الإسلامية والذي يبدأ ويتمثل في الشهادتين بين السماوي «لا إله إلاّ الله» والأرضي «محمد رسول الله» ينتهي إلى توازن عادل في علاقة شعوبها بحكّامهم، وشعوبها ببعضهم، وأفرادها ببعضهم، وإلى توازن عادل في داخل الفرد نفسه، إنه توازن يقوم على العدل والحق.

﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله﴾(١٧).

﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾(١٨).

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾(١١٩).

وبما أن العدل كمفهوم أخلاقي تختلف مقاييسه البشرية باختلاف الأطماع والطموحات فمفهوم العدل من وجهة نظر المستعِمر يختلف عن مفهومه من وجهة نظر المستَعمر، فثورة الشعب الفلسطيني مثلاً من وجهة نظر المحتل الصهيوني وحلفائه ليست عادلة وأعماله لا تتصف بالحق وإنما بالارهاب، في حين أنها من وجهة نظر الفلسطينيين ومن يشاركهم آلامهم هي ثورة وطنية عادلة تهدف إلى استعادة حق مغتصب، إذن لا بد من مقاييس كلية علوية تابعة للعدل والحق... ومثل هذه المقاييس المطلقة لا بد أن تكون إلهية، بمعنى أنها عدل إلهي، وإفاضة لهذه الفكرة أفرد المطهري مؤلفاً خاصاً في العدل الإلهي. والعدل هدف للنبوة، وإحدى مقومات الأمة الإسلامية.

يقول المطهري: «إن العدل بمفهومه الاجتماعي هدف للنبوة وبمفهومه الفلسفي أساس للمعاد، والقرآن الكريم يبين لنا هدف النبوة حين يقول: ﴿ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾(٢٠).

٨، ٩ - الشعور بسيادة العدل الإلهي في الأمة كواحد من مقوماتها مولِّد لشعور آخر وأساس آخر تقوم عليه هذه الأمة، وهو الأمن والسلام. على المستوى الفردي هنالك ممارسة يومية لهاتين المقومتين وذلك بتحية الإسلام «السلام عليكم» وتأكيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك بقوله [أفشوا السلام بينكم] وعلى المستوى الاجتماعي والدولي فإن الناظم لذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾(٢١) والسلام في الإسلام متعلق برضوان الله وتقواه، ﴿يهدي الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾(٢٢) وديار الإسلام هي ديار السلام، ولكن لا سلم ولا أمن للظالمين. ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن﴾(٢٣) وإن أجهزة الأمن في مجتمعات الأمة الإسلامية مسؤولة ليس عن أمن المواطن فحسب وإنما عن توفير السكينة في قلبه. وخيوط الأمن والسكينة السياسية لا تنفصل عن خيوط الأمن والسكينة الاقتصادية ودور الحكّام هو أن يَصِلُوا رعاياهم بالرعاية والعمل. وصَلاةُ الحاكم سكن للرعية [كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته](٢٤).

﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾[٢٥].

١١١٠ ، ١١ ـ في ظل هذه الأسس يصبح العلم والعمل من أهم مقوّمات الأمة.

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[٢٦].

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[٢٧].

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[٢٨].

والفرد في الأمة الإسلامية مثوب على علمه وعمله دنيوياً وأخروياً، بما يجتنيه من كسب حياتي وكسب رباني إذ يفوز برضوان الله ومغفرته، والآيات والأحاديث النبوية التي تحض على العلم والعمل وترفع منزلة أصحابها تشكلان الركيزة الأساسية وأيديولوجيا الإسلام، والعلم هو «النور الإلهي» ومهمة العلماء تقديم هذا النور خالصاً نقياً من الشوائب للنهوض بالوعي الشعبي إلى مستوى التنور، وإن ما حققه المطهري مثلاً في الملحمة الحسينية يعتبر مثالاً لمهمة العالم التنويرية. وإذا كان الإيمان بالله هو الطاقة العليا فإن العلم والعمل هما القدرة التي بها يتحقق استمرار الحياة والتقدم في المجتمع الإسلامي.

١٢ ـ ويقوم مفهوم الأمة الإسلامية وأفضليتها على نزعة إنسانية عليا هي الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه المقومة مرتبطة مباشرة بالمقومة الأولى الإيمان بالله ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[٢٩].

وهذا الفصل هو تصدير للثورة الإسلامية ودعوة الإسلام إلى الداخل والخارج، داخلياً إلى ذات الفرد وإلى المجتمع الإسلامي، وخارجياً إلى الأمم الأخرى، فالأمة الإسلامية كما تحرم الظلم وتنهى عن المنكر، وتقيم عمارة مجتمعها على الحق والخير في داخل عمارتها الثقافية والسياسية والاجتماعية فإنها ما وسعتها قوتها وتأثيرها في المجتمع الدولي تناصر المضطهدين والمحرومين وتمنع ظلم الأقوياء للضعفاء في المجتمعات الأخرى.

١٣ ، ١٤ ـ وهنا تبرز قيمة الجهاد من أجل جميع هذه المبادىء العادلة التي تقوم عليها الأمة الإسلامية، وهذه المبادىء هي «كلمة الله العليا» من أجلها أي «في سبيل الله» يصبح الجهاد فرضاً على الأمة.

﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾[٣٠].

والجهاد بنوعيه: جهاد النفس وجهاد العدو هو تحقيق لذات الفرد في الجماعة الإسلامية وتحقيق لذات الجماعة الإسلامية نفسها.

﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين﴾[٣١].

وهكذا فالتاريخ المشترك في الأمة الإسلامية هو تاريخ الإيمان والجهاد، وهو أهم وأعمق من التاريخ الطائفي أو السياسي أو تاريخ الجنس، لأن مثل هذا التاريخ قد لايكون عامل توحيد دائم في الأمة وقد

يتحول إلى عامل تفرقة وأحقاد ونزوع إلى الانفصال.

من الواضح أن المطهري يقيم نظرية الأمة، والإسلامية بالتحديد، على النظام الفكري والسلوكي والاجتماعي وليس على نظريات الغرب في هذا المجال، وهو يأخذ إيران نموذجاً لتطبيق هذه النظرية فيقول:

«إذا تقرر أن يكون الأساس في تعيين حدود الأمة الإيرانية هو العنصر الآري كانت النتيجة في نهاية الأمر الاقتراب من العالم الغربي، وكان لهذا الاقتراب في سيرتنا القومية والسياسية تبعات وآثار أخطرها الانقطاع عن الأمم المسلمة المجاورة غير الآرية، والارتباط بأوروبا والغرب، وحينئذ الغرب المستعمِرُ لنا صديقاً قريباً، والعرب المسلمون بالنسبة إلينا بعداء أجانب..! وعلى العكس من ذلك تماماً فيما إذا جعلنا ملاك أمتنا نظامنا الفكري والسلوكي والاجتماعي لهذه القرون الأربعة عشر الأخيرة»[٣٢].

نظرية المطهري في الأمة إذن هي نظرية إسلامية، وإنها لجرأة فائقة التفكير والبحث أن يخرج مفكر كالمطهري عن دوائر الغرب الثقافية والأكاديمية الصارمة في التنظير إلى دوائر إسلامية مفتوحة، تجاهلها يعني الابتعاد عن الأنا العاطفي والديني والتاريخي والاجتماعي والثقافي للشعوب الإسلامية، بل والابتعاد عن أصول البحث العلمي ومعطيات الواقع.

وإنه لتحول في التفكير العلمي أن يقيم مفكر كالمطهري بنيان الأمة على مقومات داخلية وعلوية أي على نظام فكري يربط بين الله والإنسان وليس على مقومات خارجية: جغرافية وعنصرية، ولغوية، وتاريخية سياسية وتقاليد وعادات.. إنه بناء للأمة ينطلق من الجوهر وتتكامل عناصر وحدته في داخله.

وهذه الأمة لا تشمل المسلمين بالخصوص وإنما تشمل جميع الأحرار الموحدين داخلها يتمتعون بحرية المعتقد، وبالأمن السياسي والاجتماعي والحياتي فالأمة كما يرى المطهري إذا قامت على الحق والعدل عاش الجميع في ظل رعاية تامة ويسوق أمثلة من التاريخ على المكانة التي حظي بها غير المسلمين في عهود شتى من الحكم الإسلامي[٣٣].

وهذه الأمة الإسلامية قادمة إلى الوجود، وعن تفاؤله بمولد هذه الأمة الإسلامية التي تنهض على تلك المقومات التي ذكرناها يقول:

«والأمة الإسلامية اليوم في طريقها إلى الوجود مرة أخرى إن شاء الله، أمة قد عبرت الحدود الموضوعة العنصرية الدموية، وشملت جميع المسلمين بل جميع الأحرار الموحدين، أمة تنفي وتنكر حكومة القوميات والطبقات والأسر والعوائل، وتجعل أركانها على أساس تحرير البشر من جميع الأغلال والقيود الفكرية والاجتماعية والسياسية، وهدايتهم إلى التقرب من ساحة رب العالمين الرحمن الرحيم»[٣٤].

أخيراً

إن نظرية الأمة الإسلامية التي دعا إليها المطهري، وما أكده من قيامها الحتمي وما بسطه من مقومات

وحدتها هي نظرية قرآنية جاءت في قوله تعالى:

﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة أنا ربكم فاتقونِ﴾(٣٥).



الحواشي:

(١) ـ بادت أقوام عبر التاريخ القديم والحديث إمّا لأنها لم تمتلك المقومات الداخلية لاستمرارها أو بفعل غزو شرس مدمر متفوق في العدد والعدة، كأقوام عاد وثمود وطسم وجديس والهنود الحمر وأقوام أخرى.

(٢) ـ نورد مثالين الأول هو الصين التي حافظت على جانب كبير من كينونتها التاريخية رغم التطور، والثاني هو الهند التي انقسمت أمتين: هندية وباكستانية وتباعد بينها لأسباب يقع الدين فيها في المحل الأول في تبلور مفهوم الأمة ومقوماتها، أمّا الثالثة وهي بنغلادش فالانفصال الطارىء هو سياسي «خارجي»، والاتصال واقع تحكمه المقومات التي نحن في صدد تبيانها عن «الأمة الإسلامية».

(٣) ـ نشير إلى انكسار أحلام أممية وظهور أحلام أخرى، فالعصر الحديث انكسار حلم «أمة شيوعية» تقوم على مرتكز ايديولوجي وفلسفة جدلية مادية، ويشهد ظهور حلم «أمة أوروبية» تقوم على جملة من المصالح الاقتصادية والسياسية.

(٤) ـ المطهري، الإسلام في إيران ص ٢١.

(٥) ـ المصدر السابق ص ٢٢.

(٦) ـ المصدر السابق ص ٢٤، والمطهري يطلق لفظ «القومية الأوروبية» مع أنها «قوميات أوروبية» إذ أنه يراعي العامل الذي يوحد هذه القوميات وهو نمط التفكير الأوروبي الاستعماري.

(٧) ـ المصدر السابق ص ٢٥.

(٨) ـ المصدر السابق ص ٢٩.

(٩) ـ المصدر السابق ص ٣٦ وقد دأب مفكرون إسلاميون وبخاصة الاشراقيين كالسهروردي وصدر المتألهين الشيرازي على التأكيد على الحركة الكونية الناجمة عن «الأشواق» لدى الكائنات والكواكب والعناصر إلى كُلِّي القدرة والجمال والعدل.. إلى الحق».

(١٠) ـ المصدر السابق ص ٣٩ والكاتب يقيس مقومات الأمة حسب النظرية الغربية والنظرية الإسلامية بمقياس «الجوهر والعرض» الفلسفي، وقد بيّن في تحليله النقدي أنّ مقوّمات الأمة حسب نظرية الغرب هي «العرض» وأن مقوماتها حسب النظرية الإسلامية هي «الجوهر».

(١١) ـ الأمة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصدر الإسلام كانت حقيقة تاريخية، ثم حدثت الانقسامات والتباعد بظهور «الملكية» وغلبة الدعاوى السياسية قديماً والقومية العنصرية حديثاً وهي «العرض» على الركائز الفكرية لبنية الأمة وهي «الجوهر».

(١٢) ـ الإسلام في إيران ص ٤٢ .

(١٣) ـ الحجرات ١٨ .

(١٤) ـ الحجرات ١٠ .

(١٥) ـ حديث نبوي .

(١٦) ـ حديث نبوي .

(١٧) ـ المائدة ٨ لاحظ في الآية ارتباط العدل بالتقوى، والتأكيد على تقوى الله ليكون العدل إلهياً.

(١٨) ـ النساء ٥٨ .

(١٩) ـ النحل ١٦ .

(٢٠) ـ المطهري، العدل الإلهي ص ٦٠، ويتساءل في كتابه هذا ص (٤٣): «لماذا طرحت مسألة العدل في الفقه الإسلامي قبل كل مسألة؟ ولماذا تصافح كلمة العدل الأذن في عالم السياسة الإسلامي» ويجيب المطهري في الكتاب نفسه ص ٤٤ : «إن هذا الكتاب العظيم (ويعني به القرآن الكريم) هو الذي بذر فكرة العدل في قلوب وأرواح الناس ثم سقاها ونمّاها فكرياً وفلسفياً وعملياً واجتماعياً، إنه هو القرآن الذي طرح مسألة العدل. والظلم من حيث مظاهرها المختلفة : العدل التكويني، العدل التشريعي، العدل الأخلاقي، العدل الاجتماعي.

والقرآن يصرح بأن نظام الوجود مبني على أساس العدل والتوازن على أساس الاستحقاق والقابلية».

(٢١) ـ البقرة ٢٠٨ .

(٢٢) ـ المائدة ١٦ .

(٢٣) ـ الأنعام ٨٣ .

(٢٤) ـ حديث نبوي .

(٢٥) ـ التوبة ١٠٣ .

(٢٦) ـ الزمر ٩ .

(٢٧) ـ التوبة ١٠٥ .

(٢٨) ـ فاطر ٢٨ .

(٢٩) ـ آل عمران ١١٠ .

(٣٠) ـ التوبة ٤١ والجهاد في سبيل الله مطلوب على جميع المستويات: المستوى الفكري والعلمي والثقافي «خفافاً» فالعالم في مختبره العلمي، والباحث في دراساته الاجتماعية والفكرية، والأديب والفنّان في نتاجاتها الابداعية عليهم أن يكون الجهاد في سبيل الله والتصدي للظلم واعلاء كلمة الحق مضمون أعمالهم، وهذا المستوى من الجهاد يتكامل مع المستوى العسكري «ثقالاً».

(٣١) ـ العنكبوت ٦ .

(٣٢) ـ المطهري الإسلام في إيران ص ٢٢ .

(٣٣) ـ كان لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي مكانة هامة، وفعاليات سياسية واجتماعية وعلمية وثقافية واقتصادية . . وبعضهم تسلم مناصب سياسية هامة في إيران لدى بني بويه والأندلس وفي أقطار إسلامية أخرى.

(٣٤) ـ المطهري الإسلام في إيران ص ٤٢ .

(٣٥) ـ المؤمنون ٥٢ .

# حوار مع
# الأستاذ الشهيد الحاج الشيخ مرتضى المطهري

## كلمة الدكتور عبد المهدي يا دكاري

*أكـذا المـنـون تقطّـر الأبطـالا؟ أكـذا الـزمـان يضعضـع الأجبـالا؟*

أسمعتم ما قاله الشريف الرضي، إذ كان يرثي سيداً من السادة؟ إنه قال:

*أكَـذا المَـنُـونُ تُقَطِّـرُ الأبطـالا؟ أكـذَا الـزَّمـانُ يُضَعضـعُ الأجبَـالا؟*
*لا رُزءَ أعظَـمُ من مُصـابِـك إنّـه وَصَـلَ الـدُّمـوعَ وقَطّعَ الأوصـالا*
*يا طالبـاً مِن ذا الـزَّمـانِ شَبيهَـهُ هيـهـاتَ! كَلَّفـتَ الـزمـانَ محالا*
*إنَّ الـزَّمـانَ أضَـنَّ بعـدَ وفـاتـه من أن يُعيـدَ لِمثـلِهِ أشـكـالا*[1]

ويفوق أستاذنا الصاحب بن عباد، الذي رثاه الرضي بكثير، وأعظم مزية له، إستشهاده في سبيل الإسلام، وفي سبيل الحق، وفي سبيل إعلاء كلمة الله، وكلمة الله هي العليا: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يُرزقون﴾ (آل عمران، ١٦٤).

قال الإمام الراحل: «المعلمون المؤمنون يسيرون على هدى الأنبياء فسلامي على وارث النبي(ص) وورثة الأنبياء وهم العلماء».

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى آله الغُرّ الميامين، من آل طه وياسين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بلغ العلى بكماله كشف الدجى بجماله حسُنت جميع خصاله صلُّوا عليه وآله[2].

كذِب لو قيل: إن الحق لا ينتصر. كذب لو قيل إن النور لا يتفجر. فلقد انتصر الحق على الباطل؛

وإنه لينتصر؛ وسوف ينتصر بإذن الله تعالى، كما أن النور قد تفجر في إيران.

لأقول:

وكانت للثورة الإسلامية في إيران دعائم وأعمدة، وأساطين وأدمغة، ومن هؤلاء الفحول والفطاحل، فقيدنا الراحل، وسيدنا المناضل، سماحة العلامة الأستاذ المرحوم، الحاج شيخ مرتضى المطهري، تغمده الله، وأسكنه فسيح جنانه.

لقد كان الأستاذ الشهيد المطهري، واحداً يعادل ألفاً، بل وآلافاً، وكلنا يعلم أن مجاهداً واحداً ومناضلاً واحداً خير من آلاف القاعدين، وقل: ﴿فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾ سورة النساء ٩٥.

وكان الأستاذ المطهري شعباً مسلماً طيب الأعراق، فتصدت له الفئة الباغية، وفتكت به وقتلته، قاتلهم الله:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره — وكذا تكون كواكب الأسحار

أيها السادة!

دُعيت لأتحدث في هذه المناسبة، وهي ذكرى استشهاد أستاذ جليل، وإنسان عظيم، يعرفه الجميع لما كتب عنه، وقيل فيه، وترجم له، ونقل إلى ألسنة أخرى أقواله، وأماليه، وإنشاءاته ومنشئاته؛ فهو إذن معروف من خلال الأفواه، والأقلام، وهو معروف من خلال المقروءات والمكتوبات، وهو معروف من خلال المسموعات والمرئيات، وما بقي لي إلا أن أنقل إلى أسماعكم، وأذهانكم ما سُجّل في خاطري، وثبت في ذهني، من خواطر وانطباعات، رسمتُها في ذاكرتي، عن أيام ولحظات عشتها مع الفقيد الراحل، ومن هنا فقد عنوّنتُ مقالي هذا: «حوار مع الأستاذ مرتضى المطهري».

**الأول** ـ فقد التقيت بهذا الإنسان الفذ، أول ما التقيت وجهاً لوجه، في خراسان، وبالضبط، في قاعة بكلية الإلهيات والمعارف الإسلامية هناك إذ كان قد دعي لإلقاء محاضرة في مناسبة دينية سنة ألف وثلاثمائة واثنتين وخمسين هجرية شمسية ـ ألف وتسعمائة وثلاث وسبعين ميلادية، ولم أكن أره قبل ذلك اليوم رؤية واضحة، ومن قرب قريب، وكانت الصدفة واللقاء، فارتسمت في ذهني صورته الروحانية وعاد إلى طهران.

الثاني ـ وشاء القدر أن أترك جامعة خراسان، لأنضمَّ (لطموحي في الانضمام) إلى جامعة طهران، وهي الجامعة الأم، وكبرى جامعات إيران وأقدمها؛ وهناك التقيته وتبين لي اهتمامه بالدين، فقد قال لي عند طلبه مقابلتي ـ لإعطاء موافقته على انضمامي إلى الهيئة التعليمية في كلية الإلهيات ـ: «الحصول على درجة الدكتوراه ليس بالعسير، وكل من قرأ ودرس، فإنه يحصل عليها، ولكن هل يؤمن بالله وبرسوله وبكتابه، ويتمسك بالدين؟ وهذه كلية الإلهيات، وإني لأعتذر منك لو أخّرتك ثلاثة أيام». فشكرته على عمله وسلوكه وحسن مقابلته. ثم وقّع مبدياً موافقته على دخولي في الهيئة التعليمية، وهنأني بذلك. فلمست فيه

الحقيقـة وخلوص النيـة في الله ، وأن عمله خالص لوجـه الله تعـالى ، ووجـدت فيـه بُعـد النظـر ، والـدقـة الإسلامية ، فجزاه الله خير جزاء الصالحين.

**الثالث**: وكان ابنه من طلاب صفي ، فسألني الأستاذ ذات يوم عن دروس ابنه ، وحضوره ، واهتمامه وانتباهه للدرس ، فوجدته في هذا اللقاء وهذه المواجهة حريصاً على تعليم أبنائه ، يتابع خطواتهم العلمية ، ويتفقد أمورهم وأعمالهم شخصياً ؛ وهم الآن يتمتعون بمستوى علمي لائق ـ والحمد لله ـ فإن الولد على سر أبيه كما قال علي عليه السلام ..

**الرابع**: وحضرت محاضراته في حافظ الشيرازي ، بقاعة كلية الإلهيات ، فوجدت أستاذنا دقيقاً كل الدقة في انتقاء أصح الأقوال ، وأدق الروايات ، قوياً في استدلاله ، بديعاً في استنتاجاته ، قد جمع بين قداسة الحـوزة وحـداثـة الجامعة ، تظهر عليه الأبهة الدينية والوقار الجامعي ؛ فإذا رأيته رأيت عالماً دينياً ، روحانياً ، وإذا أصغيت إلى بحوثه أو قرأت دراساته وتقصياته ، وجدته باحثاً عصرياً بكل معنى ، مراعياً جميع ما يحتاج إليـه البحث العلمي الحـديث في الأوسـاط العلميـة الحديثة ، وفي الجامعات المتقدمة الراقية ؛ أما موقفه مع المعـانـدين ، أعـداء الـدين فكان صارماً ، يجادلهم جدالاً منطقياً ، ويقف في وجههم وقفة المجاهد الذي لا يرهب الموت ، فكانوا يعدونه على أنفسهم عذاباً صباً .

**الخـامس**: كان الأستـاذ المطهـري بسيطـاً في حيـاته ومعيشته . ففي الكلية كانت له غرفة من أصغر الغـرف وأبسطهـا ؛ فيهـا طاولـة تمثل المكتب ؛ ومقصف للكتب عادي ؛ وسرير بل تخت خشبي ، لا يتجاوز عرضه نصف المتر ، للتمدد أثناء القيلولة ، وجلوس المراجعين ، لا يدخل الصف ـ كما نقل عنه ـ إلا متوضأ ، ولا يبدأ الدرس والمحاضرة والعمل إلا بعد ذكر اسم الله تعالى ، ويلح على تعليم الأولاد وتعويدهم على ذكر اسم الله تعالى ، ونحن نعلم أن كل أمر ذي بال لم يبدأ باسم الله فهو أبتر ، وكل أمر ذي شأن لم يختم بحمد الله فهو أقطع ، وهذا من مأثور الكلام .

**السـادس**: كان الأستـاذ المطهـري في الحـوزة العلميـة بقم مدرِّسـاً ، فوجـد أن أغلبية الرعية ، وهم الشبـان ، لا راعي لهم ، ولا قائـد يقـودهم ؛ والعـالم يسـير نحـو اللا مبالاة ، ولصوص الأخلاق والأعراض يخططون ويبرمجون ، فلا بد ممن يهديهم ويسيِّرهم ويقودهم إلى سبيل الحق ، وإلى صراط مستقيم ؛ فشمَّر عن ساعديه ، وتوجه نحو العاصمة طهران ، الغاصة بالسكان الذين يتزايد عددهم يوماً بعد يوم ، بل ولحظة بعـد لحظـة ؛ وكلمـا نصحه النـاصحون ، وألحّ عليه الملحون بالعودة إلى قم ، والرجوع إلى الحوزة ، اشتد عزمه على البقاء في جوار الجيل الفتي ، لأنه أدرك الموقف ، وميَّز الضروري ، وعلم أن الجيل ينزلق إذا تأخر ، وينحرف ، ويتقهقر ويكون مصيره الهلاك والبوار.

ونشـر كتـابـاً صغـيراً بسيطـاً للصبية والصبايا ، يشتمل على قصص إنسانية ، اجتماعية ، أخلاقية ، حقيقيـة لا أسطـوريـة ، سماه «داستان راستان» أي «قصص الثابتين عقائداً» ، وكتباً صغيرة الحجم ، كثيرة الفـائـدة ، بلغـة يفهمهـا أصحـاب المستـويـات المتوسطة ، في الفلسفة ، والمنطق ، والأخلاق ، والاجتماع ،

والتـاريـخ، والعشـرة والمعـاشـرة، الـزواج والحيـاة الزوجية[٣]. . . ونشرها بين الناس، وفي أيدي الناس؛ قرؤ وهـا، ونقلوهـا، وتـداولـوهـا، وعملوا بموجب نصائحها. فعرفه الشبان ودعوه لإلقاء المحاضرات، في الجـامعـات الإيـرانية، والأندية الأدبية، والمجالس، والجوامع في أنحاء إيران. فلبى الدعوات، وأسرع في الحضـور والإلقـاء، والتفتت إليـه الأنظـار، وكـان النظـام البـائد يخشاه ويتحاشاه. فاتبع سياسة إجتماعية حسنة، استطاع بها وفي ظلها توعية الشعب، ولم يترك أثراً للذريعة، ولإلقاء القبض عليه عبثاً، إلا ما قد وجب شرعاً والتزاماً.

وكان لدخوله الجامعة، وتصديه للتعليم الجامعي أثر كبير في توجيه الجيل الجديد، إذ أدت خطاباته ونصـائحـه وتـوجيهـاتـه إلى تحرك الشبـان نحو الجامع، يهتمون بالصلاة، فيحضرون المسجد الجامعي في أوقـات الصـلاة، ويسألـون المسائل الشرعية التي يحتاجون إليها، وأخذوا يهتمون بقراءة القرآن، وتجويده، واقتناء أشرطة مسجلة للقرّاء المجودين، بدلاً عن اهتمامهم بالأغاني المهيجة (المؤجحة)! وهذا مما أدى إلى ارتفـاع طبـع الكتب الـدينيـة من كتـاب الله العـزيز، وكتب الأحاديث، وأجوبة المسائل الدينية، والتاريخ الإسلامي، وكل ما يخص الجانب الديني؛ وتشكلت الحلقات للبحث في الشؤون الدينية، وتنوّر الناس، فجلبـوا إلى حلقـاتهم من ابتعـدوا عن الشـريعـة وأقبـل إلى الإسلام غير المسلمين، ينشرون أسماءهم في الجرائد، ويعلنون إسلامهم، وتُرجم بعض الكتب الدينية وما يتعلق بالدين إلى اللغات الأخرى، ونُشر في أقطـار أخـرى، وَتـبرع التجار المؤمنون في نشر هذه الكتب، وكان يسانده علماء آخرون من مختلف المدن، من المراجع الدينية، وغير المراجع الدينية، مما لا يُنكر دور أولئك المهتمين والملتزمين، لكن الأستاذ المطهري كان نشيطـاً جداً في إسهـام الحـوزة في المجتمـع الطلابي والجامعي، بجرأته وذكائه وثاقب رأيه، وكان يخدم الدين بيده وقلمه، ولسانه أي بيانه، وقدمه أي حضوره في المجالس لإلقاء المحاضرات، وهومن حملة راية الحقّ والجهاد، بل وفي مقدمتهم، «ومداد العلماء أفضل من دماء الشهداء» لأنه يُسيرهم إلى ساحة الشهادة لإحياء الدين.

والأستاذ المطهري هو الذي نشّط الفلسفة الإسلامية في الجامعة، وأجرى مقارنة بين الفلسفة الغربية والفلسفة الإسلامية، فكان المتجددين ينكرون وجود فلسفة إسلامية، وفلاسفة إسلاميين، وبعضهم يرى الفلسفة الغربية كتاباً منزلاً! فشرح الأستاذ، ومن كان ينهج هذا المنهج السليم، غوامض الفلسفة، وفتحوا أكـمامـه، وفسـروا، وبينـوا أن هنـاك فلسفـة دينيـة أخلاقية تقف في وجه الفلسفة الإلحادية، وتدحر الآراء الفاسدة الباطلة؛ وتنوّر الشعب بجهوده، ونظروا إلى الحوزة بالإجلال والإكبار والإعظام، كل هذا بذكائه في التلقي والتلقين.

أمـا في تلقّي العلم ولا سيـما الفلسفـة؛ فقد سمعت زميله في صف الفلسفة (وهو العلاّمة المنتظري) وكـانـا يدرسـان الفلسفة معاً، يقول في الأستاذ المطهري: إنه كان ذكياً، يُدرك ما يلقيه الأستاذ علينا فوراً؛ وكنت أسألـه بعـد خروجنـا من عنـد الأستـاذ، فيشـرح لي، ويبين ويوضح؛ وهويريد سرعة تلقي أستاذنا المطالب الفلسفية الغامضة والعويصة.

وأما من ناحية الإلقاء؛ فقد رأيت بعض تلامذته يحاجج بعض أساتذة الفلسفة، لفهمه الفلسفة من هذا الأستاذ.

نعم! أيها السادة، وهكذا سلكت الحوزة العلمية السبيل إلى الجامعات في إيران وفي غيرها، بفضل جهود هذا الرجل وهؤلاء الرجال المخلصين، الصامدين، الصابرين، وكلهم باقون ما بقي الدهر.

وصفوة القول: إن الأستاذ الشهيد الشيخ مرتضى المطهري كان قد تطوع لخدمة القوم والجماعة، [وسيد القوم خادمهم] «كما قال رسول الله (ص).

السابع :أما من حيث مورده وإيراداته، فقد سمعت بعض الناشرين يقول: إن راتب الأستاذ من الجامعة ضئيل لا يكفي لمعيشته، وسد نفقاته المعيشية، فيسدها عن طريق تأليفه ومؤلفاته حق التأليف، لأنه كان يدير عائلة كبيرة. ولم يكن يفكر في المناصب الظاهرية والإدارية، إذ لمّا تحققت الثورة الإسلامية بإيران، إجتمع الأساتذة والموظفون من كلية الإلهيات في بيته، يدعونه إلى قبول مسؤولية إدارة الكلية فقال: «علي أمور لا تدع لي مجالاً للقيام بهذه المهمة، وأخشى أن أقصر في تأدية الواجب»؛ ولما ألحوا عليه، قال: «فإن تستشيروني في الأمر، أشير عليكم بالدكتور محمد المفتح» ووافق الجميع.

وفي بيته، لاحظت بساطة عيشه، إذ لا سجاجيد مطبقة، ولا ثريات وجارات ونجفات وقناديل، ولا كنبايات وديكورات، وإنما هو بيت شعبي مفروش ببساط يفي بالحاجة؛ وما قبوله واشتراكه في مجلس الثورة الأعلى إلّا تفادياً لوقوع حوادث، وحفاظاً على معطيات الثورة الإسلامية، وتوجيهاً للمشاركين معه فيها؛ ولكن العدو الرابض النابض، كان يكمن له، ويتابع خطواته في ذهابه وإيابه، ويتحيّن الفرص ويستعد للإيقاع به في حركاته وسكناته وخلواته، ليوقع ضربته القاضية، وفعل فعلته الخبيثة وقتله، وأيتم الشعب كله: أضاعوه وأي فتى أضاعوا.

| | |
|---|---|
| أيا قمر المعارف والمعالي | أبن لي كيف عاجلك الأفول؟ |
| أدلتَ على الليالي من شكا | وقد جارت عليك فمن بديل؟ |

أراد العدو بقتل الأستاذ المطهري أن يضعضع أركان الثورة الإسلامية، ولكن الله تعالى شاء أن يستمر الركب، وتسير المسيرة، وتستقر الجمهورية الإسلامية، وتعلو راية الإسلام، وتحيا أمة الإسلام، ويصل إلى الآفاق صوت الإسلام: الله أكبر، لا إله إلا الله.

أجل أيها السادة الأفاضل! واستشهد أستاذنا، وبلغ درجة الشهادة، فهنيئاً له؛ والتحق بالشهداء: شهداء الدين، شهداء العزّة والكرامة، شهداء الشرف، شهداء الفضيلة؛ ومهّد بشهادته السبيل لانتشار العقيدة الإسلامية، والحقيقة المحمديّة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

ونسأل الله تعالى في هذه الذكرى الجليلة أن يحشره وأمثاله المؤمنين مع نبينا سيد المرسلين محمد خاتم النبيين وآله الطاهرين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

# العلاّمة مرتضى المطهري والحـركات الإسـلامية

الشيخ حسن الصفار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على أشـرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

قال الله العظيم في كتـابـه الحكيم: «إن أريـد إلا الإصـلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب» صدق الله العلي العظيم.

إن الاحتفـاء بذكـرى العـلامـة الشهيد المطهري رحمة الله عليه، ودراسـة آثـاره أمـر مهم يستـوجب العنـايـة. من هنـا فإننا نوجه شكرنا للجمهورية الإسلامية التي تعمل على إحياء ذكرى هذا الرجل، ونشر آثـاره عبر الأجهـزة الإعلامية والوزارات والمؤسسات المختصة، ونشكر المستشـاريـة الثقـافيـة في دمشق على هذه المبـادرة، ونرجو أن يكون لها أمثالها في كل عام وفي كل مكان.

ذلـك أن إحيـاء ذكـرى هذه القدوات والقيادات مهم جداً للأمة وللشعوب الإسلامية، فهي تشد الأمة إلى الرسالة التي حملها هؤلاء الرجال.

وفي نفس الـوقت فنحن نعـاتب وسـائـل الإعلام في البلاد الإسلامية والعربية لتجاهلها مثل هؤلاء الـرجـال وهـذه الـذكـريات، إنهم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها حينما يموت موسيقار أو مغن أو رياضي أو ما

أشبه ، ولكنهم يتجاهلون تماماً هؤلاء الرجال الذين كان لهم دورهم وتأثيرهم الريادي في حركة الأمة .

ولكن إذا كان الأمل ضعيفاً أو منعدماً في الحكومات فإن الأمل بالله قوي في نشاط الشعوب والجماهير المسلمة، التي عليها أن تأخذ زمام المبادرة بتخليد ذكرى علماء الأمة ومفكريها .

فالاهتمام بالشهيد المطهري ليس شأناً إيرانياً يخص إيران ، وإنما هو شأن إسلامي بل أكثر من ذلك إنه شأن إنساني، فالمجتمعات الإنسانية التي تقدر الكفاءات العلمية ، والأدوار التأريخية ، لا بد لها وأن تحتفي بمثل هذه الشخصية العظيمة .

أبعاد كثيرة واسعة في فكر وحياة الشهيد مطهري رحمة الله عليه تستحق الدراسة والبحث، ولا غرو فهو عصارة لنهضة ومسيرة عظيمة ، عصارة لتاريخ حوزوي علمي أصيل ، ولحركة سياسية ثورية ظافرة . وقد شملت مجالات عطائه الفكري واهتمامه العلمي مختلف جوانب المعرفة ، كما سمعتم من المتحدثين في هذا المؤتمر المبارك، وكما قرأتم له أو عنه . ومن يريد التحدث عن الشهيد المطهري فما عليه إلا أن يختار جانباً من الجوانب أو نقطة من نقاط المعرفة ، ويبحث حولها في كتبه وآثاره وسيرى حينئذ ثروة واسعة وأفقاً رحباً ، وسأختار في حديثي هذا أمامكم موضوع الحركات الإسلامية الإصلاحية عند الشهيد مطهري .

## الشيخ المطهري والحركات الإسلامية :

في البدء ينبغي أن نتساءل عن مدى علاقة الشيخ المطهري وارتباطه بالحركات الإسلامية الإصلاحية؟

والجواب يأتينا : **أولاً** : إنه كان على صلة وثيقة بالحركات الإسلامية الثورية في إيران ، وحتى تلك الحركات التي تنتهج العمل العسكري المسلح كحركة فدائيان إسلام ، والتي كانت حتى شبهة الاتصال بها في العهد البهلوي البائد تهدد حياة الإنسان بالهلاك والخطر، لكن الشهيد مطهري كان يتواصل مع أغلب الحركات الثورية في بلاده بالتوجيه الفكري ، والدعم المعنوي والمادي في بعض الأحيان ، وبتهيئة الأجواء الفكرية والنفسية للجماهير لصالح عمل تلك الحركات .

**ثانياً** : إن الشهيد المطهري جزء أساسي وقطب رئيسي من أهم وأعظم حركة إسلامية في هذا العصر، ألا وهي الثورة الإسلامية المباركة في إيران ، وما تبؤه لموقع رئاسة مجلس قيادة الثورة الذي شكّله الإمام الخميني قدس سره ، إلا دليل على مستوى كفاءته ودوره في صنع وتوجيه أحداث هذه الحركة الإسلامية المباركة .

فآراء الشيخ المطهري عن الحركات ليست آراء متفرج بعيد عن الساحة ، بل هي من وحي التجربة والخبرة والمشاركة والمعاناة .

**ثالثاً** : اهتمامه بدراسة تاريخ وتجارب الحركات الإصلاحية الإسلامية ، ومما تجدر الإشارة إليه أن

الاهتمامات العلمية والفلسفية للعلامة مطهري والتي تظهر من خلال عراقته في الحوزة العلمية وكتاباته الأصولية والفلسفية، لكنها لم تمنحه ولم تحجبه عن دراسة قضايا الثورة والعمل السياسي، فهو كما يدرس أعمال المفكرين والفلاسفة ويناقش آراءهم وأفكارهم، في ذات الوقت يدرس حياة المناضلين والثائرين، ليأخذ التجارب والعبر، ويقوّم النتائج والمواقف.

وكان من نتائج ذلك الاهتمام إلقاؤه لعدة محاضرات عن تاريخ وتجارب الحركات الإسلامية في القرن الأخير، والتي كتبت فيما بعد وترجمت باللغة العربية وطبعت تحت عنوان (الحركات الإسلامية الإصلاحية في القرن الأخير).

ورغم أن بحوث هذا الكتاب جاءت مختصرة وقد أغفل فيها جانب التوثيق المصدري، وهي ليست في مستوى العمق الذي عودنا به المطهري في أبحاثه التي تناولها، ولكنه يكشف لنا عن إطلاع واسع على تاريخ الحركات، واهتمام جادّ من قبله لدراستها. حيث يتناول البحث حياة طليعة الحركة الإسلامية في هذا القرن السيد جمال الدين الأفغاني، ويستعرض أهم آرائه وأفكاره ونشاطاته، كما يتناول حياة الشيخ عبد الرحمن الكواكبي، والشيخ محمد عبده، وإقبال اللاهوري، ويتحدث عن ثورة الدستور والتنباك في إيران، وثورة العشرين في العراق، وبدايات انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

## دراسة عن تاريخ الحركات:

إن مبادرة الشهيد المطهري بإلقاء وتسليط الأضواء على تاريخ الحركات الإسلامية الحديثة، وطرح هذا الموضوع في الأوساط الجماهيرية الشعبية، ليلفتنا ويؤكد لنا أهمية دراسة تاريخ الحركات، والذي يعاني من الإهمال والإغفال وخاصة في مجاميع الحوزات العلمية والأوساط الدينية. وتكمن أهمية هذا الموضوع في النقاط التالية:

**أولاً**: إن الحركات الإسلامية هي أهم ظاهرة إيجابية في تاريخ الأمة الحديث، فأمتنا الإسلامية تعيش تحت وطأة الاستعمار والتخلف والانحطاط، والأكثرية مستسلمة خانعة لهذا الواقع، وهناك تجمعات نخبوية نشأت في أحضان الأجانب، وتشبعت بأفكارهم تحاول تضليل الأمة وتكريس الهيمنة الثقافية والتبعية السياسية، في بلاد المسلمين.. وفي هذا الواقع المظلم القاتم، انبثقت أنوار الحركة الإسلامية المناضلة، لتعطي الأمل لجماهير الأمة، ولترفع معنويات شعوبها، ولتعيد لها الثقة بدينها ومبادئها، ولتوجه مسيرة الأمة إلى الطريق الصحيح.

**ثانياً**: لأخذ الدروس والعبر، وخاصة في هذه الفترة وحيث تنبثق وتتفجر الحركات الإسلامية في مختلف بقاع العالم الإسلامي، وتواجه التحديات الكبيرة، فلا بد من دراسة تاريخ الحركات لتحصيل التجارب، ولمعرفة نقاط الضعف ومكامن القوة في كل حركة وموقف، حتى لا تتكرر الأخطاء، ولنستفيد من نقاط القوة ونطورها.

ثالثاً: لأن هذه الحركات تشكل الوجه الآخر لتاريخ وواقع الأمة. فالكثير ون يتصورون ويعرضون تاريـخ الأمـة وواقعهـا وكأنه صورة قاتمة من الآلام والمآسي والهزائم والنكسات، وهناك من يبث فكرة سلبية مفـادهـا أن الله قد كتب على المؤمنـين أن يعيشـوا مقهـورين أذلاء، وأملهم الـوحيد في النصر والتغيير إنما يحصل على يد الإمام المهدي المنتظر (عج).. وهذه الفكرة تثبط الهمم عن التحرك، وتشيع في النفوس لا جدوائية العمل والنشاط.

وهذه فكرة خاطئة ومعاكسة لمسيرة تاريخ الأمة وواقعها، فتاريخنا الماضي والحاضر ليس آلاماً ومآس فقـط، بل هنـاك وجـه آخير يتمثل في التحدي والبطولات، في تاريخنا مكاسب وانتصارات وإنجازات، وما انتصـار الثـورة المبـاركـة في إيران إلا نموذج وتتويج لتاريخ حافل بالنضال والإنجازات، ونأمل أن يمتد هذا الانتصار وتتسع رقعته إنشاء الله حتى يأتي الإمام المنتظر (عج) ليتحقق على يديه النصر الكاسح الشامل.

فدراسـة تاريـخ الحـركـات الإسـلاميـة يشكـل تعزيزاً لروح الأمل وإثبات بأن الأمة ليست بكاملها مستسلمة خانعة، بل هناك إرادة وتحد ومقاومة.

رابعـاً: لمواجهـة التعتيم والتشويه الذي يمارس ضد الحركات الإسلامية من قبل المؤرخين المغرضين والإعـلام المعـادي، إن الإعـلام الغـربي والصهيوني اليوم يتكتم على التحرك الفعال والإيجابي للحركات الإســلاميــة، ويسلّط الأضــواء بشكــل مضخّم على بعض الاشكــالات والثغـرات، ويختلق التهم والافتراءات ضد المجاهدين، ليؤلب الرأي العام ضدهم، وليفصل عنهم جماهير الأمة.

وحـري بالكتّـاب والبـاحثـين والموجهـين أن يقتدوا بالعلامة المطهري في مبادرته الكريمة بالاحتفاء بتاريخ الحركات ودراسة آثارها ومواقفها والإشارة بانتصاراتها وتضحياتها.

## رسالة إلى العلماء والمفكرين:

إن إعـلاء كلمـة الله في الأرض، وإنقـاذ المسلمـين من حضيض الـواقـع المتخلف الـذي يعيشونه، واجب كل مسلم واع غيور، والعلماء والمفكرون في الأمة يجب أن يكونوا في طليعة من يتصدى للقيام بهذا الواجب المقدس، ولكن إذا كانت الظروف تمنع البعض من المشاركة الفعلية، والتصدي المباشر، فالمطلوب منـه كعـالم ومفكـر أن يتلمس السبـل والطـرق لدعم العـاملين ومسـاعدتهم، والتكامل معهم بأداء الأدوار الخلفية التي تصب في قناة الجهاد والثورة.

والعـلامـة المطهـري بحيـاتـه وكتـاباته يوجه رسالة واضحة إلى جميع علماء الأمة ومفكريها بأن يقوموا بواجبهم ويتحملوا مسؤوليتهم تجاه مستقبل الإسلام والأمة، وأن لا تكون الظروف السياسية مانعاً من أداء هذا الـواجب، حيث يمكن للعـالم والمفكر أن يخدم مسيرة التحرك الإسلامي متخطياً العقبات والعراقيل، بذكائه ولباقته دون أن يعطي للسلطات الحاكمة مستمسكاً يدينه أمامها، والشيخ المطهري نموذج وقدوة فذة في هذا المجال.

أما الانطواء والانكفاء على الذات، والتغافل عن معركة الأمة المصيرية ضد أعدائها الخارجيين وتخلفها الداخلي، فهو موقف غير سليم في هذه الظروف الحساسة، والاهتمام العلمي والحذر السياسي لا يشكل مبرراً مقبولاً عند الله وأمام جماهير الأمة.

والأسوأ من ذلك ما يحاوله البعض من افتعال صراع وتناقض موهوم مزيف بين الحركات الإسلامية الثورية وبين المرجعية الدينية وأوساط الحوزات العلمية، إن حياة الشهيد المطهري وأمثاله أفضل رد وجواب على هذه المحاولة المغرضة.

## منهج تقويم الحركات:

اعتمد الشيخ المطهري منهجاً موضوعياً سليماً في تقويم الحركات الإسلامية المعاصرة فهو أولاً: يدعو إلى دراسة محتوى وجوهر كل دعوة وحركة، وأن لا ننخدع بالشعارات والمظاهر، فيجب الفرز بين الحركات الإسلامية ذات المحتوى الإسلامي الحقيقي والتي يكون مسارها وخطها العام سليماً صحيحاً، وبين الحركات التي ترفع شعار الإسلام وترتدي عباءته بينما هي في حقيقتها وواقعها تفتقد المضمون والمحتوى الإسلامي، بل تتناقض معه، ويقدم العلامة المطهري كنماذج للحركات المنحرفة عن الإسلام مع تظاهرها به، الحركة السلفية الوهابية التي ظهرت في نجد على يد محمد بن عبد الوهاب، وحركة أحمد خان في الهند.

وثانياً: بالنسبة للحركات الإسلامية ذات المحتوى والمسار الإسلامي الصحيح لا يحق لنا التعامل معها بتقديس مطلق يستر عنا أخطاءها ونقاط ضعفها، كما لا يصح لنا أن نفتش عن الأخطاء والثغرات فقط ونتناسى الإيجابيات والإنجازات والتضحيات، كما هو ديدن البعض الذين يتشبثون بأي خطأ أو ثغرة لدى الحركة لإسقاطها من حسابهم ولأخذ موقف حاد مناوىء ضدها.. وهذا ما التزم به الشيخ المطهري في كتابه المختصر عن الحركات الإسلامية، فهو في الوقت الذي يكبر فيه شخصية السيد جمال الدين الأفغاني ويشيد بحركته وجهاده، يضع أصبعه على نقطة الضعف في فكره السياسي، وحين يبدي إعجابه بشخصية الأديب المجاهد إقبال اللاهوري، ويثّمن دوره في تأجيج المشاعر الإسلامية، ونصرة قضايا الأمة، ينتقد فيه ضعف المستوى العرفاني والعمق الثقافي..

وفي ختام حديثي أكرر الشكر للمستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية في دمشق على مبادرتها لعقد هذا المهرجان والمؤتمر لدراسة أفكار الشهيد المطهري، وأغتنم الفرصة بمناسبة الحديث عن الحركات الإسلامية في فكر الشهيد المطهري لأدعو المهتمين المسلمين الباحثين للتوجه لدراسة الحركات الإسلامية المعاصرة وتشكيل مراكز الدراسات والمؤتمرات المختصة بهذا الموضوع، فكم عقد الأمريكيون واليهود وسائر الجهات من مؤتمرات وأقاموا من مراكز خلال العقد الماضي ولا يزالون لدراسة وضع الحركات وتطورها في بلادنا بشكل يخدم خططهم لوأد النهضة الإسلامية وإجهاض التحرك الثوري..

ورحم الله الشهيد المطهري وأستاذه إمامنا الراحل الخميني وجميع الشهداء الأبرار.

# قــراءة حضـاريــة
# في الخطاب الحواري الإسلامي للمطهّري

د. سمير سليمان

عرف تاريخ الحضـارة الإنسـانية - كما التاريخ نفسه - حضارتين اثنتـين حضـارة الحق / الفطـرة/ التـوحيـد، وحضارة الباطل / المادية/ الـدنيـويـة. وهـاتـان الحضـارتـان محكومتان بالصراع والنزاع منذ فجر الإنسـانيـة، نظـراً لاختـلافهـا في المصدر والأهداف والقيم. وكأنهما في حركتهـا التصـادمية صورة مكبرة عن حقيقة الصراع الدائم بين أصالة الفطـرة وعبـادة أهواء النفس في أعماق الكائن البشري، واحدة ملكوتية تشده إلى السماء والأخرى شيطانية تشده إلى الاكتفاء المادي.

إنّ قراءة عمودية لتاريخ الحضارة البشرية قد لا تستدعي كبير عناء للاهتداء إلى أصل وحقيقة هذا الصراع. فكل من الحضارتين تصدرُ عن أصل وتخضع لسنن وقوانين، وتحمل مشروعاً مختلفاً.

فحضارة الباطل تبدأ من هذا العالم وتنتهي فيه على قاعدة أن الخير هو أن يكون لك أقوى ما يمكن من الـرغبـات وأن تجد الـوسائل لتحقيقها، وفاق القانون اللاأخلاقي لامبريالية أثينا الذي قام عليه صرح الغـرب الحـديث والمتمثـل بعبادتها الحياة بالطريقة التي يعبد بها النَّهِمُ طعامه. . إنه يلتهمه لكنه لا يحترمه، وعندما توجد الغايات والمثل العليا والوسائل تنصهر الحضارات المتعددة الأسماء في اسم حضارة واحدة.

أمّـا حضـارة الحق والفطـرة فهي حضارة التوحيد التي تحمل بالإنسان حضوراً ومشروعاً حضاريّين لا مثيـل لهما لأنهـا تقلده إعلى مراتب المـوجـوديـة بين المـوجودات بتعبير صدرِ المتألهين فتنصِّبه فضلاً وتكريماً - خليفة وسيداً في الأرض.

وفـاق هذا النمـوذج الحضـاري الإلهي، بمنهـج الإسـلام دورة الإنسـان في العـالم، ويحفظ توازنها،

ويربطها بمصدريتها، ويُشَرِّع لها قوانينها العملية، فيتحول الاستخلاف الإلهي للإنسان إلى حركة مستمرة تكدح نحو اللامحدود المطلق.

ولا أدري في هذا السياق إذا كان من الجائز ـ قرآنياً ـ الحديثُ الذي يمكن أن يكون أرسطياً، عن النطفة / الفطنة، أي: الحيوان العاقل ـ بمعنى ما ـ طالما أن القرآن قد رفع الإنسان إلى مُقام نيابة الله في العالم باعتباره من روحه: ﴿فإذا سويته ونفختُ فيه من روحي، فقعوا له ساجدين﴾.

ويقيني بأن المطهّري الشهيد لا يقول بغير ذلك.

في هذا المدى التفاؤلي تقرأ الحضارة الإسلامية الوجود، عندما تُحَرِّرُ الإنسان من العبودية للعالم فتجعله وصياً عليه، وتخلصه من جبرية الخيارات المادية، وتجعله مسؤولاً عن مصيره. فما من امرىء يولد ومعه لعنة الخلود في النار، أو بطاقة السفر المجاني والحتمي إلى الجنة. لكنَّ مصيره هو ما يقرُره التزامه ـ أو مفارقته ـ لنظام القيام الإلهي وسننه في الحياة.

أيها السيدات والسادة

ألا يرين الصمت على العالم بلا الإنسان؟ ألا يَنْطِقُ العالم إلا للإنسان؟ أنه مَنْطِقُ العالم [وَمَنْطِقُهُ]. . وهل يُنطِقُ الإنسان لغة لا يتقنها؟ ألا ترون معي أن العالم لا يملك قابلية النطق إلا بلغة الله؟ وإلّا، ما معنى أن يُنطِقَ الإنسان العالم؟: ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى﴾.

ثم أليس قول الإمام علي (ع): «أنا القرآن الناطق» إلّا تعبيراً عن أحد مستويات هذه «التناطقية» الإلهية وهي المشروع الحضاري للإسلام بكل تميزاته. . إنه المشروع الذي فيه تطهر المطهّري وله استشهد فكان قلبه حقاً كتاب غيب كما قال الشاعر الصادي أمس.

هذا المشروع الإسلامي المتمثل بمشروع الحق هو خيار حضاري. . به صار المطهّري صاحب خيار الحق. . وذلك على نقيض الخيار الحضاري / الباطل للمفكر الغربي. ولكن على أرضية الحوار / الإنطاق.

وكما الإسلام، لم يلغِ المطهّري الآخرَ، لكنه اعترف به وحاوره ودعاه. .

ليس لأنه «الآخر» في لعبة السوسيولوجيا الغربية وحضارة القوي الأبيض المتوهَّمة بين «الذات» و «الآخر» بل لأن «الآخر» هو مشروع حتمي متحول بالدعوة إلى «الذات» / أو إلى «ذات»، والمطهري أستاذ كبير في اتقان فن الحوار بين الذات ومشروع «الذات» لا الآخر. . إلى درجة «يمكن معها القول إن منهج الحوار يختصر / يختزن الفكر المطهري كله». .

وكيف لنا أن نُغَيِّبَ الفطرة التي فطر الله سبحانه الناس عليها في كل زمان ومكان، وكيف يجوز ـ بعد كل التحولات التاريخية المعاصرة والمستجدة ـ أن نُغْفِلَ فعل التفاوت / المفارقة بين موقف العالم الطبيعي وموقف المفكر أو الفيلسوف في الغرب. فلكل منهما شأن ولغة تناطقيان.

إن هذه المفارقة ـ هي عندي ـ أساسٌ لأزمة حضارية لم يعرفها تاريخ الفكر الإسلامي . فالعالِم الطبيعيَ الغربي يخاطب الطبيعية وينطِقها بمفاعيلها كافة ، وعندما ينجحُ في اكتشاف قوانينها فإنه يكون في صدد ممارسة دور إلهي .

من هنا نرى إلى التكامل بين العلماء الغربيين . أي إلى تاريخية العلم الغربي . فيما اكتشفه نيوتن جاء مكملاً لمن سبقه ، وعندما جاء أنشتاين فإنه لم يلغ مَنْ قَبْلَه . . ولذلك نعتقد بأن العلماء الغربيين هم أقرب إلى الإسلام من المفكرين الغربيين ، وتكامُلهم ـ هوذاته ـ في نفس مستوى تكامل العلماء والمفكرين المسلمين في التاريخ .

ولم يعد مستغرباً أن يصل كثيرٌ من العلماء الغربيين إلى معرفة الله والإيمان بهوالانتظام في مشروعه بعد اكتشاف نظامه التوحيدي حتى في حركة التفاصيل .

وهذا ما يذكرنا بحي بن يقظان . . وكأن كلاً من هؤلاء العلماء هوحي بن يقظان آخر .

كيف لا ؟ والتجريبية الغربية ـ كما بات مسلماً به ـ هي إسلامية الأصل ، فقد اختبرها العلماء المسلمون قبلهم فأوصلتهم إلى حقائق كبرى .

ثم كشفت أمام الباحثين الغربيين ما كشفت منذ النهضة الكبرى إلى اليوم .

على هذا نُكْبِرُ كلام آينشتاين عن الله ، وهولغة تذكرنا بلغة مسالك العرفانيين .

أمّا المفكرون الغربيون والفلاسفة فشأنهم شأن آخر . فقد استغلوا علوم واكتشافات زملائهم ، وأفرطوا في البناء عليها من صروح الاستيهام غالباً ، ليحولوها ـ من بعدُ ـ إلى آلهة . . فصار شعار الغرب اليوم : «بهذه التقنيات العلمية أستطيع أمنع أياً كان بأي شيء» .

إنه «السحر» الذي تعرفونه ، أيها الأخوة . . . إنهم سحرة فرعون . . لقد ألّهوا علومهم وتقنيتهم / سحرهم ؟

فهلّا لهم عصا موسى ؟ . . ومتى دام السحر ؟ . . ! «ليصعدوا إلى القمر» قال الإمام الخميني ساخراً . . فانظروا ماذا كانت النتيجة !

بهذه «النفعية» تعامل المفكرون والفلاسفة الغربيون مع علماء الغرب الطبيعيين ومع مخترعيه . فكيف تعاملوا مع أنفسهم ؟ !

إذا سألت مثقفاً أو مفكراً غربياً عن دوره في الحياة والاجتماع ؟ أجابك : إن دوري ذو طبيعة نقدية أساساً .

والمفكرون الغربيون عندما يقولون ذلك لا يخالفون الواقع . لأنّ المفكر الغربي مفكر ناقد / فيلسوف ناقد .

وتاريخ النقد الغربي يتلخص في أنه فكر فلسفي نقدي يلغي بشكل دينامي مَنْ سبقه . . . وبمعنى آخر: إنه فكر لا تاريخي أسقط النظم الفكرية الكبرى من أساسها (grand Systemes) وألغى بعضه بعضاً إنه فكر إلغائي قائم على السلب.

وهـذا يعني استطـراداً أن المجتمعـات الغـربيـة سائـرة إلى الدمار لأنّها مؤسسة على ثوابت مادية / الباطل . . وهي ثوابت متداعية مزعزعة.

من هذه المفـارقـة / الأزمـة الحضـارية وعلى أساس الفطرة نعتقد بإمكانية انتقال المفكر الغربي من حضـارتـه /البـاطـل إلى حضارتنا/ الحق، لأن مبدأ تخليه واختياره الحر موجود في قلب حضارته. فيما يفتح البـاب أمـام الفكـر الإسلامي ليحاور هذا الجانب من الفكر المضاد وليملأ هذا الفراغ التأسيسي أو البنياني [غارودي ـ محمد أسد . . ].

وإذا صحَّ أن المفكر الإسلامي هو مترجم للقرآن/الوحي، فهو بالضرورة مسؤول ـ بشكل أو بآخر ـ عن تخليـه عن دوره في الـدعـوة وترك المجتمعات الغربية سائرةً إلى الانحطاط والسقوط مهما طال بها الزمن شرط أن نعرف كيف نخاطبها.

أمّـا إذا كنـا نشكـو دائـماً من تحامـل أكثـر المفكرين والفلاسفة الغربيين على الإسلام والقرآن وعلى المسلمـين ـ ونحن في شكـوانـا على حق ـ فإن ذلـك عائـد إلى أن أولئـك لم يقـرأوا الإسـلام والقرآن بلغة علمائهم، بل قرأوهما بلسان مؤسساتهم الاستعمارية وأطماعها التاريخية، إلّا القلة منهم.

من موقـع المفكـر الإسلامي الرسالي، المتكامل مع علوم وأفكار من سبقه من المسلمين والإنسانيين، انخرط المطهَّري في حركة الحوار مع «الآخر»/مشروع الذات، مُحاكياً ثوابت النموذج الحضاري الإسلامي ومتحـركـاتـه. ولكن لا على أسـاس الفصم بين الثـابت والمتحـرك، بل على أساس أن المتحرك ثابت لأنه مردود إلى ثابت.

﴿يمحو الله ما يشاء ويُثبت، وعنده أمُّ الكتاب﴾.

وبأخلاقية المفكر المسلم جاء حوار المطهَّري مع الفكر المضاد وردوده عليه متخلصاً بدعوته الثورية من رميم الأزمة التي طالما عاشها الكثير من المفكرين المسلمين قبله ويعيشونها بعده، وقد توفرت فيه وفي أستاذه الإمام شروط الثورة على الأزمة بالعودة إلى الذات من خلال مساحتين منهجيتين:

١ ـ في ترجمة الوحي وقراءته. بالمعاني التي نوهنا بها.

٢ ـ وفي حيازة شروط القراءة الأخلاقية والعلمية السياسية وقوامها أن المفكر/ المثقف المسلم الصادق مُوْصِلٌ إلى الحق والحقيقة.

أمّا المفكر المنافق فهو ربيب الباطل، مهما يكن عليم اللسان، ويبدو لي أنه لا منزلة ثالثة بين المنزلتين!

أيها الأخوة والأخوات،

بهذه الأبعـاد لا يعـود المفكـر الإسـلامي مجرد متعـاطٍ كتبي، لكنـه يتحول إلى قائد سياسي في الأمة ومُرَبٍّ لها. . بينما السياسي في حضارة الباطل مدير مديني.

وأين الاجرائي من المربي في الله؟

فما أحـوجنـا اليـوم إلى الاستمسـاك بهذا الخط الحواري الرسالي الذي هجس به المطهري الشهيد، مستثيـرين قابليـة الفطـرة في الإنسـان الحـامـل للمشـروع الحضـاري المضـاد وهمومـه العلمية والأخلاقية والثقـافيـة، لا مِنْ فوقيـة التسـامـح التي طالمـا حقَّ لنـا التغني بها، بل من موقـع حق الآخر علينا أن يعرف مشروعنا بقياسه لا بالقياس/القياسات التي سجناه في تفاصيلها وعُقَدها.

هذا المنهج، أيها الأخوة والأخوات، نجح أيما نجاح في فكر المطهري وخطابه الفكري. . ونحن من الذين تلمسوا مدى هذا النجاح بين ظهراني الحضارة الأخرى. . فما من غربي تسنّى له الاطلاع على فكر المطهَّري إلا وأحدث فيه أطيب الأثر، وقد تمثل عند بعضهم باعتناق الإسلام في النهاية. .

صحيـح أن الاتصـال علاقـة بين البـاث والمتلقي. . لكنهـا في الإسـلام علاقةٌ رسالية ودعوة. وحقٍ معـرفي. . هكـذا أبـدع المطهـري في وعيهـا. . وكذلك ينبغي أن تكون. . فلتكن هذه التجربة النموذجية ذات الخصوصية الفذة ضميرنا في أصول بناء الدعوة والدعاة إلى عقيدة التوحيد.

فلِسَحَـرَةِ الغـرب خطـابُنـا الخـاص بهم. أمّـا المشدوهون التائهون من جمهور السحرة فلهم خطاب آخر. . فهلّا أتقنا الخطابين بسلطة الخطاب القرآني التي أتقنها المطهَّري الشهيد؟

أيها الأخوة، فَلْنَدَع الإسلام يتنفسُ الصعداء في الهواء الطلق. . فتكليفنا أن تصل رسالة الحرية إلى العالم، فلماذا نُصِرُّ على الاحتماء بلغة الصمت أو السلب؟

▨ ▨ ▨



# مداخلة قصيرة
# للمؤتمر الدولي لدراسة أفكار العلامة مرتضى المطهري

الأستاذ إبراهيم جواد

هي مداخلة فقط وليست محاضرة

وهي مداخلة قصيرة جداً كي لا يضيق عنها وقت المؤتمر

وأمهد لمداخلتي بالسؤال:

ـ من هو العلامة المطهري؟

لنقل إن الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري علم من أعلام الإسلام ورائد من رواد الثورة الإسلامية المباركة في إيران وفي العالم.

ولنقل إنه ربيب مدارس ثلاث:

ـ مدرسة الإسلام العالمية.

ـ ومدرسة أهل البيت الكبرى.

ـ ومدرسة الإمام الخميني رضوان الله عليه.

ولنقل إن هذه المدارس الثلاث إن هي إلا مدرسة واحدة متجددة مع العصور.

العلامة المطهري وعى روح الإسلام وعياً كاملاً شاملاً من خلال هذه المدرسة أوهذه المدارس الثلاث ـ ماشئت فقل ـ.

واستوعب إلى جانب ذلك جميع ثقافات عصره.

ووعى التحدي الكبير الصعب الذي يجابه الإسلام والمسلمين في هذا العصر من خلال الأسئلة الكثيرة التي أفرزتها الفلسفات والدراسات والحضارات التي أعدها الاستعمار وأعداء الإسلام التقليديون لمجابهة الإسلام، الأسئلة التي بقيت بلا أجوبة صحيحة ومقنعة في آن معاً.

العلامة المطهري تصدى بشجاعة نادرة وثقة مطلقة بنفسه وبالمدرسة التي أنجبته للإجابة على هذه الأسئلة وفي شتى مسالكها الفلسفية والنفسية والاجتماعية والفقهية والسياسية. فكان الرجل الفذ والإمام الذي لا يُراجع في كل مجال اقتحمه وميدان اندفع إليه.

الأستاذ الشيخ المطهري إذن هوذلك الطود الشامخ من أطواد الثورة الإسلامية المعاصرة، نافح بالقلم واللسان وجاهد بالكتاب والمقالة والمحاضرة والخطبة والحوار ليقدم لهذا الجيل والأجيال القادمة مدرسة الإسلام العالمية الكبرى التي كان لها الأثر العظيم في إقبال الجيل بكامله على هذه المدرسة ينهل من معينها ويعب من ثقافتها ويعيش أجواءها الفكرية والعبادية والثورية بعقله وقلبه وجسده.

يعيش حركة العقل بالفكر المتجدد المنفتح

ويعيش حركة الجسم بالعبادة والعمل

ويعيش حركة المجتمع بالتململ والثورة. حتى تم الانتصار المبارك وقامت الجمهورية الإسلامية في إيران.

وأراد الإمام الخميني رضوان الله عليه أن يعين المفكر الكبير الشيخ المطهري رئيساً لمجلس قيادة الثورة.

لكن وساماً أكبر كان ينتظر ذلك المجاهد إنه وسام الشهادة وهكذا أريق الدم الطاهر الفوّار في سبيل الله والإسلام وتحرير الإنسان.

استشهد المطهري، وشهد له الإمام الخميني بأنه **(الرجل الفذ الذي قضى حياته الكريمة الغالية في سبيل تحقيق الأهداف الإسلامية المقدسة والكفاح المتواصل مع كل الأفكار الملتوية المنحرفة)**. ويضيف الإمام:

**(أما أنا فقد فقدت ولداً عزيزاً، وقد فجعت بوفاته إذ كان من الشخصيات الذين أعُدُّهم ثمرة حياتي. وقد ثلم في الإسلام باستشهاد هذا الولد البار والمفكر الخالد ثلمة لا يسدها شيء)**.

هذاالتمهيد شطر من الرد على المقالة التي أطلقها بالأمس أحد المحاضرين حين قال أن المطهري ليس من المشاهير ولا أدري أهي مغالطة مقصودة أم خانه فيها البيان أو سيقه إليها اللسان.. ونترك الشطر الآخر من الرد للأجيال.

هذا المؤتمر الدولي لدراسة أفكار العلامة مرتضى مطهري الذي يأتي بعد اثني عشر عاماً من استشهاده، يهدف إلى:

١ ـ إحياء مدرسة هذا المفكر الجليل.

٢ ـ تخليد خدماته الكبيرة التي أسداها للإسلام والمسلمين وذلك تنفيذاً لما أوصى به الإمام الخميني رضوان الله عليه حينما قال: **(أوصي جيل الشباب بدراسة أفكار ومؤلفات هذا المفكر الكبير)**.

وأسأل مؤتمركم الكريم:

الكتب والمقالات والمحاضرات الكثيرة التي خلفها العلامة مطهري:

ـ هل طبعت كلها وقدمت لجيل الشباب؟

ـ هل ترجمت جميعها إلى اللغة العربية لغة أكثر من ربع مليار مسلم؟

ـ هل ترجمت إلى لغات المسلمين في آسيا وإفريقيا؟

ـ هل ترجمت إلى اللغات الأوروبية الحيّة ليطلع عليها المسلمون والمستضعفون والمفكرون والمثقفون؟

ـ ألا تستحق دراساته وأفكاره أن تطرح على المستوى الدولي العالمي وعلى جميع المفكرين والفلاسفة والعلماء في العالم؟

ـ نحن إذا أجبنا على هذه التساؤلات بالإيجاب نكون فعلاً قد حققنا الهدف الأساسي من المؤتمر.

ـ وإذا كان جوابنا بالنفي فلنبدأ العمل.

ـ وإذاكنا ـ وهذا هو الواقع فعلاً ـ قد أنجزنا بعض المهمات وبقي أمامنا البعض الآخر فنحن على الطريق إذن وإن كانت بيننا وبين تحقيق هدف المؤتمر مسافة بالقدر الذي بقي مطوياً داخل اللغة الفارسية وربما داخل أوراق لا زالت مطوية ـ من هذا الفكر العظيم ـ

وكأني بالشهيد يطل علينا اليوم بعد اثني عشر عاماً ليقول لهذا المؤتمر الكريم:

(أحيي جهدكم وهو قليل
وأحثكم على المضي في الدرب الطويل.
أما أنا فقد بحثت ونقبت وقدمت عصارة الفكر وخلاصة الجهد كنوزاً ولآلىء وجواهر، ثم مضيت إلى ربي راضياً مرضياً.

وأما أنتم فلم لا تكونون مثلي تنقبون وتبحثون وتفتحون عقولكم وقلوبكم ـ كما فعلت ـ للثقافات والأفكار من حولكم فتأخذون منها وتدعون ثم تقدمون ما يحيي الإسلام كما قدمت.

ولا بأس بل ولا بد من الاتكاء على كل الجهود التي سبقتكم ومنها ما تركت لكم من الجهد وعصارة الفكر.

واعلموا أنه جهد مخلص قائم على التقوى الكاملة والفكر المتفتح والفحص الدقيق والعلم المتين والأسلوب الرصين).

فتقدموا على بركة الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



# الشـــهيد مطهـري وإحيـاء الفكـر الإسـلامي*

الدكتور محمد علي آذرشب

**العـودة إلى الحيـاة الإسـلاميـة تبـدأ من العودة إلى المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وتطهير الأفكار والنفوس مما علق بها من انحراف. هذا هو الأساس الذي تبنّاه كلّ المصلحين في عالمنا الإسلامي لعملهم الاصلاحي على اختلاف اجتهاداتهم في تشخيص نوع الانحراف وترتيب الأولويات.**

**الشهيد مطهري من أولئك الدعاة الذين نذروا أنفسهم لإصلاح المجتمع الإيراني، مبتدئاً بإصلاح المفـاهيم ومحـاربـة الإنحـرافـات الفكرية، ويطلق على هذه العملية اسم «إحياء الفكر الديني» كما سمّاها أيضاً إقبال اللاهوري من قبل.**

**ويـوضّـح مقصـوده من إحيـاء الفكر الديني بقوله: «المقصود من إحياء الفكر الديني ليس هو إحياء الـدين نفسـه، بل إحيـاء التفكـير بشأن الدين، وبعبارة أخرى غسل الأدمغة مما تراكم فيها من انحرافات وتشويهات بشأن الدين»[1].**

*** *** ***

نستطيع أن نفهم عِظم المسؤولية التي نهض بها الشهيد مطهري في عملية الإصلاح الفكري لو عرفنا ضخامة الجهود التي بُذلت في إيران خلال القرون الأخيرة لتشويه صورة الإسلام ولمسخ المفاهيم الإسلامية عن طريق مزجها بالمفاهيم المادية الغربية

الهـزيمـة التي مُني بها العـالم الإسـلامي أمام الاستعمار الغربي كانت هزيمة نفسية بالدرجة الأولى، وهـذه الهـزيمـة الـداخلية دفعت بكثير من المثقفين المهزومين إلى الطعن في تراث الأمة وتاريخها وأصالتها، وإلى التبعية الفكرية والنفسية لعالم المستعمرين.

لقد نهض نفر من العلماء لدراسة هذه الظاهرة في العالم العربي وفي شبه القارة الهندية[2]. ولكن قلّما احتوت المكتبة العربية دراسات عن هذه الظاهرة في إيران.

*** *** ***

في اعتقـادنـا أن الجهـودَ التي انصبّت لمسخ المفـاهيم الإسـلاميـة وتشـويهها وإشاعة روح «التغرب» و«الالتقاط» في إيران كانت أعمق وأوسع مما كانت عليه في أجزاء العالم الإسلامي الأخرى، ذلك لما يتمتع

* بحث لم يحاضر به في المؤتمر

به هذا البلد من علماء ومن حركة علميّة تتجه نحو الاجتهاد في مسائل الدين، ولا بد أن تكون الخطة لمواجهة هذه الحركة العلمية المعمّقة في إيران عميقة ومدروسة.

أول من نهض بعملية الغزو الفكري وعملية مسخ الشخصية الإسلامية في إيران دولة بريطانيا، فمنذ سنة ١٦٠٠ ميلادية وُضعت لإيران خطة تمثلت - كما ورد في الوثائق البريطانية - بما يلي:

١ - تقوم وزارة الخارجية البريطانية بتأسيس سفارة في إيران ومؤسسات بريطانية أخرى.

٢ - الشركات البريطانية مكلفة بتأسيس فروع تجارية وبنوك في إيران وبالسعي للحصول على امتيازات استثمار المعادن والمناجم.

٣ - المستشرقون البريطانيون مكلفون بالتوجه إلى إيران ودراسة آدابها وتاريخها وفنونها.

٤ - علماء الآثار يتحملون مسؤولية دراسة آثار إيران وإجراء التنقيبات والحفريات فيها. وصاحب ذلك طبعاً نهب كثير من آثار إيران القيّمة.

٥ - المركز الماسوني الأعلى مكلّف بإرسال أفراد إلى إيران لتشكيل اللوج الماسوني في هذا البلد، وتشجيع الإيرانيين القادمين إلى بريطانيا على الانتماء إلى الماسونية.

٦ - على البريطانيين الموجودين في إيران أن يستغلوا نقاط الضعف الموجودة في إيران من رشوة وفساد وسرقة لتحقيق أهدافهم وأن يسعوا لتعميق هذه المظاهر السلبية ونشرها.

٧ - البريطانيون الموجودون في إيران يسعون لتقسيم إيران وإضعاف الحكومة المركزية ومحاولة الحطّ من قيمة الحضارة والثقافة الإيرانية[٣].

لعلّ عملية نشر الماسونية والاستشراق في إيران كانت أكثر من الغزو العسكري والاقتصادي تأثيراً في التمهيد لاستعمار إيران والسيطرة على مقدراتها. آثارها ملموسة في الهزيمة النكراء التي مُني بها المثقف الإيراني... هذا المثقف الذي تعلم في أوروبا وفي جامعات إيران ليتولى أمور بلده في مجلس الشورى والوزارات والدوائر، وليسوق بلده نحو أهداف المستعمرين، وليقدم كل مقدسات بلده على مذبح الطامعين والغاصبين.

***　　***　　***

من أجل أن نعطي صورة أكثر وضوحاً عن الهزيمة النفسية والفكرية التي سادت المثقفين الإيرانيين نذكر بعض روّاد الماسونية والتغرّب في إيران، ونبدأ بالميرزا يعقوب خان الأرمني.

عاش الميرزا يعقوب في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، ويعتبر أول رائد للتغريب في إيران، والد ملكم خان الذي سيأتي ذكره، ومن مؤسسي الماسونية في إيران، واحد أعضاء عصابة ميرزا آقاخان نوري قاتل المصلح السياسي الإيراني المعروف «أمير كبير» ومن عملاء بريطانيا العاملين على تجزئة أرض خراسان.

فريدون ادميّت (وهو كاتب إيراني ماسوني ألف كثيراً في تاريخ المثقفين التقدميين! في إيران) يفخر بأنه عثر على رسالة للمير زا يعقوب خان يذكر فيها أن الحل الوحيد لانتعاش اقتصاد إيران هو فسح المجال للأوربيين أن يوظفوا رؤوس أموالهم في إيران، وتنشيط سياحة الغربيين فيها[٤].

المير زا يعقوب هذا يوجه رسالة إلى ناصر الدين شاه في حدود سنة ١٢٩٠ هـ، ويدعوه إلى إعادة النظر في الأحكام الدينية، ويركز على الجهاد بالذات ويقول: إن المفهوم القديم للجهاد لم يعد له أي اعتبار الآن، ويجب تحويل مفهومه إلى شكل معاصر يرتبط بتحصيل الخير العام، مثل الجهاد من أجل دفع الفيضانات ومن أجل إنماء البلاد[٥].

*** *** ***

يأتي بعد المير زا يعقوب خان في قيادة حركة التغريب في إيران ابنه ملكم خان، ناظم الدولة (١٢٤٩ ـ ١٣٢٦ هـ. ق)، ويحمل لقب برنس من بلاط الشاه، تولى سفارة إيران في لندن ثم في روما[٦]. ويعتبر دماغ الماسونية المفكر في إيران ورائد التغريب فيها.

كان بيته منتدى يجتمع فيه كل المشكوكين ومتزلزلي العقيدة من الإيرانيين مثل الشيخ محمد باقر بواناتي (معلم أدوارد براون في اللغة الفارسية) والحاجي بير زاده، وسائر المثقفين الذين تولوا فيما بعد الحركة الدستورية في إيران[٧]!!. وهذا يبين لنا سبب انحراف الحركة الدستورية في إيران وسبب معارضة علماء الدين الواعين لها من أمثال الشيخ فضل الله نوري.

ويتحدث ملكم خان بنفسه عن سبب تأسيس المركز الماسوني في إيران ويقول: لقد خطّطتُ من أجل أن أمزج بين العقلية السياسية الغربية والعقلية الدينية الشرقية، لأنني ألفيت أن تغيير إيران على النمط الأوربي لا يتحقق، من هنا سعيت إلى تقديم فكرة التطور المادي في لفافة الدين، لكي يفهم أبناء وطني هذه المعاني جيداً، ودعوت أصدقائي والشخصيات المرموقة وحدثتهم عن ضرورة «إصلاح الإسلام»[٨]!

*** *** ***

ونرى بين أعضاء المركز الماسوني الذي أسسه ملكم كتّاباً ساروا على نفس النهج منهم «المير زا يوسف خان» مستشار الدولة، وصاحب كتاب «يك كلمة» أي كلمة واحدة، وهو من دعاة مزج الإسلام بآخر ما أنتجته الحضارة الغربية، ويصرح بضرورة تكميل الإسلام! وتغييره وفق مقتضيات العصر! وأنه لا بد من تقليد أوربا في تنظيمات إدارة البلد، وإلا لا يمكن لدولة بغير ذلك أن يكتب لها البقاء.

ويقول: بين دول الغرب تعتبر بريطانيا أول وآخر سند وصديق لنا[٩].

*** *** ***

ومن رؤوس التغريب والمسخ في إيران «فتح علي آخوند زاده» (آخوند أوف). يقول عنه فريدون آدميّت: «... في مدرسة الأفكار الجديدة يعتبر مير زا فتح علي آخوند زاده (١٢٢٨ ـ ١٢٩٥ هـ) من

المبدعين. إنه يمثل التفكير العلمي الناقد، رائد كتابة المسرحية والقصة الأوربية في الشرق، مبتكر إصلاح الخط وتغيير الحروف الهجائية في المجتمعات الإسلامية، منتقد الأدب الكلاسيكي، ورافض التقليد في كتابة التاريخ، ومن دعاة أخذ العلم والحكمة والحضارة الغربية، واضع أسس التفكير القومي الإيراني، ومنتقد السياسة والدين، والمؤمن بانفصال الدين عن السياسة، وعدوّ الحكم الاستبدادي وكل حكم فردي، من أنصار المشروطة (الحكم الدستوري) العقلي، العرفي القائم على الحقوق الطبيعية، والمنادي بالإصلاح الديني، مفكر مادي متحل بأفكار منظمة مبوّبة، ليس في نظام تفكيره تناقض أو تباين، كل ما يحمله هو أصالة المادة وسلطان العقل»[١٠].

وهذا النص الذي يمثل خلاصة شخصية آخوند زاده، على لسان واحد من أنصاره والمستوعبين لحياته وأفكاره، يبين اتجاه الطبقة أو المستنيرة! كما يسمونها، وأهدافها وآمالها، وهي: إصلاح الدين! وفق نظرة مادية[١١]، ثم إحياء القومية الإيرانية وتغيير الخط العربي واستبدال الحرف اللاتيني به، ثم الدعوة إلى النظام الدستوري، وهي دعوة لم تكن تستهدف القضاء على الحكم الفردي بقدر ما كانت ترمي إلى جعل زمام التقنين بيد عملاء الغرب، وسدّ الطريق أمام فقهاء الشريعة ومنعهم من التدخل في شؤون المجتمع. وهذا هو الذي حدا بالشيخ فضل الله نوري ـ كما ذكرنا ـ إلى إعلان المطالبة بالحكومة «المشروعة» بدلاً من الحكومة «المشروطة» التي كان ينادي بها هؤلاء المهزومون أمام الغرب، وكان يشبّه هؤلاء المتغربين بالسامري الذي أضلّ قوم موسى، وكان ينادي قائلاً: «أي أحمق يقبل أن يكون الكفر حامياً للإسلام؟! وملكم النصراني حامياً للدين المبين؟!»[١٢].

*** *** ***

من الأسماء البارزة بين المثقفين المتغربين الإيرانيين «عبد الرحيم طالب أوف». ولد في تبريز سنة ١٢٥٠ هـ، وفي السابعة عشر من عمره هاجر إلى جنوب روسيا، وألف كتباً في الاجتماع والسياسة، وأرسلها إلى إيران، يبث فيها أفكاره بشأن إجراء إصلاحات في الدين! وتغيير الحروف العربية في الخط الفارسي[١٣].

في كتابه «مسائل الحياة» (بالفارسية) يعقد حواراً بين آقا رضا (وهو عالم دين تقدمي!) وأحمد آقا (مثقف مزود بالعلوم الحديثة) يتحدث فيه آقا رضا عن علوم الدين التي تعلمها، ويستهين بها، ويصفها بأنها «ألسنة الأموات، وأنها معلومات قد سقطت من حيّز الانتفاع وأصبحت من الخرافات!) ثم يبدأ بتوضيح عطاء العلوم الحديثة[١٤].

ما ذكرناه من أسماء لمثقفين متغربين إيرانيين إنما يمثل الرعيل الأول، وتبعهم رهط كبير ألغوا في بث فكرة التغريب وإصلاح الإسلام (أو مسخ الإسلام) كثيراً من الكتب والمقالات، وأسسوا المحافل والجمعيات، وكان لهم أكبر التأثير على الأدب والفكر والسياسة في إيران.

*** *** ***

يلاحظ في العقود الأخيرة من تاريخ إيران ظهور ردّ فعل بين المثقفين الإيرانيين تجاه الليبرالية الغربية، بعد أن سجّل الغرب أبشع صور مصادرة الحريات وظلم الناس واستعبادهم في بلدان الشرق الإسلامي. لكن ردّة الفعل هذه كانت كما يقول الأستاذ مالك بن نبي - رحمه الله - أشبه بصحوة إنسان لا يزال يثقل جفونه نوم عميق. فما اتجه هؤلاء المثقفون إلى الأصالة بعد أن صدمهم الغرب، بل اتجهوا إلى الغرب أيضاً، ولكن في إطار ما قدمه الغرب كبديل لليبرالية، وهو الاشتراكية والشيوعية. وظهر «حزب توده» ليقدم الفكر الماركسي اللينيني في إطار الإسلام[١٥]!! وظهرت تفاسير لآيات من القرآن الكريم ينحو فيها أصحابها منحى ماركسياً ثورياً!! وحتى الغيب فسروه بأنه «المراحل التمهيدية لنمو الثورة التوحيدية، وفترة حدوث التحولات الكمية»[١٦].

يطول بنا الحديث لو أردنا استعراض كل جهود المتغربين في إيران لبث الأفكار المنحرفة عن الدين والتشكيك في المنهج الإسلامي الأصيل، لكننا أردنا تقديم نموذج من تلك الجهود، لنفهم عظم المهمة التي أخذها على عاتقهم دعاة الأصالة الإسلامية ودعاة إحياء الفكر الإسلامي في إيران، ومنهم الشهيد مطهري رضوان الله عليه.

*** *** ***

الشهيد مطهري واجه في عملية الإحياء مشكلتين: الأولى، مشكلة الفئة المتحركة من الشباب والمثقفين الذين يتشبعون بأفكار الغرب ليبراليها واشتراكيها، ويحملون نظرات سلبية قاتمة عن الدين وعلماء الدين وكتب الدين. والثانية، مشكلة الفئة الجامدة الهامدة من المسلمين الإيرانيين التي تفتقد كل تحرك، وترى بأم أعينها ما يضجّ به المجتمع المسلم من فساد وانحراف، غير أنها تكل الأمر إلى الله! وتنتظر الفرج الغيبي!

أهم ما ناهض به الشهيد مطهري هو مكافحة الانحرافات الفكرية كمقدمة ضرورية لإحياء الدين في المجتمع، وهذا ما يؤكد عليه الإمام الخميني - قدس سره - في نعيه الشهيد مطهري إذ قال:

«مطهري كان لي ولداً عزيزاً وللحوزات العلمية الدينية سنداً قوياً، وللشعب والبلد خادماً معطاء.. وما يجب أن أقوله بشأنه هو إنه قدّم خدمات جلّى للإسلام والعلم..»

«إنه كان من النوادر في فهمه الإسلام ومختلف فنون الإسلام والقرآن الكريم...»

«لقد قضى عمره الشريف على طريق الأهداف الإسلامية المقدسة وقارع بشدّة الانحراف والالتقاط... وأنا أوصي الطلبة والمثقفين الملتزمين أن لا يدَعوا كتب هذا الأستاذ العزيز يلفّها النسيان بفعل دسائس أعداء الإسلام..»[١٧].

الأستاذ الشهيد مطهري يوضح بنفسه أهدافه في نشاطاته الفكرية ويقول:

«منذ سنة ١٣٣٠ هجرية شمسية (استُشهد في ١٣٥٨ هـ. ش) حيث مسكت القلم لأكتب مقالاً أو

لأخطَّ كتاباً ما كان أمامي هدف سوى حلّ المشاكل والإجابة على الأسئلة المطروحة في الشؤون الإسلامية المعاصرة. كتاباتي بعضها فلسفي، وبعضها أخلاقي وبعضها إجتماعي وبعضها تاريخي، ومع اختلاف موضوعات هذه الكتابات فإنها توخّت هدفاً واحداً لا غير.

«الدين الإسلامي الحنيف دين مجهول، حقائقه قد انقلبت بالتدريج في نظر الناس، والسبب الأساس في إعراض طائفة من الناس هو المفاهيم الخاطئة التي قُدِّمت باسم هذا الدين. هذا الدين المقدس يتعرض في عصرنا الراهن أكثر من أي شيء آخر إلى إساءة بعض أدعياء حماية الدين».

«هجوم الاستعمار الغربي من جانب، بعملائه المرئيين وغير المرئيين، وقصور أو تقصير كثير من أدعياء حماية الإسلام في هذا العصر من جانب آخر، أدّى إلى تعرّض الفكر الإسلامي باستمرار في الحقول المختلفة أصولاً وفروعاً إلى هجوم غادر».

«من هنا فإنني العبد الضعيف رأيت أنّ واجبي يفرض عليّ العمل في هذا الميدان قدر استطاعتي..»

«لا أدّعي طبعاً أن الموضوعات التي تناولتها في كتاباتي كانت من أهم الموضوعات، ولكني أستطيع أن أدّعي بأني لم أتجاوز نطاق حل المسائل المستعصية في الفكر الإسلامي وعرض الحقائق كما هي بقدر الإمكان. وإن لم تستطع هذه الكتابات أن تحول دون الانحرافات على الصعيد العملي، فلعلها تستطيع أن تقف بوجه الانحرافات الفكرية وخاصة في المجالات التي يتذرع بها أعداء الإسلام. وفي هذا المجال حاولت، حسب تشخيصي رعاية الأولويات»[١٨].

الأستاذ مطهري وجد أن مهمته الأولى هي تقديم الإسلام بلسان العصر، أو بعبارة أخرى الجمع بين «الأصالة» و«المعاصرة»، وبدون ذلك فإن الاتجاه الفكري في المجتمع الإسلامي سيتخذ أحد سبيلين: إما التقوقع والتخلف والابتعاد عن روح العصر، وإما تحريف الإسلام باسم التقدمية والبروتستانتية، وإلى هذا يشير الأستاذ الشهيد في تحذيره روّاد النهضة الإسلامية إذ يقول:

«أنا باعتباري فرداً أحسّ بمسؤوليتي الإلهية أوجه تحذيري إلى زعماء النهضة الإسلامية العظام، وأتم الحجة بيني وبين رب العالمين وأقول لهم: إن نشر الأفكار الغربية والتقاطها باسم الفكر الإسلامي بعد إضفاء الطابع الإسلامي عليها، سواء كان ذلك عن سوء نية أو عدم سوء نية، خطر يهدد كيان الإسلام».

«طريقة مواجهة هذا الخطر لا تتمثل في المنع والحظر، وهل يمكن منع العطشى المتلهفين إلى الماء من تناول الماء بحجة أنه ملوث؟!! إنها مسؤوليتنا التي تفرض علينا أن نقدم كتباً بلغة العصر في الحقول الإسلامية المختلفة، لو أننا عرضنا ماء قُراحاً سلسبيلاً بالمقدار الكافي لما اتجهوا إلى الماء الملوّث...»

«طريق المواجهة هو عرض المدرسة الإسلامية بشكل صحيح في كل المجالات وبلغة العصر. حوزاتنا العلمية التي تموج اليوم بالنشاطات الاجتماعية يجب أن تعي مسؤوليتها العظيمة العلمية والفكرية. يجب أن تضاعف أعمالها العلمية والفكرية عشر مرات. يجب أن تعلم أن الاقتصار على الدراسات الفقهية

والأصولية الرسمية لا يلبي حاجات الجيل المعاصر»[١٩].

وهكذا يلخّص الأستاذ مطهري نشاطه الفكري والثقافي لإحياء الدين في المجتمع، ونجد مصداق ذلك فيما كتبه الأستاذ من مقالات وألقاه من محاضرات ودوّنه من كتب. فهو قد جمع أولاً بين مختلف احتياجات المجتمع الفكرية، ابتداء بالفلسفة الإسلامية المعمّقة التي طرحها من خلال تعليقه على كتاب: «أصول فلسفة وروش رئاليسم» = «أصول الفلسفة وطريقة الواقعية»، في خمسة أجزاء، وانتهاء بكتابة القصص التربوية المبسطة المستقاة من السيرة والتاريخ الإسلامي في كتابه «داستان راستان» = «قصص الأبرار»، في جزئين.

لقد استطاع مطهري أن يطرح القضايا الفلسفية من خلال معالجة الواقع الاجتماعي، كما فعل في «علل گرايش به ماد يگرى» = «أسباب النزوع إلى المادية»، وفي «عدل إلهي» كما طرح الخطوط العامة لنظرة الإسلام إلى الكون والحياة، في عدة كتب تعالج موضوع التوحيد والنبوة والقيامة[٢٠]. كما كتب دروساً في العلوم الإسلامية كالعرفان والفلسفة والمنطق والكلام؛ وقارع النظرية الماديّة وتفسيرها للتاريخ والمجتمع في كتب عديدة[٢١]؛ وتناول قضية المرأة في عدد من الكتب والمقالات[٢٢]؛ وحارب الالتقاط من خلال الكشف عن زيف الالتقاطيين وخوائهم الفكري؛ وله في تفسير القرآن وربط القرآن بالحياة دروس ومحاضرات ومقالات؛ وله في توضيح المفاهيم الإسلامية وبيان الانحرافات التي تراكمت على هذه المفاهيم باع طويل أيضاً.

كلّ هذا يمثل جهداً متواصلاً استمر قرابة ثلاثين عاماً في الجمع بين «الأصالة» و«المعاصرة» من أجل إحياء الإسلام في مجتمع تكالبت عليه قوى الشر والضلال والانحراف لتبعده عن المسيرة الإسلاميّة الصحيحة.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا جهوده المبذولة من أجل استنهاض الهِمم وتحريك الطاقات وغرس روح التحرك وروح العمل والجهاد والشهادة في المجتمع، فقد كان لها تأثير كبير على دفع القطاعات المتقوقعة المنزوية إلى ساحة النشاط الاجتماعي الرسالي، وعلى إزالة الأفكار والمفاهيم السلبية التي عشعشت طويلاً في أذهان الفئة المتدينة التقليدية تجاه العمل السياسي والنشاط الاجتماعي الإسلامي[٢٣].

*** *** ***

بقي أن نؤكد هنا أن الجهاد الفكري الطويل، الذي خاضه الشهيد مطهري، لا يعني انصرافه عن الجهاد من أجل القضاء على الطاغوت السياسي الحاكم في المجتمع. كل مصلح إسلامي حقيقي مخلص لا يمكن أن ينسى مهمة تحكيم الإسلام في كل مرافق الحياة وهو يخوض معترك الصراع الفكري.

الشهيد محمد باقر الصدر ـ مثلاً ـ مع كونه رائد الفكر الإسلامي المعاصر، يرى أن صفة الانقلابية الثورية لا تنفك عن الإسلام وعن حركة الإنسان المسلم والمجموعة المسلمة، غير أن الظروف والملابسات

هي التي تفرض طريقة ممارسة هذه الصفة[٢٤]. ويرى أن نزعة «الانتقام من الجبارين» نزعة تكاملية لا يمكن للإنسان السائر على طريق الله أن يتخلى عنها[٢٥].

والأستاذ الشهيد حسن البنا عُرف بدعوته الفكرية والأخلاقية والتربوية، لكنه مثل سائر العاملين الملتزمين المخلصين كان يؤكد على دور القوة في تحقيق رضا الله تعالى، وعلى ضرورة إعداد القوة اللازمة للمعركة العنيفة ضد الباطل. وجاء هذا التأكيد واضحاً في قوله:

«وفي الوقت الذي يكون فيه منكم ـ معشر الأخوان المسلمين ـ ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة، وفكرياً بالعلم والثقافة، وجسمياً بالتدريب والرياضة.. في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجاج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبّار، فإني فاعل إن شاء الله..»[٢٦].

وهذا المفكر المسلم أبو الأعلى المودودي يشير إلى عقم الاكتفاء بأسلوب الوعظ والإرشاد فيقول:

«يصبح من العبث الدعوة إلى الإسلام على طريقة التبشير المسيحي. ولو طُبعت ملايين النشرات تدعو إلى التمسك بالإسلام وتصيح بالناس أن (اتقوا الله) صباح مساء، لما كانت ذات فائدة تذكر، إذ ما هي الفائدة العملية التي ستنجُم عن تأكيد أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان وأن فوائده ومزاياه ليس لها مثيل عن طريق القلم والخطابة؟! إن حاجة العصر تتطلب إبراز هذه المزايا بصورة عملية في عالم الواقع.. إن مشاكل العالم المادية لن تحلّ بمجرد القول بأن الإسلام يملك حلها. إن قيمة الإسلام الذاتية لا بد وأن تبرز إلى الوجود في هيئة نظام عملي مهيمن يلمس الناس آثاره ويجنون ثماره.. إننا نعيش في عالم يقوم على الصراع والكفاح. والخطابة والوعظ لن تفلح في تغيير مجراه، ولكن الكفاح الثائر وحده هو الذي يستطيع ذلك»[٢٧].

والمودودي لا يريد أن يستهين طبعاً بدور الكلمة في الدعوة إلى الله، وهو الكاتب والواعظ والخطيب، بل يردّ على الذين يقنعون أنفسهم بالاكتفاء بالكلمة، إنه بعبارة أخرى يردّ على تجار الكلمة وعلى المهزومين نفسياً أمام بطش الجبارين، ويؤكد أن الكلمة الجادة المخلصة لا تفترق عن الحركة الجادة، وعن الكفاح الثائر. والعمل الجاد هو الدليل الوحيد على صدق جدية الكلمة.

الشهيد مطهري كان أيضاً من المؤمنين بأن التغيير الاجتماعي في المنظور الإسلامي لا يمكن أن يتحقق دون ثورة كاملة تطيح بالمؤسسة السياسية الطاغوتية المتحكمة، لكن هذه الثورة لا يمكن أن يُكتب لها البقاء، ولا يمكن صيانتها من الزلل والانحراف إلا إذا ساندتها نهضة فكرية عميقة أصيلة تقدم الإسلام في جميع مجالات الحياة وفق مقتضيات العصر.

يقول «.. كل نهضة إجتماعية يجب أن يكون لها سند من نهضة فكرية وثقافية، وإلا فسوف تقع في فخ التيارات التي تمتلك ثروة فكرية، وتتجه نحو هذه التيارات فتغيرّ مسارها. وقد رأينا أن الجماعات الفارغة

من الفكر الإسلامي كيف سقطت كالذبابة في أوتار بيت العنكبوت»[٢٨].

ويقول في موضع آخر:

«.. لو استيقظ الشرق واكتشف هويته الإسلامية، فلا تستطيع حتى القنبلة الذرية أن تصد هذه القوة العظيمة، وهذه الجماهير الثائرة. وطريق هذه اليقظة التعرف على تاريخنا وثقافتنا وإيديولوجيتنا..»[٢٩].

كانت هذه وقفة قصيرة ضرورية ـ في خاتمة مطافنا ـ عند حقيقة هامة هي أن الشهيد مطهري، مثل سائر كبار المصلحين الإسلاميين المعاصرين ودعاة إحياء الفكر الإسلامي، لم يكن يرى العمل الفكري منفصلاً عن العمل الثائر الرامي حدوث انقلاب إجتماعي عام في المجتمع، بل كان يرى عملية الإحياء الفكري مقدمة ضرورية للتغيير الشامل، وضماناً أكيداً لسلامة المسير وللوقاية من الزلل والانحراف.

والحمد لله أولاً وآخراً

الحواشي:

(١) إحياء الفكر في الإسلام، مطهري، ترجمة آذرشب، ط١، طهران ١٤٠٢ هـ، ص١٣.

(٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، دار الفكر، بيروت؛ وكتاب: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، الندوي، القاهرة ١٩٧٧ م.

(٣) فراموشخانة وفراموسونرى در إيران (بالفارسية) إسماعيل رائين، طهران، منشورات أمير كبير.

(٤) أنديشة ترقى وحكومت عصر سبهالار (بالفارسية)، فريدون آدميّت، ط٢ ص٤٥ ـ ٤٨.

(٥) نفس المصدر، ص١٠٣ و١٠٤.

(٦) مقدمة فكرى نهضت مشروطيت (بالفارسية) د. علي أكبر ولايتي، ص٨٠، ط٣، طهران ١٩٨٦.

(٧) تحقيق در أفكار ميرزا ملكم خان (بالفارسية)، نورايى، ص١٠٢، طهران ١٣٥٢ هـ. ش.

(٨) أنديشة ترقى...، آدميت، ص٦٤ ـ ٦٥.

(٩) تشيع ومشروطيت در إيران (بالفارسية)، عبد الهادي حائري، منشورات أمير كبير، ط١، طهران ١٣٦٠ هـ. ش.

(١٠) انظر: أنديشة هاى ميرزا فتحعلي آخوند زاده (بالفارسية)، فريدون آدميّت.

(١١) وهي محاربة الدين طبعاً، ومحاولة إزالته من المجتمع باسم الإصلاح.

(١٢) تذكرة الغافل وإرشاد الجاهل (بالفارسية)، فضل الله نوري، ص١٨.

(١٣) انظر: أزگاتها تا مشروطيت (بالفارسية)، محمد رضا فشاهي، ص٣٩٢، طهران ١٣٥٤ هـ. ش، تاريخ مشروطة إيران (بالفارسية)، أحمد كسروي، ص٦٢، ط١٢، طهران، منشورات أمير كبير.

(١٤) مسائل الحيات (بالفارسية)، عبد الرحيم بن شيخ أبو طالب، ص٤٩، مطبعة غيرت، تفليس ١٣٢٤ هـ.ق

(١٥) انظر: سقوط حزب توده، محمد علي آذر شب، منشورات منظمة الإعلام الإسلامي، طهران.

(١٦) انظر: ماتريـاليـسم در إيـران (بـالفارسية)، مطبوع مع كتاب: علل گرايش به ماديگري، مطهري، ص٥ - ٥٣، ط٨، طهران ١٣٥٧ هـ. ش.

(١٧) مسيري در آثار استاد شهيد مطهري (بالفارسية)، ستاد بزركداشت ساكلرد استاد، ص٢٠ - ٢١، طهران ١٣٥٩ هـ. ش.

(١٨) عدل إلهي (بالفارسية)، مطهري، ص٨ و٩

(١٩) نهضت هاي إسلامي در صد سال أخير (بالفارسية)، مطهري، ص٧٥.

(٢٠) مثل كتاب: الإنسان والإيمان، والتصور التوحيدي، والوحي والنبوة، والحياة الخالدة، وقد ترجمنا هذه السلسلة من الكتب مع إضافة مقدمات وتعليقات عليها في سلسلة «مقدمة في التصور الإسلامي» منشورات مؤسسة البعثة، طهران.

(٢١) انظر: المجتمع والتاريخ، في جزئين ترجمناهما من الفارسية مع مقدمة وتعليقات وملحقين، منشورات مؤسسة البعثة، طهران.

(٢٢) انظر: مسألة الحجاب، ونظام حقوق المرأة، الشهيد مطهري، ويذكر أن معظم محتويات الكتاب الثاني نشرها الأستاذ في مجلات نسوية كانت تنشر في زمن الطاغوت، وكانت هذه المجلات منحرفة تُدار بيد منحرفين، لكن الأستاذ الشهيد اقتحمها، غير مبال بنهج المجلة، من أجل أن يوصل كلمة الإسلام إلى القطاع النسوي الإيراني بمختلف اتجاهاته.

(٢٣) انظر إحياء الفكر في الإسلام، حيث يركز الأستاذ على مفهوم العمل والحركة في الإسلام، وكتاب: شهيد يتحدث عن شهيد، حيث يوضح الأستاذ معنى الشهادة والشهيد، ويبين المكانة التي يتمتع بها الشهيد في المفاهيم الإسلامية، ويستعرض صوراً من عظمة مواقف شهداء الإسلام، الكتابان من ترجمتنا ومنشورات مؤسسة البعثة، طهران.

(٢٤) رسالتنا، مقال: رسالتنا فكرية انقلابية.

(٢٥) خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، الشهيد الصدر، فصل مسار الخلافة على الأرض.

(٢٦) مشكلات الدعوة والداعية، فتحي يكن، ص٢٣٠.

(٢٧) رسالة: داء المسلمين ودواؤهم، المودودي، ص١٥.

(٢٨) نهضت هاي إسلامي در صد سال أخير (بالفارسية)، مطهري، ص٧٤.

(٢٩) بيرامون انقلاب إسلامي (بالفارسية)، مطهري، ص١٢٥.

# الأستاذ مرتضى المطهري *
# في رحلة عطرية مباركة مع إمام المتقين علي ـ ع ـ

الأستاذ محمد علي أسبر

الإمام علي بن أبي طالب شخصية إسلامية ـ عالمية . ! . لم يتعرف التاريخ إلى أحد من أبطاله أشجع منه قلباً . . .

ولا أثمن عقلاً . . .

ولا أنور خُلُقاً . . .

ولا أمجد تُقى . . .

ولا أنضر إنسانية . . وزهداً . .

ولا أرحب ـ بعد رسول الله ـ معرفة . . وعلماً . .

هذه نفحات من المناقب التي تكوَّنت منها شخصيته العبقرية . .

وازدهرت بها سيرة حياته النبيلة من المهد إلى اللحد . .

افتحوا تاريخ الإسلام، وتأمّلوا في كلماته، فإنه يُريكم علياً يمثل دفقة الدم التي بعثت الحياة في شرايين الإسلام . . وجعلت منه شمس حضارة أنارت الأرض قاطبة . .

وليس من قصدنا الآن أن نذكر أسماء جهابذة الفكر الذين سحرتهم شخصية الإمام علي وآثاره . . . فكتبوا عنه النفيس البارع، لأن ذلك يحتاج إلى أكثر من كتاب . . .

ولكن قصدنا أن نضع في دائرة الضوء كتاب «الإمام علي في قوتيه الجاذبة والدافعة» لمفكر إسلامي نابه هو: الأستاذ مرتضى المطهري الذي تُقدِّم مؤلفاته الكثيرة للمجتمع الإسلامي والعالمي . غذاء فكرياً ـ إسلامياً، واجتماعياً، وإنسانياً . . . ومن مؤلفاته تلك كتابه «الإمام علي . . . » الذي ترجمه عن الفارسية إلى العربية الأستاذ جعفر صادق الخليلي يمهِّد الأستاذ الكبير المطهري للحديث عن الإمام، عن الجذب والدفع . . فيرى أنه قانون تخضع لمواده جميع المكونات . . . يقول في الصفحة ـ ١٧ ـ: «فالعلوم المعاصرة ترى أن كل ذرة من ذرات الوجود تقع ضمن دائرة حكم الجاذبية العامة، ولا تخرج عنه ذرة واحدة، فالأجسام ـ أكبرها وأصغرها، تملك هذه الطاقة الغامضة التي تسمى الجاذبية، أو قوة الجذب، وتقع تحت تأثيرها أيضاً» اهـ.

* بحث . [illegible] في مؤتمر

ثم يعرف القارىء أن الإنسان، كان يجهل في العصور القديمة ذلك القانون العام للجاذبية، بيد أنه عرف خواص محدودة لبعض الأجسام التي تمتلك الجاذبية، مثل: جذب المغناطيس للحديد، والكهرباء للقش. . . ثم يذكر أن الأرض تستمر ثابتة في مكانها، لأن قوة الجذب تأتيها من كل الجهات بنسب متساوية. . . وأن الحيوانات والنباتات. . تمتلك قوة الجذب والدفع، كما يقول العلماء، ويتجلى ذلك بامتلاكها القوى الأصلية الثلاثة، وهي: قوة التغذية. . وقوة النمو. . وقوة التوالد. .

بعد أن يطلعنا على هذه الحقائق العلمية التي أقرها العلم الحديث. . يخلص إلى الجذب والدمع في عالم الإنسان. . فيوضح لنا أنه ليس المراد بذلك الجذب والدفع الجنسي. . وإنما المقصود: العلاقات، والمعاملات الاجتماعية بين الناس. . .

ثم يبين أن الناس يختلفون في قوتي: الجذب والدفع. . . ويقصد بالجذب والدفع هنا: الحب. . . والكراهية. . ويرى - وهو فيما يرى متوجاً بالصواب - أنه لا يمكن أن تتوحّد قلوب الخلق على حب إنسان إلا إذا كان يُتقن (فن الرياء). . . ذلك هو واقع المجتمعات الانسانية في زمننا وغيره. . .

أما الذي يسلك نهجاً أخلاقياً رحمانياً. . فهذا يستقطب حب الصالحين من عباد الله فقط. .

وأما منْ سواهم من الناس فإنهم يصلونه نيران عداواتهم. . لأن سِنْخَهُ سالب بالنسبة لهم. .

بعد هذا التمهيد ينتهي إلى الحديث عن الإمام علي بن أبي طالب - ع - فيقول:

والإمام علي بن أبي طالب شخصية ذات قوتين عجيبتين: جاذبة. . . ودافعة. .

ثم يفسر لنا أسباب امتلاك الإمام لهاتين القوتين فيقول ما خلاصته: فعلي لما يحمل من مُثل عليا قصّر ويقصر عنه الناس جميعاً - حاشا رسول الله(ص) - يحبه الذين تتعشق أرواحهم تلك المثل الرفيعة التي تكفل للمجتمع الإنسان هناءه. . وصفاءه. .

إن حب علي الزاهية شخصيته بتلك المثل يصفّي عقول محبيه وقلوبهم من مفاسد الشرور. . فإذا هم من علي موقع الشعاع من نور الشمس. . لذلك تراهم يقدمون على التضحية في سبيل ولايته بدمائهم. . . وأرواحهم إقداماً ما عرف التاريخ العالمي له ضريباً. . .

يقول الأستاذ المطهري في أولئك الغطاريف الذين أحبوا علياً «فأتباعه من أعجب الأتباع: تاريخيون مضحّون. . صابرون. . يلتهبون حباً به كبيدر مشتعل. . . ويشعون ضياء. . يرون التضحية بأرواحهم في سبيله أمنية. . وفخراً. . ينسون كل شيء في غمرة حبهم له».

«لقد مضى على موت علي(ع) قرون. . ومازالت جاذبيته تشع، وتتلألأ. . فتنجذب إليها النفوس حيرى والهة» اهـ.

أجل ذلكم هو علي بن أبي طالب في: الماضي. . والحاضر. . وسيظل هكذا في المستقبل نوراً وهّاجاً لا يستطيع الظلم. . ولا الظلمات. . أن تحجب ضياءه الغامر الباهر. .

إن صفحات تاريخنا العربي تزدهي بأسماء المؤمنين الذين اختاروا أن يشربوا كأس الموت علاً ونهلاً

حتى الثمالة دون أن يتراجعوا عن محبة علي. .
كان انجذابهم إليه انجذاباً صوفياً أبصروا الموت معه نعيماً روحياً صرفاً. . .
هم عرفوا سموّه الأخلاقي والنفسي معرفة مبصرة. . . فهاموا به حباً. .
وزاد حبهم وهجاً حين رأوا رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى، يقول لعلي بأمر ربه: «ياعلي. لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»*
من هنا. . وهناك. . يرى محب علي الموت في سبيله جنة وحريراً. .
وقد سمى لنا الأستاذ المطهري في كتابه رجلين ـ كمثال ـ عانقا الموت صبراً. . ولا ذنب لهما إلا أنهما يحبان علياً. .
هذان الرجلان هما: ميثم التمار، وابن السّكيت (١٨)
كانت الفرصة مهيأة لكل منهما أن ينجو من الموت لو داهن أرباب الباطل. . .
ولكن حب علي محرك ثوري يجعل من صاحبه طاقة عارمة لا تحني الهام أمام أبالسة الطغيان. . .
فميثم يتحدى عبيد الله بن زياد عصارة البغي الأسود. . والضلال الأحمر. ويقول له في حديث جرى بينهما: «أنا الصادق، مولى الصادق علي بن أبي طالب أمير المؤمنين حقاً». . فانتهت به هذه الكلمات المباركة إلى قطع يديه، ورجليه، وصلبه. . وقطع لسانه. . .
وأما ابن السكيت (يعقوب أبويوسف) الإمام في اللغة والأدب. . فقد جلبه الخليفة العباسي (المتوكل على الله) إلى قصره لكي يعلم أبناءه. .
ويخلص الرجل في تعليم أبناء الخليفة، رغم أن عقيدة كل منهما تبعده عن الآخر بعداً لا لقاء معه. . .
فابن السكيت رجل العلم والفضل يوالي علياً ولاء استنارت به بصيرته. . . وصلح به فؤاده. . .
والمتوكل الطاغية العباسي يُبغض علياً بغضاً فوّاراً بأحقاد جاهلية رعناء. . .
فهما في حقيقتهما قطبان متنافران. . .
وفي يوم يدخل على المتوكل ولداه بحضور أستاذهما ابن السكيت. . .
ويسأل الخليفة ولديه. . فيجيبان إجابات تنال إعجابه. . .
إنهما متفوقان فيما درساه. . .
فيكبر مقام ابن السكيت عنده. . .
ولكنه يتذكر أن ابن السكيت من شيعة علي بن أبي طالب كما نقل إليه عيونه. . .
ويرى أن يغتنم هذه المناسبة ليعرف إذا كان ما نُقل إليه صواباً أم كذباً. . .
فإذا هو يقول للرجل العالم: «أتراك تحب ولديّ هذين أكثر أم الحسنين ولدي علي ؟؟
وتغضب هذه المقارنة ابن السكيت غضباً يسطع أثره في وجهه وعينيه حمرة قانية. . .
ولكن، بماذا يجيب هذا الخليفة المتكبر البطر الذي يُناصب علياً وأهل بيته العداء. . ؟؟

أيسكتُ عن كلمة الحق، ويُداهن هذا الرجل خوفاً من بطشه؟؟
وتصرخ روحه: لا. وينبض قلبه: لا.
إن حب علي وولديه كوكب دري يتوقد في قلبه...
فكيف يسكت على تلك المقارنة التي يراها إهانة تثخن إحساسه الكريم بالجراح الدامية؟؟
فإذا هو يهدر في وجه المتوكل: «والله. إن قنبر مولى علي لأحب إلي مرات من هذين وأبيهما» اهـ
فماذا فعل المتوكل حين سمع الكلمات المباركات التي نطق بها العالم الكبير؟؟
لقد ثار به جنون بغضه لعلي وأهل بيت النبوة... فأمر أن يضرب حتى يموت..
هذان نموذجان من محبي علي بن أبي طالب..
يعلّق الأستاذ مرتضى المطهري على الحادثتين فيقول: «إن التاريخ يعرف الكثيرين ممن لا شهرة لهم ضحّوا بأرواحهم في سبيل حب علي عليه السلام»
ثم يتساءل: فأين نجد مثل هذه الجاذبية في العالم؟؟
ويعطينا جواباً على تساؤله فيقول: «لا أحسب أن لها شبيهاً في العالم» اهـ
حقاً إن العالم لم يعرف مَن يشمخ إلى مستوى هذه الجاذبية... الرائعة. الآسرة...

ومرة ثانية يطلع علينا سؤال هو: لماذا يحب المؤمنون علياً على امتداد العصور؟؟
إن الحب الذي يتجدد بتجدد الأيام هو الحب الذي تقوم عمده على أساس الخُلق الذي تغذى من قدسية الدين..
هذا الحب يظل باذخاً نقياً متألقاً بنضارة الشباب..
والإمام علي نما.. وشب... في فردوس الدين...
فهو قد عاش حياة رسول الله عيشاً معجونة ذرّاته بماء الدين الحنيف...
ولذلك، فهو خالد ما دام الدين الإلهي هو الركائز الفضلى التي يرتفع عليها صرح المجتمع البشري...
ونشأة علي تلك هي التي جعلت الأستاذ المطهري يقول: «ولو لم يصطبغ علي بصبغة الله، ولو لم يكن من رجال الله، لكان قد طواه النسيان» اهـ
ثم يقول: «إن علياً منبع فياض لا ينضب، بل يزداد فيضه على مر الأيام، وهو كما قال عنه جبران خليل جبران:
شخصية ولدت قبل زمانها» اهـ
والخالب الفذ في شخصية علي أن الله فرض على المؤمنين حبه...
وجعل حبه إيماناً يسطع نوراً يهدي صاحبه إلى جنات العلي العظيم..
وجعل بغضه نفاقاً يتجسم شيطاناً يقود إلى عذاب الحريق...
وقد جاء ذلك في نطق محمدي ـ نبوي...

وقد علمنا الله أن نبيه لا ينطق إلا حقاً يوحى به إليه . . .

يبقى علينـا أن نصغي إلى الإمـام علي يمهـد لحديث رسـول الله بكلمات هاديـات تؤكد لنا : أن المؤمن لا يُبغض علياً ولو آذاه في الله . . وأن المنافق لا يحبه ولو صبَّ عليه كل محاسن الدنيا . . .

لنتأمل في قوله : «لو ضربتُ خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني لما أبغضني . . .

ولو صببتُ الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني لما أحبني» .

فإذا سألت عن سبب ذلك ، أعطاك الجواب عن رسول الله ـ ص ـ بقوله : «وذلك أنه قُضي فانقضى على لسان النبي الأمي أنه قال : [يا علي ، لا يبغضك مؤمن ، ولا يحبك منافق] اهـ (٢)

يعلِّق الأستاذ المطهري على عبارات الرسول والإمام فيقول : «إن علياً ميزان توزن به الفطرة والطينة ، فمن كان ذا فطـرة سليمـة ، وطينـة طاهـرة لا يبغضه لو ضرب خيشومه ، ومن كان ذا فطرة ملوثة لا يحبه لو أحسن إليه كل الإحسان ، لأن علياً ليس سوى الحق متجسداً» اهـ (٣)

أجل إن علياً هو صريح الحق المسلسل من القيم الإسلامية الربانية . . . والإنسانية القرآنية . . .

والمنافق جرثومة شريرة من خبث الأباطيل والضلال . .

والحق الباطل لا يلتقيان . .

الحق نور واضح . . . والباطل ظلام دامس . . فكيف يلتقيان . . ؟؟

وإذا كان يمضِ في خاطرك خلجة شك أن محب علي يبغضه ولو آذاه في الله ، فإن المطهري يقدم لك خبراً ـ من أخبار كثيرة ـ ينسف من خاطرك كل ارتعاشة شك . . .

هذا الخـبر أورده الفخـر الـرازي الشـافعي المـذهب في تفسيره الكبير في الآية التاسعة من سورة الكهف ، خلاصته : أن رجلاً من محبي علي أقدم في غفوة من غفوات العقل على معصية السرقة . . ويُرفع الخبر إلى الإمام . . . فينفذ حكم الله في الرجل ، ويقطع أصابعه اليمنى فيُمسك بها بيده اليسرى ، ويمضي ، والدم يسيل من يده قطرات . . . قطرات . .

ويراه رجل اسمه (ابن الكوّا) فيتقدم إليه مظهراً الحنوّ والتوجع عليه لما أصابه ، ثم يقول له من قطع يدك؟؟

فيقول له بنفس راضية : «قطع يميني سيد الوصيين ، وقائد الغر المحجلين ، وأولى الناس بالمؤمنين علي بن أبي طالب ، إمـام الهـدى ، السـابق إلى جنـات النعيم ، المنتقم من الجهـال ، معطي الـزكـاة ، الهادي إلى الرشاد ، والناطق بالسداد ، شجاع مكي ، جحجاح وفي» .

فقال له ابن الكوّا : الويل لك ، يقطع يمينك وتثني عليه؟؟

فأجـابـه بهدوء رزين : كيف لا أثني عليـه ، وقـد خالـط حبـه لحمي ودمي ، والله ما قطـع يدي إلا بما أنـزله الله . . » اهـ (٤)

أرأيت أي قوة خارقة تعمر نفوس محبي علي حباً صادقاً . . ؟؟

إنهم لا يبالون بحرِّ العذاب . .

ولا يبالون بمذاق الموت . .

لقد سكروا بحب علي سكراً روحانياً فتضاءل عندهم الجسد.. وأوجاع الجسد..

وكيف لا يكونون كذلك، وعلي كما يعرفونه من أحاديث نبي الهدى والرحمة: «سيد الوصيين.. وقائد المؤمنين إلى جنات رب العالمين.. وأولى الناس بالمؤمنين.. وإمام الهدى الذي يدور الحق معه حيث دار..

إن ما انفرد به علي من: مكارم.. ومحامد.. وعلم.. وزهد.. وجهاد.. وفتوة.. هي التي جعلت منه لسان صدق عليا..

وهي التي جعلت أرواح وقلوب المؤمنين ترتبط به كما يترابط ضياء الشمس بالشمس..

وعن ذلك يتحدث الأستاذ مرتضى المطهري فيقول: «لو أن جميع الفضائل التي امتاز بها علي من: الحكمة، والعلم، والتضحية، ونكران الذات، والتواضع، والأدب، والمحبة، والعطف، والأخذ بيد الضعيف، والعدالة، والحرية، وحب الحرية، واحترام الإنسان، والإيثار، والشجاعة، والمروءة، والفتوة نحو العدو، والسخاء، والكرم..

أقول: لو أن كل ما تحلى به من الفضائل لم يكن مصطبغاً بالصبغة الإلهية، لما كان على هذا القدر الذي نراه عليه اليوم من استثارة للانفعال.. واجتذاب للحب..

فعلي محبوب لكونه مرتبطاً بالله..

إن قلوبنا ترتبط في أعماقها، وبوعي منا بالله..

ولما كان علي آية الله العظمى، ومظهر صفات الله في أعيننا فقد عشقناه..

في الحقيقة أن سند حب علي هو ما يربط النفوس بالله، ذلك الرابط الذي كان بالفطرة دائماً..

ولما كانت الفطرة خالدة، فحب علي خالد أيضاً» اهـ (٤)

وكما أجمع ويجمع المؤمنون على ولاية علي..

فقد وجد في العدوة القصوى من وقف ويقف منها موقفاً فيه من العداء ما فيه...

ورأى أن ذلك إنما كان لينال كل من الفريقين: الموالي.. والمعادي.. حظه من دعاء رسول الله في حجة الوداع حين أخذ بيد علي ورفعها وقال:

من كنت مولاه فعلي مولاه...

اللهم وال من والاه...

وعاد من عاداه... الخ.. (٥)

إن ولاية علي عطر إلهي تستحم به نفوس الصالحين من عباد الله فتنضر بهاء.. ويزداد صفاؤها إشراقاً..

وأما الذين يناصبون ولايته العداء فهم يسبحون في بحر قول الشاعر:

«ويأنف المسكَ من أدناسه الجُعَلُ»...

ويسيل قلم الأستاذ المطهري عذوبة وصدقاً حين يقول: تحت عنوان (علي القائد والإمام الحق)..

«إن كيـان علي برمتـه، وتـاريخـه، وسـيرتـه، وأخـلاقه، وصبغته، وريحه، وكلماته، وأقواله، كلها دروس، وتعاليم، ونماذج للاقتداء والقيادة» اهـ

أقول: وما أنور ما قاله الإمام الشافعي في حب علي:

علي حبه جنَّهْ

قسيم النار والجنة

وصيُّ المصطفى حقاً

إمام الإنس والجِنة (٦)



الحواشي:

* الحديث متفق عليه.

١ ـ مرتضى المطهري: الإمام علي في قوتيه: الجاذبية والدافعة ـ ص ـ ٣٧ (مؤسسة البعثة ـ بيروت، طبعة أولى سنة ١٤١٠ هـ، ترجمة جعفر صادق الخليلي.

٢ ـ أ ـ الإمام علي: نهج البلاغة ـ الجزء الرابع ـ ص ـ ١٣ ـ شرح الإمام الشيخ محمد عبده ـ مطبعة كرم ـ دمشق.

ب ـ ابن الأثير الجزري: أسد الغابة ـ الجزء الثالث ـ ص ـ ٦٠٢، طبع: دار الفكر ـ بيروت

قال ابن الأثير: «وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا عيسى بن عثمان (بن) أخي يحيى بن عيسى الرملي [أخبرنا يحيى بن عيسى الرملي، حدثنا الأعمش عن عدي بن ثابت، عن زرّ بن حُبيش، عن علي، قال: «ولقد عهد إلي النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ [أن لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق].

جـ ـ تحفة الأحوزي: أبواب المناقب، (باب مناقب علي ـ الحديث ـ ٣٨١٩ ـ ج ـ ١٠ ـ ص ـ ٢٣٩ و٢٤٠، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» (راجع هامش الصفحة ـ ٦٠٢ ـ المذكورة.

د ـ الإمام مسلم: صحيح مسلم ـ الجزء الأول ـ ص ـ ٦١ ـ مطبوعات: محمد علي صبيح وأولاده ـ ميدان الأزهر بمصر والحديث متفق عليه.

٣ ـ المطهري: الإمام علي، ص ٤٦

٤ ـ المصدر السابق، ص ١٠٦

٥ ـ الحديث متفق عليه

٦ ـ الشيخ سليمان القندوزي: ينابيع المودة المذكور ـ الجزء الأول ـ ص ٨٤ ـ الباب السادس عشر.



# الفهرس